AL-MUJTAMA'A

المجتمع

مجلة المسلمين في أنحاء العالم

العدد (2145) - السنة (51) ذو القعدة 1441هـ / 1 يوليو 2020م

محمد العمر رئيس «فريق الأزمة» بجمعية الإصلاح الاجتماعي:

أزمة «كورونا» أبرزت سرعة استجابة المجتمع

العنصرية في الغرب..

قوانين براقة وواقع مرير

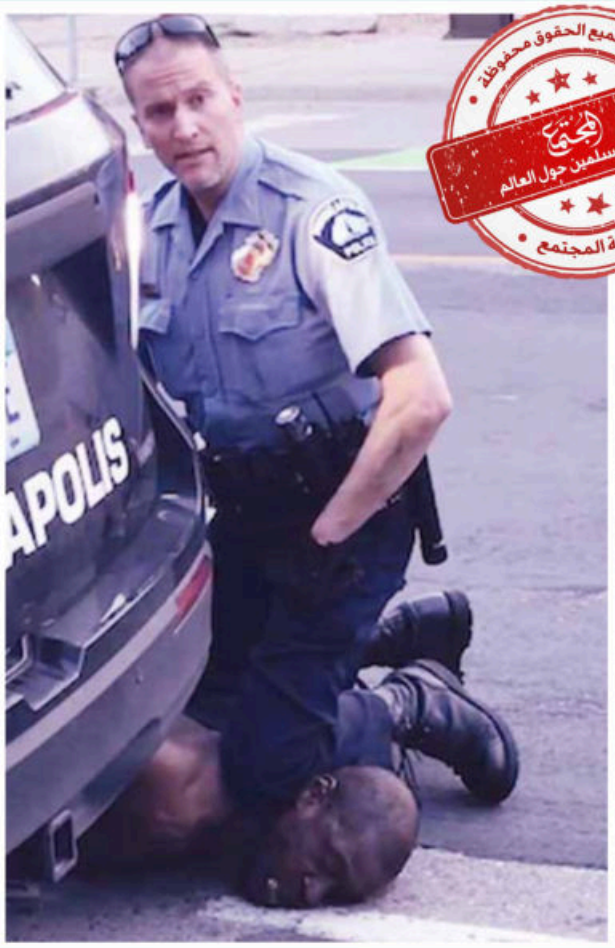

جميع الحقوق محفوظة
المجتمع
مجلة المسلمين حول العالم
لدى مجلة المجتمع

@mugtama www.mugtama.com facebook.com/mugtama @mugtama

الكويت 750 فلساً ـ السعودية 10 ريالات ـ البحرين دينار بحريني ـ قطر 10 ريالات ـ سلطنة عمان ريال عماني ـ الأردن 1.750 دينار أردني ـ لبنان 4500 ليرة ـ المغرب 23 درهماً

USA $ 5 - Canada $ 6 - Australia AUD 6 - URB 3.5 - India INR 110 - Pakistan PRS 200 - Turkey TRY 7 - U.k £ 3

الآن موقع

المجتمع

بحلته الجديدة

facebook.com/mugtama

@mugtama

Mugtama magazine

mugtama

Info@Mugtama.com

www.mugtama.com

www.mugtama.com

«المجتمع» مجلة إسلامية عالمية شاملة

تصدر أسبوعياً عن «جمعية الإصلاح الاجتماعي» بدولة الكويت، وقد صدر العدد الأول منها يوم الثلاثاء 9 من المحرم 1390 هـ - 17 مارس 1970م، ومازالت منتظمة الصدور منذ ذلك التاريخ، حددت «المجتمع» هويتها في أول مقال افتتاحي بالقول: إنها «تستمد فكرها الأصيل من الإسلام، وعلى ضوئه وبمقياسه، وتتقبل - بصدر رحب - كل نقد هادف بناء، وترفض النقد الغوغائي الذي يأباه الخلق الإسلامي.. وتمد يدها لكل الناس، يداً ترفع راية الإسلام، وتبشر بالخير والبر، وتقف في تحدٍ لخصوم الإسلام.. وتكتب في كل القضايا التي تهم أمتنا، وتعالج مشكلات المجتمع بكل جرأة وأمانة، ولن تتخلى عن قضاياه».

ومازالت «المجتمع» ماضية في طريقها الذي رسمته لنفسها؛ حيث تتناول شتى القضايا التي تهم الأمة: القضية الفلسطينية والقدس والمسجد الأقصى - قضايا الأقليات الإسلامية حول العالم - موجات الغزو الثقافي والتيارات الفكرية المحرفة - موجات الانحلال الأخلاقي وتذويب الهوية - جهود المفكرين في ترسيخ الفكر الإسلامي وتربية أبناء الأمة - معالم الاقتصاد الإسلامي ودوره في بناء النهضة والنجاحات التي يحققها في مقابل الاقتصاد الربوي الذي كان السبب الأول في الكارثة المالية العالمية.. وغيرها من القضايا.

من أجل ذلك وغيره..

تبرع وساهم معنا بتوصيل أكثر من 3000 اشتراك

- لمراكز إسلامية تلح بطلبها
- لمدارس وجامعات إسلامية
- لقراء «المجتمع» في العالم الذين لا يستطيعون اقتناءها

الدفع على حساب : 0008881094 بنك بوبيان

(IBAN): KW54BBYN0000000000000008881094

البريد الإلكتروني: sales@mugtama.com

تليفون: 0096597228290 - تلفاكس: 0096522560525

AL-MUJTAMA'A

المجتمع

مجلة المسلمين في أنحاء العالم

العدد (2145) - (السنة 51)

إسلامية أسبوعية تصدر شهرياً مؤقتاً

تأسست عام 1390هـ - 1970م

جمعية الإصلاح الاجتماعي - الكويت

رأس مجلس إدارتها

حتى 1427/8/10هـ - 2006/9/3م

عبد الله علي المطوع يرحمه الله

رئيس التحرير

محمد سالم الراشد

مدير التحرير

جمال الشرقاوي

الإخراج الفني

مصطفى عزالدين

الآراء المنشورة بـ«المجتمع» تعبر عن رأي أصحابها وليست بالضرورة تعبر عن رأي المجلة

المراسلات

العنوان البريدي: الكويت ص.ب (4850) الصفاة.

الرمز البريدي (13049)

التحرير

22519539 - 22514180

22513616 (داخلي 205).

mujtamaa@gmail.com

info@mugtama.com

الاشتراكات والتوزيع

تليفاكس: 22560525 (00965)

sales@mugtama.com

الموقع الإلكتروني

www.mugtama.com

موقع جمعية الإصلاح

www.eslah.com

طبعت بمطابع «الهدف» التجارية

ادخل على موقع «المجتمع»

في هذا العدد

موضوع الغلاف

العنصرية في الغرب.. قوانين براقة وواقع مرير

- العمر: أزمة «كورونا» أبرزت سرعة استجابة المجتمع للتعامل مع الوضع الجديد 8
- رحلا عنَّا في يوليو.. مشاري البداح وفيصل المقهوي 12
- الحاج سعيد لوتاه.. إنجازات متعددة ومآثر متعدية 14
- هل يتعطل موسم الحج من أجل «كورونا»؟ 44
- خماسية النجاح بين الزوجين (ما بعد 15 سنة) 50
- مسلمو كينيا.. بين المد التنصيري والعوز المالي 57

مقالات

الإمام ابن عساكر — د. يوسف السند — 11

من هو مُحرِّر العبيد؟ — د. أحمد عيسى — 48

العبودية ما بين «كونتا كنتي» و«جورج فلويد».. والتعديل «الثالث عشر» — محمد سالم الراشد — 66

حركة «المجتمع» في فضاء الإعلام

أمر الله سبحانه وتعالى المسلم أن يعيش حياته نسيجاً واحداً متكاملاً شاملاً لله عز وجل، وأمره أن يكون شعاره في الحياة ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ ﴿١٦٣﴾﴾ (الأنعام).

وأراد الإسلام من أتباعه أن يعيشوا حياتهم الاجتماعية والسياسية والعلمية والنفسية والتربوية والإعلامية، وما شئت من أسماء ومسميات مرتبطة ارتباطاً وثيقاً بعرى هذا الدين سواء بسواء، ومن هذا المنطلق القيمي تنطلق «المجتمع» في فضاء الإعلام، متخذة شمولية الرسالة الإعلامية شعاراً لها؛ فتجمع بين الشأن الديني والتناول السياسي والتحليل الاقتصادي والتوجيه الأسري والتربوي.■

آية العدد

﴿قَالُواْ يَا مُوسَى إِنَّا لَن نَّدْخُلَهَا أَبَداً مَّا دَامُواْ فِيهَا فَاذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلَا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ ﴿٢٤﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّي لا أَمْلِكُ إِلاَّ نَفْسِي وَأَخِي فَافْرُقْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ ﴿٢٥﴾ قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً يَتِيهُونَ فِي الأَرْضِ فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ ﴿٢٦﴾﴾

(المائدة)

الكيان الصهيوني.. و53 عاماً على تهويد القدس

53 عاماً، هي المدة الشاهدة على جرائم الاحتلال الصهيوني بحق المسجد الأقصى المبارك.

فقد مرت، يوم السبت 27 يونيو الماضي، الذكرى الـ53 لقرار ضم الكيان الصهيوني لمدينة القدس الشرقية، الذي مهّد الطريق أمام الكيان لقرار اعتبار القدس المحتلة عاصمة له.

هذا القرار الذي صدر عن «الكنيست» (البرلمان) الصهيوني عام 1967م، لم يحظَ بشرعية دولية، وعلى العكس تماماً، فقد صدر عن الأمم المتحدة عدد من القرارات تطالب الكيان الصهيوني بالتراجع عن إجراءاته في القدس الشرقية.

وما زال الكيان الصهيوني يخالف القرارات الدولية بسيطرته الإدارية والسياسية على المدينة، كما يسعى لفرض أمر واقع على الفلسطينيين والمجتمع الدولي، باعتبار «القدس كاملة» عاصمة له.

وشجّعت الإدارة الأمريكية الحالية، برئاسة «دونالد ترمب»، الكيان الصهيوني في مشاريعه الاستعمارية، حيث اعترف الرئيس الأمريكي «ترمب»، في ديسمبر 2017م، بمدينة القدس (غير مقسمة) عاصمة للكيان الصهيوني.

وتأتي هذه الذكرى في ظل مواصلة حكومة الكيان الصهيوني مساعيها لضم المزيد من الأراضي الفلسطينية إلى سيادتها، حيث تعتزم ضم أكثر من 30% من مساحة الضفة الغربية المحتلة، وغور الأردن.

وقد واجهت هذه المساعي رفضاً عربياً وإسلامياً واسعاً، كان على رأسه تنديد منظمة التعاون الإسلامي التي وصفت المخططات الصهيونية بـ «الاستعمارية»، وأنها محاولات تهدف لتغيير التركيبة الديمجرافية وطابع ووضع الأراضي الفلسطينية منذ عام 1967م بما فيه وضع مدينة القدس، وجددت التأكيد على مركزية القضية والقدس الشريف بالنسبة للأمة الإسلامية، وحذرت من ضم أي جزء من الأراضي الفلسطينية المحتلة، واعتبرته اعتداءً سافراً على الحقوق التاريخية والقانونية والسياسية للشعب الفلسطيني، وانتهاكاً صارخاً لميثاق وقرارات الأمم المتحدة، وقواعد القانون الدولي.

إن كل ذرة من تراب فلسطين هي أرض مقدسة ومباركة، وهي أمانة في عنق كل مسلم، ولا يمكن التنازل عنها أو التفريط بها.

وإن جموع الأمة الإسلامية مطالبة بالوقوف خلف الشعب الفلسطيني في خندق المقاومة والمواجهة ضد مشروع الهيمنة الصهيوني، في أوسع مقاومة ومواجهة شاملة مع الاحتلال، وبذل كل الإمكانات الشعبية والميدانية والسياسية والقانونية والإعلامية والكفاحية؛ لإسقاط هذا المشروع التوسعي.■

وكلاء التوزيع:

الكويت: شركة باب الكويت للصحافة:
ت : 22272733 ف: 22272736
distribution@alanba.com.kw

الشركة السعودية للتوزيع
Saudi Distribution Co.

السعودية:الشركة السعودية للتوزيع:
www.saudidistribution.com
الإدارة العامة: الرياض0096612128000
فرع الرياض: 0096612705837

فرع جدة: 0096626530909
فرع الدمام: 0096638473569

قطر :
دار الثقافة ت: 4622182 / ف: 4621800
البحرين :
مؤسسة الأيام للصحافة والنشر والتوزيع
ت :725111 / ف : 723763
TURKIYE- DUNY SUPER DAGITIM
Tel: (90 -1) 5120190
Fax: (90- 1) 5140883

الاشتراكات:

الكويت: 10 دنانير كويتية
الدول العربية: 17 ديناراً كويتياً
الدول الأجنبية: 25 ديناراً كويتياً
للمؤسسات والشركات: 30 ديناراً كويتياً

تشمل عمولة التحويل

الإعلانات :
امتياز الإعلان : مجلة المجتمع
ت: 22560525 - 22560526 الكويت.

الحياة الطبيعية تعود للكويت تدريجياً

استأنفت قطاعات عديدة عملها في الكويت بعد اعتماد سلطات البلاد خطة لعودة الحياة الطبيعية تدريجياً وفق شروط صحية صارمة بسبب جائحة كورونا.

مع بدء المرحلة الثانية من خطة العودة التدريجية للحياة الطبيعية وعودة الحياة إلى الجهات الحكومية، عاد الأمل إلى نفوس الموظفين المتشوقين إلى مكاتبهم مع التزامهم بكافة الإجراءات الاحترازية.

هذا، وقد عاد الدوام في الوزارات والجهات الحكومية جزئياً بنسبة 30% من الكوادر، بناء على قرار سابق للحكومة بعد توقف دام لنحو أربعة أشهر.

كما فتحت الشركات، والمحال التجارية، والأسواق الكبرى، أبوابها مع اعتماد شروط صحية فرضتها الحكومة الكويتية مثل ارتداء الكمامات، والتباعد الجسدي، وتوفير وسائل تعقيم الأيدي، والحواجز الواقية، وتهوية أماكن العمل، وتعقيمها باستمرار.

وعادت الحركة لشوارع العاصمة الكويت بعد ركود خلال الفترة السابقة، وإن لم تصل إلى حالتها الطبيعية.

وأعلن مدير عام بلدية الكويت، أحمد المنفوحي، السماح بفتح المجمعات التجارية من الساعة 10 صباحاً حتى 6 مساء، وأشار إلى السماح للمطاعم والمقاهي بجميع أنواعها تقديم خدماتها عن طريق التوصيل للمنازل، أو تسليم الطلبات للزبائن من الساعة 6 صباحاً حتى الساعة 7 ونصف مساء، دون الجلوس.

الوزارات والهيئات

أكد وكيل وزارة الشؤون الاجتماعية عبدالعزيز شعيب أن الوزارة استعدت بكل قطاعاتها للانتقال إلى المرحلة الثانية لعودة الحياة الطبيعية بكل أنشطتها اعتباراً من الثلاثاء 30 يونيو الماضي بالعديد من الإجراءات الاحترازية لمواجهة انتشار فيروس «كورونا المستجد»؛ للمحافظة على صحة وسلامة نزلاء قطاع الرعاية الاجتماعية وموظفي الوزارة ومراجعيها، كاشفاً عن إطلاق الوزارة تطبيق «وافي» لتسهيل وسرعة إنجاز معاملات المراجعين والمستفيدين.

وقال وكيل وزارة الكهرباء والماء بالتكليف والناطق الرسمي م. جاسم النوري: إنه بناء على القرارات الصادرة من مجلس الوزراء وديوان الخدمة المدنية بشأن اتخاذ الإجراءات التنفيذية اللازمة للعودة التدريجية للعمل للموظفين، قامت الوزارة بوضع خطة لعودة الموظفين لمقرات العمل تدريجياً، حيث استقبلت الموظفين للعمل بنسبة 25٪ وفقاً لاحتياجات العمل، وتمت مراعاة إجراءات الأمن والسلامة وتطبيق قواعد التباعد الاجتماعي في المكاتب.

ووسط إجراءات احترازية مكثفة، استقبلت وزارة التربية مراجعيها مع بدء المرحلة الثانية من عودة الحياة التدريجية للعمل، حيث تم توزيع فرق عمل تطوعية للفحص وكشف الحرارة للمراجعين والموظفين، إضافة إلى توفير المعقمات والمطهرات بمرافق الوزارة المختلفة.

فقد أكد الوكيل المساعد للتنمية التربوية والأنشطة فيصل المقصيد، أنه تم استئناف الدوام الرسمي لموظفي وزارة التربية وفق الضوابط والشروط التي وضعتها وزارة الصحة في استقبال الموظفين واتخاذ جميع الإجراءات الصحية والالتزام بالتباعد الاجتماعي.

وقال وكيل وزارة النفط الشيخ د. نمر الصباح: إن الوزارة حرصت على اتباع أقصى الإجراءات الاحترازية الصحية الصارمة لعودة الموظفين الآمنة للعمل من جديد، وأوضح د. الصباح أنه تم تحديد عدد ساعات العمل خلال المرحلة الثانية من خطة العودة التدريجية للعمل لتصبح 4 ساعات، لافتاً إلى أنه لا يُسمح لغير المدرجين في جداول المكلفين بالحضور لمقر العمل.

واستقبلت وزارة الصحة المراجعين بإجراءات وقائية واحترازية؛ حيث ألزمت جميع الموظفين والمراجعين بارتداء الكمامات عند دخول مبنى الوزارة والمرافق الصحية التابعة لها، فضلاً عن تطبيق الإرشادات الوقائية، كما تقوم بعمل الفحص الحراري للمراجعين والموظفين عند بوابات الدخول، وأكد مدير إدارة السجل العام ومراقبة الدوام بالوزارة نجيب العوضي أن العاملين بمبنى الوزارة بكل القطاعات داوموا حسب قرار مجلس الوزراء بنسبة 30% من العاملين بمختلف الوزارات والهيئات.

وانتظم كذلك العمل في جميع قطاعات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية وفقاً لقرارات الوزير العفاسي من الساعة 9 صباحاً حتى 1 ظهراً بنسبة 30%، وكان واضحاً التزام إدارات الشؤون المالية والإدارية وخدمة المواطن والإعلام ومكاتب الوكلاء والمديرين المصرح لهم بالدوام

بنسبة 30% سواء في المقر الرئيس للوزارة ببرج التوأم أو بإدارات قطاع المساجد والدراسات والعلاقات الخارجية والحج والشؤون الثقافية والتخطيط والتطوير وغيرها، وحرصت وزارة الأوقاف على توفير كافة المعقمات بمختلف الإدارات والتشديد على الالتزام بالضوابط الصحية.

ومن جانبها، استقبلت الهيئة العامة لذوي الإعاقة موظفيها بنسبة 30% وفقاً لقرار مجلس الوزراء، وسط إجراءات احترازية وعبر بوابتين فقط، وأجمع الموظفون على أهمية الالتزام بالإرشادات والاشتراطات الوقائية، كما أبدوا حماسة للعمل الذي تغيبوا عنه قسراً خلال أزمة جائحة «كورونا»، وعمدت الهيئة إلى نشر اللوحات الإرشادية في كافة الممرات والمداخل وفي كافة القطاعات والإدارات.

واستؤنف دوام موظفي جامعة الكويت وفق النسبة التي حددها مجلس الوزراء للمرحلة الثانية؛ بحيث لا تزيد على 30%، وقد اتخذت الجامعة كافة الإجراءات الاحترازية بدءاً من الفحص الحراري عند بوابات الجامعة، والالتزام بارتداء الكمامات والقفازات والتباعد الجسدي وترك المسافات، حيث وضعت اللوحات الإرشادية في كافة أرجاء الجامعة.

واستقبلت الهيئة العامة للبيئة موظفيها أيضاً عند 9 صباحاً بإجراءات صحية مشددة سواء لناحية قياس درجات الحرارة أو التشديد على وضع الكمامات والقفازات، وكذلك المحافظة على التباعد الاجتماعي، وبشأن إجراءات العودة، قال مدير إدارة الشؤون الإدارية نواف السرهيد: إن إجراءات الهيئة للعودة تمت بمرونة؛ حيث تم إعداد خطة لذلك بما يتناسب مع قرارات مجلس الوزراء ومجلس الخدمة المدنية بعدم تجاوز حدود الـ 30% من طاقة العمل.

المطاعم ومحلات الهواتف

هذا، وقد استقبلت المطاعم والمقاهي زبائنها على أن تسلم الوجبات والمشروبات للمستهلكين دون الجلوس بعد أن كانت تقوم بتوصيل الطلبات الخارجية فقط.

فيما شهدت محلات التجزئة إقبالاً ضعيفاً في المرحلة الثانية من خطة العودة إلى الحياة الطبيعية، حيث فتحت المجمعات والأسواق أبوابها بعد توقف استمر قرابة 120 يوماً، كما قامت فرق تفتيشية من البلدية ووزارة التجارة بجولات ميدانية على الأسواق.

وتنفست محلات بيع الهواتف الصعداء بعد أكثر من 3 أشهر من الانقطاع والتوقف، تكبدت خلالها خسائر كبيرة بسبب توقف أعمال البيع، ورغم عودة بعض المحلات للعمل، فإن معاناة أصحابها بدت واضحة على وجوههم، خاصة أن أغلبها محلات صغيرة تعتمد في عملها على المبادلة في جانب، وتصليح الهواتف وبيع قطع غيارها في جانب آخر؛ ما يجعل أي هزة صغيرة تؤثر فيها.

وكان مجلس الوزراء الكويتي أعلن استئناف دوام الموظفين اعتباراً من الثلاثاء 30 يونيو، بعد توقف منذ نهاية فبراير الماضي.

وقال رئيس مركز التواصل الحكومي طارق المزرم، في تصريح له آنذاك: إن الدوام يشمل 30% من الموظفين فقط، ولن يكون هناك استقبال للمراجعين خلال هذه الفترة، وأشار إلى تعديل الحظر الجزئي المفروض على البلاد ليصبح من الثامنة مساء إلى الخامسة صباحاً، بعد أن كان من السابعة مساء إلى الخامسة صباحاً.■

محمد العمر

رئيس «فريق الأزمة» بجمعية الإصلاح الاجتماعي:

أزمة «كورونا» أبرزت سرعة استجابة المجتمع للتعامل مع الوضع الجديد

حرصت جمعية الإصلاح الاجتماعي -كعادتها- على القيام بدورها في كل الأعمال الوطنية، والأدوار المهمة في تاريخ الكويت؛ فللجمعية مساهماتها التي لا تخفى، وهي موثقة منذ أيام الغزو الغاشم، وقبله، وستظل بعون الله تعالى عوناً لكل أهل الكويت الحبيبة، سواء للمواطنين، أو المقيمين على أرضها.. واليوم هناك غزو من نوع آخر غزا العالم كله وليس الكويت فقط، وهو فيروس «كورونا»؛ لذا تداعى أبناء الجمعية للعمل كفريق من أجل مساعدة الدولة والجهات الحكومية، بالتعاون مع الجهات الخيرية، لتوفير سبل المساعدة والإعانة لكل الخيرين في هذا البلد.

وقد دعا أعضاء مجلس إدارة الجمعية منذ بداية الأزمة في نهاية فبراير الماضي إلى اجتماع للتفكير في كيفية مواجهة هذه الجائحة، وانتهى الاجتماع إلى اختيار فريق لمواجهة الأزمة، وتم تكليف محمد العمر، مدير الأنشطة التربوية بجمعية الإصلاح، برئاسة الفريق، الذي أجرت «المجتمع» معه هذا الحوار للتعرف على الفريق عن قرب؛ من حيث اختصاصاته ولجانه ودور العمل الخيري والتطوعي في مواجهة الأزمة.

حوار- سعد النشوان:

● **في ظل هذه الجائحة التي اجتاحت العالم كله، شكلت «الإصلاح» فريقاً للمساعدة في مواجهة هذه الأزمة، ما دوره واختصاصاته؟**

- أولاً، نسأل الله تعالى أن يرفع عنا جميعاً البلاء، وأن يعيننا على القيام بدورنا في خدمة وطننا الكويت خاصة في مثل هذه الظروف، وأن يتقبل منا.

أما فريق الأزمة الذي أشرف برئاسته، فقد اختص بأربع قضايا رئيسة، هي:

الأولى: التوعية العامة؛ فنحن أمام أزمة صحية، تحتاج إلى جهد في التوعية، وإرشاد المواطنين إلى سبل مواجهة هذا الفيروس وكيفية التعامل معه، سواء من الناحية الوقائية والطبية بالتعاون مع الجهات الصحية المختصة، أو من الناحية الشرعية، وهو كيف تعاون أسلافنا مع مثل هذه الأوبئة، وهو ما نستشفه من تراثنا الإسلامي، وكيف تم التعامل مع الأمراض والطواعين التي تخللت تاريخنا الإسلامي.

والثانية: تتعلق بالجانب الإغاثي؛ فقد توقف الكثير عن العمل، وأثر الحظر الكامل والجزئي على أعمالهم وحياتهم المعيشية؛ نتيجة الخلل الذي أصاب رواتبهم ومعاشاتهم؛ وبالتالي كانت هناك حاجة ملحة لإغاثتهم ومساعدتهم، ولذلك انبرى الجانب الإغاثي بدعم هؤلاء.

والثالثة: تتعلق بالجانب الشرعي العام؛ خصوصاً أنه واكب الأزمة دخول شهر رمضان المبارك، وكانت هناك حاجة ملحة لتفعيل هذا الدور، بإشغال المجتمع والأسر بكل ما هو مفيد؛ لذا كانت هناك الخواطر، ومجالس العلماء، والمسابقات الثقافية العامة والشرعية، وأنشطة للقرآن الكريم؛ حفظاً وتلاوة ومراجعة، ومسابقات، وكل هذه الأنشطة قامت بها اللجنة الشرعية، أو لجنة الدعوة العامة.

الرابعة (ذات الأهمية بمكان): تنظيم عمل المتطوعين من أجل الاستفادة من هذه الطاقات لأي طارئ جديد؛ ولا شك أن المتطوعين رافد مهم لأي عمل، وقد فتحنا باب التطوع من أول يوم عمل؛ مما ساهم في توزيع الجهد.

● **ما دور المتطوعين في مواجهة الأزمة؟**

- من القضايا التي قمنا بها تنظيم عمل المتطوعين، ودعوتهم، وتنسيبهم في الجمعية من أجل الاستفادة من هذه الطاقات على اختلاف أنواعها، في دعم أي نشاط جماهيري، قد نحتاجه في مستقبل الأيام، ولذلك قمنا بفتح أبواب التطوع منذ اليوم الأول الذي بدأنا فيه العمل كفريق، وكان الإقبال رائعاً من الرجال والنساء، ومن الشباب والفتيات؛ مما ساهم في توزيع الجهود، والاستفادة من كل الطاقات المتاحة.

● **ما اللجان العاملة في الفريق؟**

- فريق الأزمة متنوع المهام والأدوار، وكل مهمة تضطلع بها لجنة؛ فهناك الدور الخيري والإغاثي، ويمثله خالد الحسيني، وسعد العتيبي، وهما يمثلان «نماء»، والدور الإعلامي ويمثله سعد النشوان، والدور التطوعي ويمثله عبدالعزيز الياقوت،

ويوسف الهولي، بالإضافة إلى رؤساء الفروع في المحافظات، وكذلك عبدالرحمن الشطي الذي يمثل اللجنة الإعلامية.

وهذا التنوع يساعد على نجاح الفريق، ومع استعراض هذه الأدوار سنكتشف الحاجة إلى الطاقات الإعلامية، والصحفية، والبشرية ذات العلاقة بالمتطوعين الميدانيين على الأرض، بالإضافة إلى الإخوة الذين يقودون العمل الخيري والإنساني، وهذا التنوع خدم الفريق وساهم في الوصول إلى تلك النتائج الإيجابية التي وصلنا إليها، بفضل الله تعالى.

● هل واجه الفريق أي عوائق؟

– بلا شك هناك عوائق كثيرة واجهت الفريق؛ فالأزمة فاجأتنا، وباغتت العالم كله؛ لذا كانت هناك مجموعة من العوائق والصعوبات التي واجهتنا في بداية الأزمة، ولكن بفضل الله، ثم بتكاتف الفريق ودعم مجلس الإدارة، استطعنا تجاوزها، سواء على مستوى الاستعدادات المادية أو البشرية، وكذلك على مستوى التنسيق مع جهات العمل الخيري الأخرى، ووزارات الدولة ومؤسساتها.

ودائماً أعلن أن القطاع الخيري، أو منظمات المجتمع المدني، يجب أن يكون لها دور وحصة في بناء هذا البلد الكريم المعطاء، ولا بد من الحرص على إشراكها في أيام الرخاء والشدة، حتى تكتسب من الخبرات والإمكانيات ما يؤهلها لتقديم عمل متطور لبلدها وأهلها، وأثمن الدور الذي تم، وأتطلع أن يقوى وينمو مع الوقت.

● هل هذا الفريق مؤقت، أم مستمر بالعمل؟

– إن شاء الله سيكون الفريق مستمراً في جمعية الإصلاح؛ فالتجربة علّمتنا أهمية أن نكون مستعدين لخدمة هذا الوطن، والحاجة مطلوبة لتمتين وتدريب فريق التطوع؛ للتعامل مع أي خطر قد يواجه البلد.

وبعد مرور 4 أشهر تقريباً على الأزمة، تداعينا لتقييم الوضع، وانتهينا إلى واحدة من أهم التوصيات؛ بأن يكون هناك فريق جاهز ومدرَّب لمواجهة مثل هذه الأحداث في مستقبل الأيام.

● ما أبرز الجوانب التي تميّزتم بها كفريق بـ«الإصلاح» لمواجهة الأزمة؟

– كل أزمة تبرز جوانب القوة، والضعف؛

الفريق اختص بـ4 قضايا.. التوعية العامة والإغاثة والثقافة الشرعية وتنظيم عمل المتطوعين

الأزمة كشفت عن قضية العمالة الهامشية والمناطق العشوائية وضرورة التنسيق بين الحكومة والجهات الأهلية

فجوانب القوة تتمثل في سرعة استجابة المجتمع للتعامل مع الوضع الجديد، والالتزام بالنظم واللوائح، والابتعاد عن كل ما يعكر صفو السلم الاجتماعي، وتحمل القرارات التي كانت صعبة في بعض الأحيان، مثل الحظر الكلي أو الجزئي، وكذلك من الجميل أن المجتمع قد تحوّل إلى خلية نحل خصوصاً رجال العمل الاجتماعي والخيري، والمؤسسات الخيرية التي كان دورها محل تقدير من القيادة السياسية، ومن حضرة صاحب السمو، الذي أكّد دورها وثمّن العمل الذي تقوم به، ولا شك أن للمواطنين والمقيمين دوراً في هذا الأمر.

وهناك جوانب سلبية كشفت عنها الأزمة أيضاً؛ مثل موضوع العمالة الهامشية، والمدن العمالية التي كنا نأمل أن تكون موجودة اليوم، والمناطق العشوائية المكتظة التي كانت بؤراً لانتشار الأوبئة، وهذه واحدة من القضايا التي كشفت عنها الأزمة، والمطلوب هو التصدي لمعالجتها سريعاً في أول فرصة؛ فقضية الأزمة السكانية بالكويت، والتفاوت بين أعداد المواطنين مقارنة بالمقيمين، مهمة جداً، يجب الالتفات إليها؛ لأنه بالنهاية نحن –المجتمع– مسؤولون عن كل إنسان موجود على هذه الأرض، سواء كان مواطناً أو مقيماً؛ وبالتالي لا بد من الحرص على أن تكون العناصر البشرية الموجودة في الكويت مفيدة للمجتمع، وتشكِّل إضافة للكويت، لا عبئاً عليها، خصوصاً وقت الأزمات.

وكذلك موضوع التنسيق بين الجهات الحكومية والأهلية يحتاج إلى آليات أفضل مما عليه الآن، وأرجو أن نستفيد من هذه التجربة، ونعززها في الأيام القادمة.

● كيف تقيّمون دور الجمعيات الخيرية في مواجهة الجائحة؟

– في الحقيقة، أثبتت الجمعيات الخيرية جاهزية عالية، فكما هي مهتمة بالعمل الخيري الخارجي، كذلك تهتم أكثر بوطنها وأهلها، ولذلك تمخضت عنها حملة «فزعة الكويت»، التي تنادت لها كل الجمعيات الخيرية، وجمعت الأموال وصرفتها على حاجة البلد والناس والأسر الفقيرة، الذين تأثروا بهذه الأزمة فيما يتعلق بفقدانها مصادر رزقها أو رواتبها.

لا شك أن الجمعيات الخيرية عملت بتنسيق عالٍ جداً، من خلال توزيع الأدوار؛ فبعضها اشترك في أكثر من برنامج تنسيقي، سواء على مستوى السلع الغذائية، أو الخبرات، أو التجهيزات وتوريد المواد الغذائية، وهذه الأزمة أسست لعلاقة قادمة أفضل إن شاء الله.

وكانت «فزعة الكويت» الرسالة التي أطلقتها الجمعيات الخيرية عن دورها في هذه المرحلة، في ظل الأزمة التي تمر بها البلاد، وقد أكدت دورها في القرب من أبناء هذا الوطن في ظل الأزمات، وحتى لا يظن البعض أن عملنا الخيري خارج الكويت سيكون على حساب داخل الوطن، فقد تم ترجمة هذا الأمر عملياً حين فاجأتنا هذه الأزمة؛ حيث تداعينا لخدمة وطننا، وأعطينا الأولوية لأهلنا ومن يعيش على أرضنا، وأثبتت الأزمة أنه إذا احتاج الوطن والمواطنون والمقيمون فيه لهذه الجمعيات الخيرية فستكون بجانبهم ومعهم يداً بيد لخدمة بلادنا.■

المسؤولة النسائية في الحملة الوطنية التطوعية بـ«الإصلاح»

أبرار حمود الرومي لـ«المجتمع»:

عمل المرأة الكويتية في مواجهة «كورونا» واجب وطني وليس ترفاً

حوار - سعد النشوان:

أكدت أبرار حمود الرومي، المسؤولة النسائية في الحملة الوطنية التطوعية بجمعية الإصلاح الاجتماعي، أن المرأة هي أخت الرجل في كل ميدان، ومع أزمة جائحة «كورونا» وجدناها في الصفوف الأولى لمكافحة الوباء.

وأكدت، في حوارها مع «المجتمع»، أن المرأة أثبتت تميزها في هذا المجال، وشاركت في جميع مجالات العمل التطوعي المتاحة، سواء كانت في المجال الصحي أم التعاوني أم الخدمات العامة.

● لنلقِ الضوء على جانب من الجهد النسائي التطوعي الذي تجلت معالمه في أزمة «كورونا»، ونبذة عن الفريق؟

- بداية، أهلاً ومرحباً بكم، ونسعد بهذا الحوار مع مجلة «المجتمع».

فريقنا التطوعي منبثق من جمعية الإصلاح الاجتماعي التي بادرت كمؤسسة من مؤسسات المجتمع المدني المتميزة إلى استنفار كل طاقاتها لسد حاجات المجتمع في شتى المجالات، وبما أن الشباب يمثل أعلى نسبة من فئات المجتمع، ارتأت الجمعية تأسيس فريق شبابي ينظم عملية التطوع، ويوجه الشباب إلى استثمار طاقاته بما يفيد المجتمع في هذه الأزمة.

● كم عدد المتطوعات في الفريق؟

- يتكون فريقنا من 318 متطوعة في 4 مجالات، مقسمة إدارياً على النحو التالي: إدارة الفريق وتتكون من 12 متطوعة، وحدة الخدمات العامة وعدد المتطوعات فيها 146 متطوعة، وحدة الخدمات الصحية وتتكون من 63 متطوعة، وأخيراً وحدة الخدمات التعاونية وتضم 91 متطوعة.

● ما أهم إنجازاتكن خلال هذه الفترة؟

- قام الفريق بعدد من المهام التطوعية خلال هذه الفترة، وكان من أهمها إطلاق موقع تدريبي لمتطوعاتنا يحوي دورات تدريبية في المجالات التي تهمها لتهيئتها لميدان العمل، وقد احتوى الموقع على 7 دورات في 4 مجالات أساسية (المجال الطبي والشرعي والنفسي والأخلاقي)، وقدم الدورات نخبة من الدكاترة والمدربين المتميزين.

ومن الإنجازات أيضاً التعاون مع بنك الدم في تنظيم سير عملية التبرع بالدم على مدى 4 أيام، والتعاون مع لجنة نماء للزكاة والتنمية المجتمعية بتجهيز أكثر من 2500 سلة غذائية ورمضانية للأسر والأفراد المتضررين من الأزمة، وكذلك شاركنا في دراسة واستكمال أوراق 705 حالات من الأسر والأفراد المتضررين من أزمة «كورونا».

كما قمنا بالتواصل مع 1965 حالة مسجلة لدى «نماء» للتأكد من استلامها كروت تسوق المواد التموينية المغنطة، كما ساهمنا في تجهيز 275 وجبة للعاملين في الصفوف الأولى، وبلغ إجمالي ساعات التطوع 112 ساعة موزعة على 46 يوم تطوع.

● ماذا قدمت المرأة الكويتية لمكافحة «كورونا»؟

- المرأة هي أخت الرجل في كل ميدان، ومع أزمة جائحة «كورونا» وجدناها في الصفوف الأولى لمكافحة الوباء، سواء كانت من الطاقم الطبي أم الإداري، أم المتطوعات في شتى المجالات، ولا ننكر دورها في أسرتها بإدارة المنزل، وتوعية أطفالها وحمايتهم وشغل أوقات فراغهم بكل ما هو مفيد ويطور مهاراتهم.

● كيف تقيّمين مشاركة المرأة في العمل التطوعي خلال الأزمة؟

- تجربة المرأة الكويتية في العمل التطوعي قديمة ومتميزة؛ فمما يميز الكويت أن جميع فئات المجتمع تهتم بالعمل التطوعي؛ بدءاً من أميرنا، حفظه الله ورعاه، أمير الإنسانية الأب الحنون على أبناء شعبه، إلى الأطفال الصغار الذين فتحوا أعينهم على آباء وأجداد أصحاب فزعة ونخوة في إغاثة الملهوف ونصرة الضعيف والوقوف مع الحق.

وخلال هذه الأزمة، أثبتت المرأة تميزها في هذا المجال؛ فلم تتوانَ أن تكون ضمن الصفوف الأولى، وشاركت في جميع مجالات العمل التطوعي المتاحة، سواء كانت في المجال الصحي أم التعاوني أم الخدمات العامة.

● ما الرسالة التي تود الفتاة الكويتية إيصالها للشعب من خلال عملها في مكافحة «كورونا»؟

- عمل الفتاة في مكافحة «كورونا» ليس ترفاً أو لإثبات وجودها في الميدان؛ بل هو واجب وطني؛ فواجبها يحتم عليها أن تضحي بوقتها وعلمها وجهدها من أجل الوطن الذي قدم لنا كل مقومات وسبل العيش الرغيد في وقت الرخاء، وحان دورنا أن نقدم له وقت الشدة.

● كيف تخططن للمرحلة القادمة؟

- نسعى خلال المرحلة القادمة إلى توسيع مجالات العمل التطوعي لتشمل المجال التربوي والمهاري؛ حتى يضم أنشطة للأطفال والفتيات والشباب لاستغلال وقت فراغهم بما ينفعهم، ويساعد على تنمية مهاراتهم في مجالات مختلفة، وكذلك سنقوم بالتعاون مع «نماء» في مجال تجهيز وتوزيع السلال الغذائية على الأسر المتعففة والهدايا في المناطق المعزولة، وغيرها من المشاريع في مرحلة التخطيط سيتم الإعلان عنها لاحقاً.■

د. يوسف السند
إمام وخطيب بوزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بالكويت

www.mugtama.com

الفوائد التربوية والإيمانية من طبقات الشافعية

الإمام ابن عساكر

علي بن الحسن بن هِبَة الله بن عبدالله بن الحسين، الإمام الجليل، حافظ الأمة، أبو القاسم ابن عساكر.

هو الشيخ الإمام، ناصر السُّنّة وخادمها، وقامع جند الشيطان بعساكر اجتهاده وهادمها، إمام أهل الحديث في زمانه، وختام الجهابذة الحفّاظ، ولا ينكر أحدٌ منهم مكانة مكانه، مَحَطُّ رحال الطالبين، ومَوْئل ذوي الهمم من الراغبين، الواحد الذي أجمعت الأمة عليه، والواصل إلى ما لم تطمح الآمال إليه، والبحر الذي لا ساحل إليه.

وُلد في مستهل رجب سنة تسع وتسعين وأربعمائة للهجرة.

وسمع خلائق، وعدة شيوخه ألف وثلاثمائة شيخ، ومن النساء بضع وثمانون امرأة.

وارتحل إلى العراق ومكة والمدينة، وارتحل إلى بلاد العجم، فسمع بأصبهان، ونَيْسَابور، ومَرو، وتبريز، وميهَنة، وبَيْهق..

وسمع منه جماعة من الحفاظ كأبي العلاء الهَمَذانيّ، وأبي سعد السمعانيّ، وروى عنه الجمُّ الغفير، والعَدَد الكثير، ورُوِيت عنه مصنَّفاته وهو حيٌّ بالإجازة، في مدن خراسان وغيرها، وانتشر اسمه في الأرض، ذات الطول والعَرْض.

وكان قد تفقَّه في حداثته بدمشق على الفقيه أبي الحسن السُّلَميّ، ولما دخل بغداد لزم بها التفقُّه وسماعَ الدروس بالمدرسة النِّظامية، وقرأ الخلاف والنحو، ولم يزل طول عمره مواظباً على صلاة الجماعة، ملازماً لقراءة القرآن، مكثراً من النوافل والأذكار، والتسبيح آناء الليل وأطراف النهار، وله في العشر من شهر رمضان في كل يوم ختمة، غير ما يقرأه في الصلوات، وكان يختم كل جمعة، ولم يُرَ إلا في اشتغال، يُحاسب نفسه على ساعة تذهب في غير طاعة، يصدع بالحق لا يخاف في الله لومة لائم، ويسطو على أعداء الله المبتدعة ولا يبالي وإن رَغِمَ أنفُ الرَّاغم، لا تأخذه رأفةٌ في دين الله، ولا يقوم لغضبه أحدٌ إذا خاض الباغي في صفات الله.

قال له شيخه أبو الحسن بن قُبَيْس، وقد عزم على الرِّحلة: إني لَأرجو أن يُحيِيَ الله تعالى بك هذا الشأن، فكان كما قال، وعُدَّتْ كرامة للشيخ وبشارةً للحافظ.

ولما دخل بغداد أُعْجِب به العراقيُّون، وقالوا: ما رأينا مثله، وكذلك قال مشايخه الخُراسانيُّون.

وقال الحافظ أبو العَلاء الهَمَذانيّ لبعض تلامذته وقد استأذنه أن يسافر: إن عرفتَ أستاذاً أعلَم مني، أو يكون في الفَضْل مثلي فحينئذ آذنُ لك أن تسافرَ إليه، اللهم إلا أن تسافر إلى الشيخ الحافظ ابن عساكر، فإنه حافظ كما يجب.

وقال شيخه الخطيب أبو الفَضْل الطُّوسيّ: ما نعرف من يستحق هذا اللقبَ اليومَ سواه؛ يعني لفظة الحافظ.

وكان يُسَمَّى ببغداد شُعْلَةَ نار، من توقُّده، وذكائه وحسن إدراكه، لم يجتمع في شيوخه ما اجتمع فيه؛ من لزوم طريقة واحدة منذ أربعين سنة، يلازم الجماعة في الصف المقدَّم إلاَّ من عذر مانع، والاعتكاف والمواظبة عليه في الجامع، وإخراج حقّ الله، وعدم التطلّع إلى أسباب الدنيا، وإعراضه عن المناصب الدينيّة، كالإمامة والخطابة، بعد أن عُرِضتا عليه.

وقال ابن النجّار: هو إمام المحدِّثين في وقته، ومن انتهت إليه الرِّياسة في الحفظ والإتقان، والمعرفة التامّة بعلوم الحديث، والثقة والنُّبل، وحسن التَّصنيف والتجويد، وبه خُتم هذا الشأن.

وكان الملك العادل محمود بن زَنْكي نور الدين قد بَنى له دار الحديث النُّوريّة، فدرَّس بها إلى حين وفاته، غيرَ ملتفت إلى غيرها، ولا متطلِّع إلى زُخْرف الدنيا، ولا ناظر إلى محاسن دمشق ونُزَهها، بل لم يزل مواظباً على خدمة السُّنة والتعبُّد باختلاف أنواعه؛ صلاةً وصياماً واعتكافاً وصدقة، ونَشْرَ علم، وتشييع جنائز، وصِلات رَحِم إلى حين قُبِض، رحمه الله تعالى ورضي عنه.

توفي الحافظ في حادي عشر شهر رجب الفرد سنة إحدى وسبعين وخمسمائة، بدمشق ودُفن بمقبرة باب الصغير[1].

الفوائد الإيمانية والتربوية:

- كان علماء الإسلام، رحمهم الله تعالى، يتزودون دائماً بالزاد الإيماني التربوي من ملازمة لصلاة الجماعة وصيام النوافل وتلاوة القرآن الكريم والأذكار والتسبيح آناء الليل وأطراف النهار والصدقة وتشييع الجنائز والاعتكاف وصلة الرحم ونشر العلم.. فقد كان هذا زادهم حتى يلقوا الله تعالى.

- الحرص على طلب العلم والتفقُّه من الصغر وسن الشباب له دور في صياغة شخصية العالم وإتقانه للعلم والفنون؛ ولذلك يجب على المربين أن ينتبهوا للنماذج الموهوبة والمتميزة وتوجيهها وتربيتها والعناية بها، باعتبار كل واحد منهم مشروع عالم شرعي متمكن للمستقبل، بإذن الله تعالى.

- الحرص على التدريس والتربية والتعليم والدعوة إلى الخير من سمات العلماء الربانيين.

- كان العلماء لا يشغلهم أمر عن العلم والعبادة.

- الزهد في المناصب كان سمتاً معروفاً للعلماء الصادقين المخلصين.

- كان علماء الإسلام لا يرضون إلا بالحفظ والإتقان والمعرفة التامة لمختلف المعارف والعلوم، والحمد لله رب العالمين.■

الهامش

(1) عبدالوهاب بن علي السبكي، طبقات الشافعية الكبرى، ج7، تحقيق: عبدالفتاح محمد الحلو، محمود محمد الطناحي.

رحلا عنَّا في يوليو..

مشاري البداح وفيصل المقهوي

م. مشاري بداح الخشرم.. الداعية الدؤوب

ولد مشاري محمد عبدالمحسن بداح الخشرم، رحمه الله، في 22 ربيع الأول 1361هـ/ 8 أبريل 1942م، بمنطقة القبلة في مدينة الكويت من أسرة محافظة.

ارتبط في صباه وتعلق قلبه بالمساجد، فكان يحرص على إقامة الصلوات المفروضة بالمساجد، خاصة في مسجد بن شرف بمنطقة القبلة القريب من سكنه، مع رفيق دربه فيصل المقهوي، يرحمه الله.

وفي بداية عمره، وقبل أن يلتحق بالمدارس الحكومية، درس في الكتاتيب مبادئ القراءة والكتابة، ثم التحق بمدرسة ابتدائية في القبلة، ومتوسطة الشامية، ثم ثانوية الشويخ.

في فترة دراسته الثانوية، يقول فيصل المقهوي: دعينا إلى «جمعية الإرشاد الإسلامي» التي أصبحت «جمعية الإصلاح الاجتماعي» عام 1963م للانضمام والمساهمة في أنشطة الجمعية المتعددة من تعلم قراءة وحفظ القرآن، وتعلم فنون الخطابة وحفظ الأحاديث، والمشاركة في الأنشطة المتعددة؛ منها نشاط الكشافة، واستمر نشاطه إلى أن تخرج في ثانوية الشويخ وابتعث للدراسة الجامعية إلى الولايات المتحدة بجامعة بنسلفانيا قسم الهندسة الكهربائية.

كان لتربيته دور في اندفاعه الذاتي بالعمل الدعوي بأمريكا وإنشاء اتحاد الطلبة المسلمين

حرص أثناء رئاسته تحرير «المجتمع» على توسيع انتشارها من خلال عدة جولات بدول الخليج

نشاطه الدعوي بأمريكا:

كان لتربية الخشرم ونشاطه الذي سبق ذهابه إلى الولايات المتحدة الأمريكية أثر كبير في اندفاعه الذاتي بالعمل الدعوي، وكان له ولرفيق دربه فيصل المقهوي -الذي ابتعث للدراسة- وبعض أصحابه، منهم د. أحمد التوتنجي، الفضل في إنشاء اتحاد الطلبة المسلمين عام 1963 - 1964م، وكان الهدف من إنشائه المحافظة على إسلام الطلبة المسلمين بربطهم بدينهم، والتواصل مع الطلبة والجمعيات الأخرى.

وكان يلزم إشهار الاتحاد 20 ألف دولار، ولم يكن باستطاعة الطلبة تدبير هذا المبلغ، فعاد مشاري الخشرم إلى الكويت وجمع عشرة أضعاف هذا المبلغ تبرع بها أهل الخير في الكويت، وقد غطّى هذا المبلغ إشهار الاتحاد وإنشاء فروع له.

بعد تخرجه في جامعة بنسلفانيا بأمريكا عام 1965م وعودته إلى الكويت، عمل في هيئة الشعيبة الصناعية رئيساً للمهندسين، وتركز عمله في البنية التحتية للهيئة، وكان الرجل الثالث في المؤسسة، وفي عام 1970م استقال واشتغل بالأعمال الحرة، كما يقول ابنه أسامة.

رئاسة تحرير «المجتمع»:

في بداية عام 1970م، اختير كأول رئيس تحرير لمجلة «المجتمع»، لكن البداية لم تكن سهلة مع قلة الإمكانات، خاصة أن الإعلام الإسلامي حينها كان قليلاً وضعيفاً.

وقد اختارت «المجتمع» أن تكون مجلة إسلامية وسطية، تكون لجميع المسلمين في أنحاء العالم، ووضعت لها الأهداف والسياسات، وفي بداية عملها ركزت على قضية فلسطين وفضح التآمر الصليبي والنصيري على لبنان وفلسطين، وقضية الفساد الأخلاقي والاختلاط في جامعة الكويت.

وقد حرص، رحمه الله، أثناء رئاسته تحرير المجلة على توسيع انتشارها، فقام بجولات في السعودية ودول الخليج العربي تكللت بالنجاح، واستثمر كذلك موقعه في الكثير من الندوات واللقاءات والحوارات والمؤتمرات الداخلية والخارجية.

الأعمال الخيرية والتطوعية:

كانت للمهندس مشاري الخشرم أعمال خيرية لا يعلمها إلا القليل، فقد قام بإنشاء مدارس ومساجد ومستشفيات في شمال لبنان، كان هو وزملاؤه يجمعون التبرعات ويذهبون بها إليه، وبعد وفاته شعر أهل لبنان في الشمال بحزن شديد، فأصدروا بيان تعزية، سموه فيه «صديق المسلمين في لبنان».

وكان حريصاً على تعليم ومتابعة تحصيل أولاده، فجميعهم (بنون وبنات) جامعيون، وكان صديقاً لهم وقدوة حسنة.

وفاته:

كان قد أجرى عملية جراحية بالقلب في الثمانينيات بالولايات المتحدة، وبعد عشرين عاماً أصيب بنزيف في الرأس، أدخل على أثره مستشفى مبارك الكبير، وبعدما تعذر علاجه في الكويت أرسل إلى الولايات المتحدة، لكن ساءت حالته، حتى توفي في 1 يوليو 2010م.■

www.mugtama.com

فيصل سعود المقهوي.. تاريخ من الإنجازات

ولد فيصل المقهوي، في 30 ذو القعدة 1365هـ/ 25 أكتوبر 1946م، بمنطقة القبلة في فريج الشاوي قرب مسجد بن شرف بالكويت القديمة، وهو الثالث بين إخوته الذكور، وله من الأخوات خمس، وهو من عائلة محافظة، تعلق قلبه بالمسجد منذ الصغر، كان يحرص على أداء الفروض بالمساجد وخاصة مسجد بن شرف بالقبلة مع رفيق دربه مشاري بداح الخشرم، يرحمهما الله.

دراسته:

في بداية مراحله الدراسية، مثل أقرانه في ذلك الوقت، درس في الكتاتيب، ثم التحق بالمدارس الحكومية من المدرسة القبلية إلى الشامية، ثم إلى ثانوية الشويخ وتخرج فيها عام 1963م.

نشاطه الدعوي مبكراً:

في فترة الخمسينيات، نشأت جمعية الإرشاد الإسلامي في الكويت؛ فاستقطبت الكثير، ومنهم شباب صغار.

دُعي هو ورفيقه مشاري بداح الخشرم إلى الانضمام للجمعية للمساهمة في أنشطتها المتعددة، منها قراءة وحفظ القرآن وحفظ الأحاديث النبوية وتعلم الخطابة، ونشاط الكشافة، واستمر حرصه على الأنشطة الإسلامية والاهتمام بالشأن الإسلامي حتى تخرج في ثانوية الشويخ، ثم ابتعث للدراسة في الولايات المتحدة الأمريكية.

دراسته وعمله:

ابتعث إلى الولايات المتحدة الأمريكية، في 1963/12/25م، في تخصص جيولوجيا، وقد استغرقت فترة الدراسة 5 سنوات، تخللها انقطاع وعودة إلى الكويت والعمل في شركة النفط الكويتية لمدة سنة ثم العودة لاستكمال الدراسة.

التحق بعد تخرجه بمكتب سمو ولي العهد آنذاك الشيخ جابر الأحمد الصباح، يرحمه الله، بوظيفة باحث اقتصادي، واستمر بالعمل في الديوان الأميري لمدة خمس سنوات.

وانتقل بعدها إلى وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، وعُيِّن مديراً بمكتب الوزير العم يوسف الحجي، يرحمه الله، ثم مديراً للعلاقات العامة والإعلام، ومديراً لإدارة المسجد الكبير حتى تقاعده في عام 2001م.

حرص على الاهتمام بالأنشطة الإسلامية حتى تخرج في ثانوية الشويخ ثم ابتعث للدراسة بأمريكا

أسَّس جمعية النجاة والنادي العلمي ولجنة التعريف بالإسلام وجمعية الهلال الأحمر الكويتية

نشاطه الدعوي والإعلامي:

نشأ المقهوي في بيئة محافظة، وكان حريصاً على تلقي العلم والمعرفة والصحبة الصالحة، فقد كانت له مساهمات وأنشطة دعوية خلال فترة الدراسة، ففي مرحلة الدراسة المتوسطة والثانوية شارك في النشاط الأدبي لكتابة مقالات في مجلة الفصل الحائطية (مجلة «الشروق»)، وشارك في الأنشطة الدينية ضمن مجموعة الإرشاد التي كان يشرف عليها العم يوسف محمد النصف الذي كان في الفصل الرابع الثانوي، وكانت جمعية الإرشاد الإسلامي تزودهم بالكتب وانضم لتلك الجمعية فقد نشأ نشأة دينية.

مثل ما كان حرصه على الذهاب مع والده منذ الصغر للصلاة في مسجد بن شرف بالقبلة في مدينة الكويت القديمة، استمر هذا الاهتمام والحرص على تربيته الدينية والاهتمام بالشأن الإسلامي حتى بعد ابتعاثه للدراسة في أمريكا، فقد ساهم مع رفيقه مشاري الخشرم في إنشاء جمعية الطلبة المسلمين في أمريكا، بمشاركة أحمد عثمان من السودان، ود. أحمد توتنجي من العراق.

إنجازاته:

ترك المقهوي عدداً من الإنجازات التي تشهد له بالحركة والنشاط في حياته، منها:

1 – تأسيس جمعية النجاة الخيرية.
2 – تأسيس الجمعية الكويتية لمكافحة التدخين والسرطان.
3 – تأسيس النادي العلمي الكويتي.
4 – تأسيس لجنة التعريف بالإسلام.
5 – أول مدير لمسجد الدولة الكبير.
6 – تأسيس جمعية الهلال الأحمر الكويتية.
7 – تأسيس لجنة مسلمي ملاوي (لجنة مسلمي أفريقيا).
8 – أول رئيس لجمعية السرة التعاونية.

وفاته:

في مساء يوم الأحد 26 يوليو 2015م، توفي فيصل سعود المقهوي، وقبل وفاته بدقائق رفع أذان المغرب من ذلك اليوم، وجاء ابنه سعود ينبهه إلى الأذان –وهو في غيبوبة– يقول سعود: عندما نبهته للأذان ضغط على يدي، وبعدها فاضت روحه إلى بارئها. ■

الحاج سعيد لوتاه..

إنجازات متعددة ومآثر متعدية

خاص- «المجتمع»:

رحل عن دنيانا في الثامن والعشرين من يونيو الماضي رجل الأعمال الإماراتي الحاج سعيد أحمد ناصر آل لوتاه، عميد عائلة آل لوتاه بدولة الإمارات العربية المتحدة، عن عمر يناهز الـ97 عاماً، بعد حياة حافلة بالإنجازات التي تعددت تخصصاتها، والمآثر التي تعدّت الدول والمجالات.

ولد الحاج سعيد بن أحمد آل لوتاه في دبي عام 1923م، في أسرة عريقة عرف عنها اهتمامها بالتجارة والأعمال والمعرفة والعلوم؛ فترعرع في كنفها ليستقي منها علوم الحياة.

وبعد انتهائه من مرحلة التعليم الأساسي، انتقل إلى مجال العمل مع والده في غمار البحار والصحاري؛ لتكبر معه طموحاته وأحلامه، وتنمو شخصيته في مجالس والده والعائلة.

انتقل من العمل في تجارة اللؤلؤ إلى التجارة البحرية بين الخليج العربي والهند وسواحل أفريقيا، إلى أن أسس في منتصف الخمسينيات شركة للمقاولات في دبي ليبدأ مسيرة البناء في الوطن.

عُرف، رحمه الله تعالى، بحرصه على تأمل كتاب الله تعالى ومعايشته وتدبره، وقد وفقه الله عز وجل إلى أن يستنبط من تأملاته في القرآن الكريم العديد من الأفكار التي ترجمها على أرض الواقع في شكل مشروعات تقوم بخدمة البشرية؛ من خلال معالجة الفقر، والحد من تفشي الأمراض، وانتشار الفوضى؛ مثل مشروعي «السكن المنتج»، و«إنماء الصدقات» اللذين نفذهما في كل من السودان واليمن وسريلانكا.

إنجازات اقتصادية

أسس الحاج سعيد وترأس عدداً من الشركات والمؤسسات والجمعيات في دولة الإمارات العربية المتحدة؛ منها جمعية دبي التعاونية الاستهلاكية من أجل توفير اللحوم الإسلامية عام 1972م.

وفي عام 1975م أسس بنك دبي الإسلامي، وهو أول بنك إسلامي في العالم، وعمل رئيساً لمجلس إدارته لعدة سنوات عديدة، وقد نجح في الحفاظ على أن يظل أكبر بنك إسلامي في العالم، بعد أن بدأ برأس مال متواضع.

وكان معظم الاقتصاديين يعدون إنشاء البنك حينها مغامرة فاشلة، لكن الله تعالى وفَّقه وسدد خطاه؛ فكافح ونجح وأوصل الصيرفة الإسلامية لمستويات متقدمة، كما يقول د. علي القرة داغي، الأمين العام للاتحاد العالمي لعلماء المسلمين.

استنبط من تأملاته للقرآن مشروعات لخدمة البشرية بمعالجة الفقر والحد من تفشي الأمراض وانتشار الفوضى

وقد اتسعت بعده دائرة البنوك الإسلامية لتصل إلى 300 بنك تقريباً، وعشرات الآلاف من الفروع، ووصلت موجودات البنوك الإسلامية إلى أكثر من 3 تريليونات دولار.

واقتناعاً منه بأهمية العلم والتعليم، وأن مسيرة البناء لا يمكن أن يكون لها عماد إلا العلم، أسس المدرسة الإسلامية للتربية والتعليم في عام 1983م، التي تعتمد على إعداد الطالب في المرحلة التعليمية الأخيرة في الجانب التخصصي لينخرط مباشرة بعد ذلك في مجتمع العمل بما حصَّله من دراسة ومهنة.

الاهتمام بالمرأة

واعترافاً منه بمكانة المرأة ودورها في المجتمع، وتحقيقاً لطموح الكثير من الفتيات في دراسة الطب في بيئة تحافظ على الخصوصية المجتمعية، أسس كلية دبي

عام 1999م حصل على لقب رجل الاقتصاد الأول في الإمارات ومنح الدكتوراه الفخرية من جامعة باركتون الأمريكية

الطبية للبنات في عام 1986م لتتزامن مع إنشاء كلية الطب والعلوم الصحية في جامعة الإمارات العربية المتحدة، لكنها كانت الكلية الأولى التي تطبق نظاماً تعليمياً جديداً يختصر الوقت ويحقق الفائدة العلمية؛ إذ اختصر مدة الدراسة إلى ما يقارب 5 سنوات باتباع النظام الدراسي المكثف من خلال خفض معدل الإجازات السنوية؛ ليوفر على الطالبة سنة من الوقت تمضيها في التدريب العملي.

في عام 1994م حصلت الكلية على ترخيص من وزارة التعليم العالي والبحث العلمي في الدولة لتدريس علوم الطب البشري والجراحة، وكذلك تم معادلة درجة البكالوريوس في الطب والجراحة التي تمنحها الكلية بالدرجة الجامعية الأولى في الطب والجراحة، وفي عام 2000م حصلت الكلية على اعتراف منظمة الصحة العالمية.

كما تميز عام 1992م بمزيد من العطاء للحاج سعيد لوتاه في المجال الطبي؛ فقد أسس أول كلية للصيدلة في دبي، وكذلك مركز دبي للبحوث البيئية، ومركز دبي الطبي التخصصي، ومختبرات الأبحاث الطبية من أجل المراقبة الصحية وإجراء الأبحاث في مجال الأعشاب والطب النبوي.

وفي عام 1992م أيضاً أسس «المعهد التقني» لتخريج المهنيين في مختلف مجالات الصناعة والكهرباء والنجارة والفايبرجلاس، والسيارات، وتدريب طلاب تحت شعار «تعلم مهنة واملك ورشة»، وذلك قبل أن يقوم بتحويل المعهد التقني إلى «مركز لوتاه التقني»، بأسلوب جديد وفعال عبر نظرية متطورة «تعليم، تدريب، تطبيق»، وذلك عام 2005م.

وتُوِّجت جهوده في عام 1999م بحصوله على الدكتوراه الفخرية من جامعة باركتون في الولايات المتحدة الأمريكية، وكذلك كرمته عدة دول من مجلس التعاون الخليجي.

وفي عام 2000م، أسس أول جامعة بالاتصالات الحديثة عبر الإنترنت، وهي «جامعة آل لوتاه العالمية»، التي تشمل 5 كليات، هي: كلية المصارف الإسلامية، كلية الإدارة والقيادة، كلية الاقتصاد والتجارة، كلية المحاسبة، كلية علوم الحاسوب وتقنية المعلومات.

وفي عام 2003م، أسس المستشفى التعليمي ليكون ميداناً طبياً عالمياً في التطبيق والعلاج والبحوث الطبية.

إنجازات في سطور:

وللحاج سعيد الكثير من الإنجازات الأخرى التي نلخص أبرزها فيما يلي:

- أسس منطقة بورسعيد، مخلداً انتصارات حرب بورسعيد عام 1956م.
- أسس منطقة بدر مخلداً ذكرى معركة بدر الكبرى ومدينة لوتاه.
- أسس أول شركة للتأمين الإسلامي باسم «إياك» عام 1979م.
- أنشأ «مؤسسة تربية للأيتام» عام 1982م، لتربيتهم من عمر 5 سنوات إلى وقت تخرجهم وتشغيلهم بعد ذلك في مؤسساته وشركاته ثم تزويجهم.
- أسس أول مدرسة إسلامية بمراحلها الثلاث عام 1983م.
- أسس عدة مصانع، مثل: مصنع بولي باك (1993م)، ومصنع الأسلاك (1994م).
- أنشأ أول دورة في إعداد وتأهيل المعلم الشامل عبر شبكة الإنترنت؛ حيث تم تخريج الدفعة الأولى بنجاح عام 2004م.
- أسس موقعاً على شبكة الإنترنت لتعليم اللغة العربية للناطقين بغيرها باللغات: الإنجليزية، والتركية، والأردية، والصينية، والروسية، على مدار 24 ساعة ومجاناً.
- أسس ولأول مرة «المدرسة الصفية الشاملة»، حيث يديرها المعلم الشامل في مناطق عديدة، ويتخرج الطلاب فيها في سن التكليف، وأقام منها نموذجاً في دبي عام 2004 – 2005م.
- أسس نظاماً شاملاً للوقف الغذائي؛ حيث تستثمر الأرض، والمال، والإدارة والتسويق لإنتاج غذاء رخيص عام 2005م.

تكريم وتقدير

ونظراً لهذه الجهود والإنجازات العظيمة والمتنوعة التي قام بها الحاج سعيد لوتاه، حصل على العديد من الجوائز والتقديرات؛

أسس بنك دبي وهو أول بنك إسلامي في العالم وأوصل الصيرفة الإسلامية لمستويات متقدمة

منها جائزة تقديرية عن كتابه الموسوم «لماذا نتعلم» من جمعية المعلمين بدولة الإمارات العربية المتحدة عام 1996م.

كما حصل على لقب رجل الاقتصاد الأول في دولة الإمارات العربية المتحدة عام 1999م، وفي العام نفسه تم منحه درجة الدكتوراه الفخرية من جامعة باركتون في أيوا بالولايات المتحدة الأمريكية.

كما كان، رحمه الله تعالى، عضواً فعالاً في الرابطة البريطانية للتعليم المفتوح بإنجلترا، وتم منحه درجة الدكتوراه الفخرية من الأكاديمية الدولية للمعلوماتية في روسيا بالاتفاق مع هيئة الأمم المتحدة عام 2003م.

وتقديراً لاهتمامه بالعلم والطب والتعليم، ولإنجازاته الرائدة، استحق الحاج سعيد لوتاه الفوز بجائزة الشيخ حمدان بن راشد آل مكتوم للعلوم الطبية عن فئة جائزة حمدان للشخصيات المتميزة في المجال الطبي بدولة الإمارات العربية المتحدة لعامي 2003 – 2004م.

وفاته:

وفي الثامن والعشرين من يونيو الماضي، انتقل الحاج سعيد أحمد آل لوتاه إلى رحمة الله تعالى عن عمر يناهز 97 عاماً بعد معاناة مع المرض.

قالوا عنه:

وبعد وفاته، قام عدد كبير من العلماء والسياسيين والدعاة بنعي الحاج سعيد لوتاه، رحمه الله تعالى، مستذكرين مآثره وأعماله وإنجازاته.

فقد نعاه الشيخ محمد بن راشد آل مكتوم، نائب رئيس دولة الإمارات، رئيس مجلس الوزراء، قائلاً: «حط رحاله عند ربه اليوم الحاج سعيد أحمد آل لوتاه.. أنشأ أول بنك إسلامي في العالم، وكان تاجراً عصامياً له بصماته في اقتصاد دبي.. له يد طولى في الخير.. وهو أب للكثير من الأيتام.. عرفت فيه عقلاً راجحاً وحكمة وسكينة.. رحمك الله.. وتقبل عملك.. وألهم أهلك الصبر والسلوان».

وفي تغريدة له على موقع «تويتر» نعاه

المذكور: كان أحد كبار رواد الاقتصاد الإسلامي وصاحب الأيادي البيضاء في أعمال البر

المعتوق: رجل بأمة خلَّف سيرة عطرة وبصمات مشهودة في مجالات الخير ستظل شاهدة على إنجازاته ومآثره

د. خالد المذكور، رئيس جمعية الإصلاح الاجتماعي بالكويت، بأنه «كان رجلاً عصامياً محباً لدينه ووطنه، أسس في دبي أول مصرف إسلامي في العالم؛ وهو بنك دبي الإسلامي، كما أنشأ كلية للطب وكلية للصيدلة ومدارس إسلامية كثيرة، وكان متواضعاً زاهداً محباً للبذل والعطاء لنهضة الإسلام».

أما رئيس الهيئة الخيرية الإسلامية العالمية الكويتية المستشار بالديوان الأميري د. عبدالله المعتوق، فقد وصفه بأنه كان أحد كبار رواد الاقتصاد الإسلامي وصاحب الأيادي البيضاء في أعمال البر والخير.

وقال المعتوق في نعيه للراحل: «إنه رجل بأمة، رحل عن دنيانا بعد مسيرة طويلة وحافلة بشتى صور البذل والعطاء، وخلَّف سيرة عطرة وبصمات مشهودة في مجالات الخير والأعمال الإنسانية والفضاءات الاقتصادية الإسلامية والتعليمية والاجتماعية والدعوية التي ستظل شاهدة على نجاحاته الكبيرة وإنجازاته العظيمة ومآثره النبيلة».

ونوَّه إلى أن الحاج سعيد، رحمه الله، كان صاحب مبادرات خيرية وإنسانية عظيمة، وأن له باعاً كبيراً في خدمة البشرية عبر مشاريع معالجة الفقر والحد من تفشي الأمراض في العديد من الدول.

وأضاف المعتوق أن الراحل من رواد التعليم في العالم الإسلامي، وذكر أن له أعمالاً ومبادرات أخرى جليلة في مجالات الطب ومختبرات الأبحاث الطبية والأبحاث البيئية والأبحاث التقنية والاتصالات الحديثة والدراسات الأكاديمية وعلوم الحاسوب وتقنية المعلومات وغيرها.

أما د. علي القرة داغي، الأمين العام للاتحاد العالمي لعلماء المسلمين، فقد قال عنه: «فقد العالم الإسلامي أحد كبار رواد الاقتصاد الإسلامي الحاج سعيد لوتاه، رحمه الله؛ فقد كان قائماً في خدمة الإسلام وأمته؛ فهو مؤسس أول بنك إسلامي في العالم، وهو بنك دبي الإسلامي عام 1975م، ومؤسس الشركة العربية الإسلامية للتأمين عام 1979م، في وقت طغت الرأسمالية والبنوك الربوية على العالم».■

www.mugtama.com

العنصرية في الغرب.. قوانين برَّاقة وواقع مرير

جاءت حادثة وفاة الأمريكي الأسود «جورج فلويد»، مؤخراً، اختناقاً تحت ساق أحد رجال الشرطة؛ لتثير تساؤلات مهمة حول بعض الأفكار التي تم تدبيجها عن الغرب بصورة عامة، وأمريكا بصورة خاصة، حتى ترسخ في الأذهان أن الحياة هناك تشبه الحياة في المدينة الفاضلة التي كان يحلم بها «أفلاطون».

جاءت هذه الحادثة لتكشف زيف كثير من الادعاءات والصور الذهنية البرَّاقة الخادعة عن هذه الحضارة التي نشأت في الأساس على جماجم شعوب أخرى أبيدت بدم بارد.

ومن المفارقات أن هذه الحضارة تحاول استمداد أسباب بقائها واستمرارها على حساب الطعن في الحضارات الأخرى، وعلى رأسها الحضارة الإسلامية التي قامت في الأساس على منظومة من القيم الفاضلة التي شهد لها أعداؤها وخصومها قبل أبنائها ومحبيها.. كيف لا وهي مستمدة من كتاب رب العالمين الذي يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير، وسُنة نبيّه الأمين الذي جاء بالحنيفية السمحة؛ فانفتحت أمامه القلوب والعقول قبل القلاع والحصون؟!

وفي هذا الملف، تلقي «المجتمع» الضوء على قضية العنصرية في الغرب من خلال النموذج الأمريكي، مع مقارنة ذلك بما جاء به الإسلام من قيم رشيدة وأخلاق حميدة، وذلك من خلال الموضوعات التالية:

- خبراء ومتخصصون: العنصرية في الغرب.. قوانين برَّاقة وواقع مرير.
- المجتمع الأمريكي أبيض وأسود.. والإسلامي يضم كل الألوان.
- عنصرية اللون والمال بالولايات المتحدة الأمريكية.. رؤية إسلامية.

كيف عامل المسلمون عبيدهم؟ شذرات من مؤلفات الرحالة الغربيين.■

خبراء ومتخصصون لـ«المجتمع»:

العنصرية في الغرب..

قوانين برَّاقة وواقع مرير

تحقيق- علا سليمان:

من قال: إن العنصرية في الغرب قد انتهت بعد «مارتن لوثر كينج»، وإن السود هناك لم يعودوا منبوذين، ولم يعد يمارَس ضدهم تمييز أو عنصرية؟!

سؤال يبدو طبيعياً في ظل تلك الطلقات التي تلقاها مشروع المناضل ذي الأصول الأفريقية بعد الطلقة التي أودت بحياته هو، طلقات في جسد حلمه الذي ناضل من أجله حتى اغتيل في أول أبريل 1968م.

فلم يكن «جورج فلويد»، إذن، هو الطلقة الأولى التي حاولت اختراق جسد الحلم «اللوثري»، بل سبقتها طلقات كثيرة جعلت من هذا الحلم مجرد ذكرى، وأضحى معها الغرب وأمريكا على وجه الخصوص تعيش على فوهة بركان ينتظر الانفجار في أي لحظة.

في البداية، سنرصد بعض تلك المحطات في أمريكا على وجه الخصوص، باعتبارها «ترمومتر» يقاس به طبيعة التعاطي مع هذه القضية في العالم الغربي بأكمله.

وبعدها ستطرح «المجتمع» أسئلة يجيب عنها خبراء الاجتماع السياسي، والقانون الدولي، والشريعة الإسلامية، أسئلة من قبيل: هل يمكن تصنيف حادثة «فلويد» على أنها ضمن إطار التمييز العنصري، أم أنها حادثة فردية لا تعبر بحال «على المستوى القانوني» عن هذا النوع من الجرائم؟

وفي المقابل، هل هذه الهَبَّة من المجتمع الأمريكي ضد هذه الحادثة تم تغذيتها سياسياً للإيقاع بالرئيس الأمريكي «دونالد ترمب»، أم أنها هَبَّة حقوقية حقيقية؟ وبالتالي: هل يمكن أن تكون حادثة «فلويد» مسماراً في نعش الرأسمالية الغربية باعتبارها حاضنة هذه «العنصرية» بعيداً عن التكييف القانوني للمصطلح؟ وهل ستكون أمريكا بعد مقتل «فلويد» هي أمريكا قبله، أم أن الحادثة ستفرض نوعاً من التغيير؟ وما حجمه ومساراته؟ وما السر الذي يجعل كل ترسانة القوانين الأمريكية والغربية وإعلانات حقوق الإنسان فاشلة إلى الآن في احتواء هذه الظاهرة؟

والسؤال الأبرز، في المقابل: هل نجح النموذج الإسلامي في احتواء تلك الظاهرة؟ أو بالأحرى: كيف نجح؟ وما الآليات التي امتلكها هذا النموذج وجعلته قادراً على تحقيق هذا الذي حققه من نجاح يتحاكى به الجميع؟

التكييف القانوني:

البداية مع التكييف القانوني ليكون هو المنطلق الأساسي لتعاطينا مع الحدث على مستوى الفهم والإدراك، ثم على مستوى التعامل والاستشراف لما ستؤول إليه الأحداث.

«هناك فارق بين جرائم التمييز العنصري، وجرائم الفصل العنصري، والجريمتان جرائم ضد الإنسانية لا بد لتحققهما من توافر ركنين أساسيين»، بهذه العبارة بدأ د. أيمن سلامة، أستاذ القانون الدولي العام، حديثه لـ «المجتمع»، مشدداً على أن دوره كفقيه قانوني هو التأصيل بعيداً عن العواطف مع أو ضد في أي حادثة كانت.

وأكد سلامة أن أول هذين الركنين أن تكون تلك الممارسة بصورة ممنهجة ومتواترة ضد جماعة بعينها؛ عرقية كانت أو دينية أو مذهبية أو فكرية، والثاني أن تكون بيد الدولة وصادرة من أدواتها.

وبالنظر إلى حادثة «فلويد»، يرى أستاذ القانون الدولي أنها تخرج من هذا الإطار بداية حتى نستطيع فهم الحدث بصورة قانونية صحيحة، مؤكداً أنها وإن كانت بيد أدوات الدولة وهم رجال الشرطة، إلا أنها غير ممنهجة وغير متواترة ضد السود في عموم أمريكا وبصورة منهجية، فهي لا تعدو كونها حادثة فردية لها أسبابها المجتمعية أيضاً.

واستدرك سلامة: لا بد من النظر إلى الحادثة نظرة أكثر شمولاً، حيث درجت الإدارة الأمريكية في السنوات الأخيرة، واعتباراً من عام 2003م، ومنذ ارتكاب الجنود الأمريكيين لجرائم حرب وجرائم ضد الإنسانية سواء في العراق أو في أفغانستان أو في بقاع أخرى، إما على «تفليت» مرتكبي هذه الجرائم بصور كثيرة، منها أن يقوم الرئيس الأمريكي بإعفائهم.

وفضلاً عن ذلك -يتابع سلامة- وفي السنوات الأخيرة أيضاً، ارتُكبت جرائم حرب أو تعذيب أو قتل أو احتجاز تعسفي أو معاملة لا إنسانية أو معاملة مهينة، ضد مواطنين أمريكيين ذوي أصول أفريقية، ونتيجة أن مرتكبي هذه الجرائم بحق الضحايا لم يتم محاكمتهم المحاكمة الناجزة العادلة، ولم يحصل الضحايا وعائلاتهم على الإنصاف والتعويض اللازمين من الدولة الأمريكية؛ فما فتئت الشرطة الأمريكية بين الفينة والفينة على ارتكاب جرائم مماثلة وربما أشد قسوة ولا إنسانية من جريمة «فلويد».

ويرى سلامة أن هذه الجرائم تكاد تكون ظاهرة أمريكية تعتور المجتمع الأمريكي، ولا تستثنى منها المؤسسات التنفيذية والقضائية والتشريعية، ومن ثم وبالنظر إلى تشدق الولايات المتحدة الأمريكية بالديمقراطية وحقوق الإنسان، فلزاماً أن تقوم بدراسة شاملة يقوم بها المتخصصون والمعنيون على مختلف الصُّعد، وخاصة علماء الاجتماع والنفس والعرقيات، ودراسة كيفية استشراف ودرء كافة العوامل والعقبات والبواعث والنوازع التي تشجع الشرطة الأمريكية على عدم اعتبار التشريعات القانونية الأمريكية والتعليمات والتوجيهات التنفيذية الشرطية في التعامل مع المواطنين، سواء كانوا مشتبهاً بهم أو متهمين أو محتجزين.

د. أيمن سلامة:

حادثة «فلويد» تخرج عن إطار جرائم التمييز العنصري فهي مجرد حادثة فردية لها أسبابها المجتمعية

التراخي الأمريكي في معاقبة مرتكبي مثل هذه الجرائم جرَّأ كثيرين داخل الشرطة على تكرارها وبقسوة

تغيير ثقافي متدرج

«تغيير الأوضاع المتعلقة بأشكال التمييز العنصري هو في الأصل تغيير ثقافي تعليمي، يؤدي إلى تغيير قانوني وسياسي، فالعملية تدريجية، وليست بزرٍّ يتم الضغط عليه ليحدث تغييراً»، هكذا أكد د. سعيد صادق، أستاذ علم الاجتماع السياسي، في معرض إجابته عن سؤال طرحته «المجتمع»، وهو: هل ستكون حادثة «فلويد» كسابقاتها من الحوادث المصنفة «عنصرية» سرعان ما سيزول أثرها، أم أن أمريكا بعدها لن تكون هي أمريكا قبل الحادثة؟

وللتأكيد على أن التغيير في أمريكا والغرب في موضوع العنصرية هو في الأصل تغيير ثقافي متدرج، عاد أستاذ علم الاجتماع السياسي للتاريخ، قائلاً: عندما ننظر إلى تاريخ أمريكا نجد أن الدستور الأمريكي الذي تم وضعه عام 1788م لم يتم فيه ذكر السود، ولا المرأة تحديداً، فالمرأة والسود لم يكن لهم حق التصويت، وظلت هناك محاولات حثيثة لنيل هذا الحق، حتى عندما ظهرت المؤسسات الأمريكية كالشرطة مثلاً، كان عملها الأساسي يرتكز على ملاحقة العبيد السود الهاربين من مُلّاكهم، وبالتالي فإن تاريخ هذه المؤسسات وثقافتها التي كانت سائدة بداخلها والقوانين التي كانت تعمل بناء عليها كان تاريخاً مُتحيزاً ضد «المُلونين»، و«المُلونون» بالمناسبة هم «African American»، وليسوا الأفارقة المهاجرين في هذه الأيام، وهذا يجب أخذه في الاعتبار.

وتابع صادق أن الأمر كان في بعض الأوقات يرتبط بما يمكن أن نسميه المصلحة، ففي الولايات الجنوبية مثلاً كانت هناك رؤية اقتصادية مفادها استمرار العبيد؛ لأنهم عصب مزارع القطن والتبغ، ولكن الولايات الشمالية رفضت؛ بحجة أن ولاياتهم ولايات صناعية لا مكان للعبيد فيها، وهنا هدد الجنوبيون بالانفصال، ويشاء الله أن تحدث الحرب، فتتحرر القوانين، عام 1863م، ويتم النص على تحرير العبيد.

وهنا يستدرك أستاذ علم الاجتماع السياسي قائلاً: لكن الممارسة لم تكن بهذه الصورة، فقد ظهرت حركات في الجنوب

تندد بهذا الأمر، مثل حركة «KKK» التي كانت ترى أنه لا يحق للعبد أن يمشيَ حُرَّ نفسه، لا أمير عليه ولا سيد، فقامت بمذابح ومجازر ضدهم، وكانوا يصلبونهم على الشجر، إلى أن حدث ما يسمى تاريخياً بـ «الهجرة العظيمة»، بين عامي 1916 و1970م، انتقل على إثرها كثيرون من الأمريكيين الأفارقة من الجنوب إلى الشمال بسبب العنف العنصري.

ثقافة مجتمعية

ويخلص صادق من هذه التطوافة التاريخية إلى القول: إنه ليس معنى أن القانون ينص على شيء، أنه يُطبق على أرض الواقع، قلّما تجد من يتبع القانون، فالأمر يحتاج إلى ثقافة مجتمعية يتشربها العقل الجمعي في المجتمع.

ويدلل على ذلك قائلاً: في مصر مثلاً، بوصفها إحدى أكبر الدول العربية، فإن القانون فيها مثلاً لا يمنع المرأة من حق الترشح لأي منصب، ولكن ثقافياً؛ هل سنقبل بوجود «رئيسة الوزراء»، أو «شيخة الأزهر»؟ الوعي الجمعي لا يتقبل هذا حتى الآن! أنا قمت بوضع قوانين تمنح المرأة حق التعليم، والعمل، والترشح للمناصب العليا في البلاد، ولكن مجتمعياً لا يمكن قبول ذلك.

واستطرد صادق: أيضاً لا بد من التأكيد على أن العنصرية لا تقتصر على اللون، فهناك عنصرية الجنسية؛ فهذا أمريكي وهذا مصري وهذا خليجي وهذا صومالي، وهناك عنصرية الطبقية؛ فهذا غني وهذا فقير، وهناك العنصرية المذهبية بين السُّنة والشيعة والبروتستانت والأرثوذكس، والعنصرية السياسية، وكل تلك الأنواع تعج بها المجتمعات وتحتاج إلى تغيير ثقافي متدرج؛ بحيث تنشأ الأجيال على هذه الفكرة السمحة، ثم يأتي دور القوانين بعد ذلك لتكون عنواناً على تولي الدولة مقاليد الأمور.

واختتم صادق قائلاً: أريد أن أؤكد أن عالمنا العربي والإسلامي مليء بالممارسات العنصرية مختلفة الصور، وربما نظرة واحدة على مواقع التواصل العربية ترى كيف هي العنصرية الفكرية، والسياسية والمذهبية، بل والطبقية في بعض الأحيان، ولذلك فأنا أعجب من أنَّ من يمارسون كل هذه العنصرية ينشغلون بأمريكا وما حدث فيها!

فمشكلتنا هي انشغالنا بغيرنا -المتفوق علينا- وإهمالنا أنفسنا، ونحن أحق بها من أي أحد آخر.

النموذج الإسلامي.. لا مقارنة

«حينما تريد أن تعرف عظمة الإسلام كمنهج قادر على احتواء البشر جميعاً تحت مظلته على اختلاف أعراقهم وألوانهم ولغاتهم؛ فإن عليك أن تدرك أن حقوق الإنسان فيه جزء من الإيمان بالخالق جل وعلا، وأن فكرة الإيمان بالتبعية من أهم الحقوق التي كفلها الإسلام للإنسان»، بهذه العبارة المفتاحية استهل د. محمد أبو ليلة، أستاذ الدراسات الإسلامية باللغة الإنجليزية في جامعة الأزهر، حديثه لـ «المجتمع»، في معرض إجابته عن سؤال حول النموذج الإسلامي ونجاحه في احتواء ظاهرة العنصرية.. كيف نجح؟ وما الآليات التي ساعدته للوصول لهذا الاحتواء؟ تلك الآليات

د. سعيد صادق:

بالنظر إلى تاريخ أمريكا نجد أن الدستور الذي وضع عام 1788م لم يذكر السود ولا المرأة

الولايات الجنوبية حافظت على العبيد بمنطلق اقتصادي لأنهم عصب المزارع لكن الشمالية رفضتهم لنشاطها الصناعي

التي وضعت بلال بن رباح بجانب أبي بكر الصديق، ووضعت صهيب الرومي بجانب عبدالرحمن بن عوف؟

وقال د. أبو ليلة: إن فلسفة حقوق الإنسان في الإسلام تسمو فوق فكرة القوانين والدساتير والإعلانات الحقوقية، تسمو لدرجة أن تكون جزءاً من الاعتقاد، جزءاً من الثقافة الروحية التي يعيش بها المسلم، وفي القرآن والسُّنة آيات كثيرة تؤصل تلك المعاني وتجعل المسلم متشرباً تلك الثقافة بعيداً عن فكرة القوانين ذات المرجعية الأرضية التي فشلت فشلاً ذريعاً في دول كثيرة؛ لأنها لم تستند إلى قاعدة روحية قادرة على دعمها في أوقات المحن.

لكن أستاذ الدراسات الإسلامية يعود فيستدرك ويقول: ليس معنى ذلك أننا ضد هذه الإعلانات أو القوانين، مطلقاً، نحن مع كل ما يدعم التواصل البشري، لكننا نؤكد أن ديننا الحنيف فيه ما ليس في غيره، فهل يمكن قياس إعلان حقوق الإنسان في أثره مثلاً مع خطبة الوداع التي ألقاها نبينا صلى الله عليه وسلم، وهذا المقطع الملهم الذي يقول فيه النبي صلى الله عليه وسلم: «كلكم لآدم وآدم من تراب.. لا فضل لعربي على عجمي ولا لأبيض على أسود ولا لأسود على أبيض إلا بالتقوى والعمل الصالح»؟ هل يمكن أن يقاس مثلاً أي قانون ضد العنصرية في العرب أو أمريكا مع وصية النبي صلى الله عليه وسلم لأصحابه وهم ذاهبون للحرب في غزوة «مؤتة»، أو في سلوك النبي صلى الله عليه وسلم يوم «فتح مكة»؟!

ويتابع: لن أتعرض هنا لسيل من الآيات القرآنية التي تمثل ضمانة أساسية لتلك

الحقوق الإنسانية أياً كان صاحبها أبيض أو أسود سيداً أو عبداً، ويكفي أنه جعل الاعتقاد فيه سبحانه وتعالى أهم تلك الحقوق حين قال عز وجل: ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ﴾ (البقرة: 256)، وحين قال: ﴿فَمَن شَاءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَاءَ فَلْيَكْفُرْ﴾ (الكهف: 29)، وحين قال مخاطباً نبيه صلى الله عليه وسلم: ﴿أَفَأَنتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّى يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ﴾ (يونس: 99).

ويرى أبو ليلة أن ما أعطى المنهج الإسلامي تفرداً في مجال حقوق الإنسان، فضلاً عن سبقه فيها، هو أنه حوَّلها من مجال التنظير إلى التطبيق على يد النبي صلى الله عليه وسلم باعتباره القائد والرئيس المقتدى به، وإلا فمن الذي ساوى بين المهاجرين والأنصار في الحقوق والواجبات؟ من الذي جعل إماء المدينة وجواريها في الإسلام كعائشة، وحفصة، وأسماء؟ ومن الذي جعل سعد بن عبادة مساوياً لبلال بن رباح، وعبدالله بن مسعود؟ ومن الذي جعل أبا بكر مساوياً لأقل صحابي نسباً سواء في المدينة أو في مكة؟ رضي الله عنهم جميعاً.

النبي القدوة

ويتابع أبو ليلة: مَنْ الذي طبَّق القانون على الجميع معلناً الصرخة المدوية في أسماع التاريخ: «لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطع محمد يدها..»، بعد أن أخبرهم أن هلاك من سبقهم كان بسبب عنصريتهم في تطبيق القوانين على الفقراء والضعفاء وإعفاء ذوي المال والسلطان؟

ويتساءل أستاذ الدراسات الإسلامية: مَنْ الذي حمى حق الحياة للإنسان أياً كان؛ مسلماً أو غير مسلم؟ مَنْ الذي جاء بتشريع يجعل الزكاة فريضة يدفعها الغني ليحمل الفقير ويعينه، ليربط المجتمع كله برباط المحبة، بعيداً عن العنصرية الطبقية التي تتمثل في شعبين مختلفي الهموم؛ شعب في «الكمباوند» وآخر في العشوائيات، والأهم أن هذه الزكاة لا تقف عند المسلمين فقط، بل يمكن أن تدفع لغير المسلم داخل المجتمع الإسلامي، لأهل الكتاب، بل للكفار أنفسهم، لأن حماية حق الحياة لا يرتبط بالدين ولا بالعنصر ولا بالجنس أياً كان، بل ضمنه الإسلام للجميع؟

وعلى مستوى المرأة، يؤكد أبو ليلة

د. محمد أبو ليلة:

فلسفة حقوق الإنسان في الإسلام تسمو فوق فكرة القوانين والدساتير فهي جزء من الاعتقاد والثقافة

من محامد ديننا عدم تشريعه تشريعاً مباشراً ضد الرِّق

أن الإسلام حمى حقوقها على مستوى النصوص، وعلى مستوى التطبيق، فهناك نصوص تند عن الحصر تؤكد حقوق المرأة، وقد كُتبت فيها مجلدات من المستشرقين أنفسهم، وعلى مستوى التطبيق؛ هناك عصر تتيه به البشرية كلها، كانت المرأة فيه أيقونة التكريم داخل المجتمع المسلم؛ أماً وأختاً وزوجة وبنتاً.

ويرى أبو ليلة أن الإسلام لم يقف عند حقوق الإنسان في أوقات الرخاء، بل أكد حقوق الأسرى والمحاربين بطريقة تقف أمامها المحاولات البشرية عاجزة عن الوصول إلى هذا الرقي الذي ضمنه التشريع الإسلامي لهذه الفئات، يكفيك أن تعلم أن النبي نهى أصحابه وتابعيه من بعدهم عن متابعة المنهزم.. لماذا؟ إنها فلسفة أسمى من فكرة النصر والقضاء على الأعداء ذاتها، إنها فلسفة قائمة على فكرة الرغبة في أن ينجو الجميع ويعطى الآبق فرصة تلو فرصة ليتم عرض الإسلام عليه بصورة أكثر وضوحاً؛ لعل الله يكتب له النجاة، فكرة قائمة على الحب والرحمة للبشر.. كل البشر.

الرِّق.. شغب على الإسلام

وعن سؤال حول ما يشغب به البعض على الإسلام من أنه لم يشرع تشريعاً واضحاً ضد جريمة الرِّق، قال أبو ليلة: هذه النقطة على وجه التحديد هي من محامد هذا الدين العظيم، وأحد الدلائل الواضحة على أنه دين إلهي وليس تشريعاً بشرياً.

وأوضح أبو ليلة: في التشريعات الصادرة من البشر هناك محاولة لفرض الرؤى دون اعتبار لطبائع المجتمعات ولا لسنن الكون، وحينما يأتي الإسلام وجريمة الرِّق هي أحد روافد الاقتصاد العالمي، فإنه لا يمكن وهو دين إلهي المصدر أن يكون مصادماً لمصالح الناس حتى لا ينفر منه كثيرون، بل القدرة والإبداع يتجليان في أن تستطيع جعل الناس أنفسهم ينفرون من تلك الظاهرة، ويتركونها دون أن تمارَس عليهم سطوة، وهذا ما حدث.

ويتابع: وهذا ما فعله الإسلام العظيم حين أكد أن الحرية أسمى حق للإنسان في تلك الحياة، بنصوص كثيرة، وممارسة عظيمة للنبي صلى الله عليه وسلم، ثم هذه الوصايا المبثوثة في مصادر الإسلام قرآناً وسُنة بالرقيق، حيث يوصي بهم خيراً وباحترام آدميتهم، ثم هذه السلسلة من التشريعات التي تجعل العتق أحد مكفرات ذنوب كثيرة في القرآن الكريم، ثم التشجيع على التحرير لا على الاستعباد، ووضع مجموعة من الآليات الضامنة لحقوق الرقيق وحقوق من يملكونهم، فأباح للرقيق أن يكاتبوا أسيادهم، وأباح للأسياد أن يحرروهم بعد وفاتهم، إلى آخر تلك الآليات التي أسهمت بالفعل في اختفاء هذه الظاهرة بعد ذلك ولم توجد إلا لظروف سياسية لا علاقة لها بالدين من قريب أو بعيد.

واختتم أبو ليلة قائلاً: ونحن إذ ننتقد المجتمع الغربي على هذه العنصرية المتجذرة، ونفخر بنموذجنا الإسلامي، فإننا ننادي على المسلمين أن يقضوا على العنصرية بينهم بكل صورها؛ سياسية اجتماعية فكرية، ولا بد للمجتمعات الإسلامية أن تطبق قواعد الإسلام، وأهمها «الناس سواسية كأسنان المشط»، فأسوأ أنواع العنصرية في العالم الإسلامي هو ما يتعلق بالعدالة الاجتماعية المفتقدة داخل تلك المجتمعات.■

www.mugtama.com

بطش الشرطة بالسود متجذر في تاريخ أمريكا العنصري

كيشا بي. بلين (*)

المصدر: «Washington post»

اندلعت الاحتجاجات في مدينة مينيابوليس بعد قتل الشرطة للمواطن الأمريكي من أصل أفريقي «جورج فلويد»، الأسود البالغ من العمر 46 عاماً، وأظهر مقطع الفيديو الذي تم تداوله على نطاق واسع يوم القبض على الضحية ضابط شرطة أبيض يضغط بركبته في عنق «فلويد».

ويذكرنا قتل «فلويد» بذكرى قتل شرطة نيويورك «إريك جارنر»، وهو يئن مردداً: «لا أستطيع التنفس»، بينما يتجاهل الضابط أنينه وتوسلاته، وجاء مقتل «فلويد» بعد شهرين من قيام ضابط شرطة في لويزفيل بإطلاق النار على «برونا تايلور»، وهي مسعفة تبلغ من العمر 26 عاماً، خلال اقتحام شقتها.

قُدِّر على السود مواجهة تهديد بطش الشرطة مع تهديد «كورونا» المنتشر في مجتمعاتهم بشكل أكبر من البيض

في بداية القرن العشرين ظهر الإعدام الوحشي للسيطرة على حركات السود بتأييد من الشرطة

بينما يدمر فيروس «كورونا» مجتمعات السود بمعدل أعلى، بشكل غير متناسب، من المجموعات العرقية الأخرى، قُدِّر على هؤلاء السود أن يواصلوا مواجهة تهديد آخر؛ هو بطش الشرطة، والمشكلتان ناتجتان عن عنصرية هيكلية مؤسسية منتشرة في الولايات المتحدة، ولكن معضلة بطش الشرطة متجذرة بعمق في نسيج الحياة الأمريكية تتجاوز خطر جائحة «كورونا».

وجاء مقتل كل من «فلويد»، و«تايلور» بعد نمط مأساوي من العنف العنصري الذي تقره الدولة، وهذا للأسف هو الذي شكل التاريخ الأمريكي لقرون؛ ففي حقبة العبودية كانت حياة السود تقيَّد بأنواع من الأغلال من قبل مجموعات منظمة من البيض الذين كانوا يقومون بحراسة الرقيق المستعبدين.

الرموز السوداء

وفي أعقاب الحرب الأهلية، أدى ظهور ما يسمى بـ «الرموز السوداء» إلى الحد من حقوق السود وحركتهم، وتشجيع قوات الشرطة الناشئة آنذاك، وجماعات اليقظة البيضاء، على القيام بأعمال عنيفة وشائنة تحت ستار القانون والنظام.

وتم في جميع أنحاء البلاد استهداف السود من قبل قوات الشرطة، والقبض عليهم بمعدلات أعلى من نظرائهم البيض، وفي الولايات الجنوبية ظلوا محاصرين في نظام من القيود التي تعكس تاريخاً من الاسترقاق والعبودية.

وفي بداية القرن العشرين، ظهرت عمليات الإعدام الوحشي كتكتيك آخر للسيطرة على حياة وحركات السود؛ فأيدت قوات الشرطة العنصرية عنف الغوغاء البيض بدلاً من تحديه وتحجيمه، وكما لاحظت الناشطة المناهضة للإبادة الجماعية «إيدا بي.ويلز-بارنيت» على موقع «السجل الأحمر»، فإن عمليات إعدام الأمريكيين السود لم يتم التخطيط لها مسبقاً فحسب، بل كانت تحظى بدعم كامل من الشرطة المحلية.

وفي كثير من الأحيان، كانت الشرطة تشارك الغوغاء البيض في مهاجمة السود رجالاً ونساء، وهناك آخرون من الشرطة كانوا متواطئين يعملون على حماية مصالح

(*) أستاذة مشاركة في التاريخ بجامعة بيتسبرج، ومؤلفة كتاب «أحرقوا العالم: نضال الأمريكيات السود من أجل الحرية» الحائز على عدة جوائز.

www.mugtama.com

الجناة البيض لضمان ألا يواجهوا عواقب أعمالهم العنيفة، ونتيجة لذلك تم إعدام الآلاف من السود بجميع أنحاء البلاد في محاكمات صورية.

ولقد نددت «ويلز بارنيت» وآخرون بهذا العنف الذي تمارسه الشرطة، ورغم ذلك استمر العنف؛ فخلال الصيف الأحمر لعام 1919م، اندلع العنف والانتفاضات العرقية المكثفة في أكثر من 12 مدينة بجميع أنحاء أمريكا؛ بسبب حادثة قتل عنصرية بشعة في شيكاغو، قُتل فيها «يوجين ويليامز»، وهو مراهق أمريكي من أصل أفريقي، في 27 يوليو 1919م، عندما تجرأ على السباحة في قسم «البيض فقط» في بحيرة ميتشجان!

وأثار موت «ويليامز» الوحشي بسبب تحدي ممارسات الفصل العنصري غير الرسمية على شواطئ شيكاغو، ورفض الشرطة اعتقال أي من قتلة «ويليامز» في مكان الحادث.. أثار أسبوعاً من الانتفاضات العنيفة في المدينة، وعندما انتهت «أعمال الشغب العرقية» في أغسطس 1919م، كان 15 من البيض و23 من السود قد قتلوا، وأصيب أكثر من 500 شخص، وفقدت آلاف العائلات السوداء منازلها.

وكلما اكتسبت حركة الحقوق المدنية زخماً جديداً؛ زاد استهداف النشطاء من قبل الشرطة المحلية التي تعمل جنباً إلى جنب مع المدنيين البيض لمنع السود من الحصول على الحقوق المدنية والسياسية، وقد لاحظ «لانجستون هيوز» أن الزنجي ليس له صوت، وأن الشرطة تعامله بوحشية، وجل المواطنين يعتقدون أن مثل هذه الديمقراطية الطبقية يجب إصلاحها.

جذور عنصرية

كشفت صور الشرطة التي تهاجم النشطاء السود خلال حملة برمنجهام عام 1963م، ومسيرات «سيلما» إلى «مونتجمري» عام 1965م، الجذور العنصرية للشرطة الأمريكية، وكيف استهدفت هذه الممارسات الرجال والنساء والأطفال، وكذلك فعلت التطورات المحلية في مينيابوليس خلال الستينيات.

ومثلما حدث في الانتفاضات الأخيرة رداً على مقتل «فلويد»، اشتبك السكان السود في المدينة مع الشرطة المحلية في صيف عام 1967م، وحسب روايات عديدة، اندلعت انتفاضات -أسفرت عن تدمير منازل وشركات- بسبب التوترات بين السكان المحليين وضباط والشرطة المقيمين في تلك المناطق.

وقد أدى تهديد قوات الشرطة المستمر لحياة الأمريكيين السود -بدلاً من حمايتهم- إلى قيام زعيم الحقوق المدنية «مارتن لوثر كنج» الابن بحملة لمواجهة هذه القضية خلال خطابه الشهير «لديَّ حلم»، في مارس 1963م بواشنطن، الذي قال فيه: «هناك من يسأل كل من يؤيد الحقوق المدنية: متى ستشعر بالرضا؟ لا يمكن أن نكون راضين أبداً ما دام الزنجي ضحية لأهوال ووحشية الشرطة التي لا توصف».

«لوثر كنج»: لا يمكن أن نكون راضين أبداً ما دام الزنجي ضحية لوحشية الشرطة التي لا توصف

رغم المكاسب السياسية لحركة الحقوق المدنية فإن السود ما زالوا يُعامَلون كمواطنين من الدرجة الثانية

وبحلول الثمانينيات والتسعينيات من القرن الماضي، كان من الواضح أن حلم «كنج» بأمة بدون بطش ووحشية من قبل الشرطة لم يتحقق؛ فمن بين ضحايا تجاوزات الشرطة البارزة في مدينة نيويورك فقط: «مايكل ستيوارت» (1983م)، «إليانور بومبورز» (1984م)، «مايكل جريفيث» (1986م)، «إدموند بيري» (1985م)، «إيفون سمالوود» (1987م)، «أبنر لويما» (1997م)، «أمادو ديالو» (1999م)، بالإضافة إلى ضرب الشرطة العنيف لـ «رودني كنج» في لوس أنجلوس عام 1991م، وهذا يدل على ارتباط جذور وحشية الشرطة الأمريكية بعنصرية هيكلية مؤسساتية، وغالباً ما يتم القبض على السود وإطلاق النار عليهم من قبل رجال الشرطة بشكل قاتل أكثر من نظرائهم من البيض، ونادراً ما يتم اتهام ضباط الشرطة بقتل السود غير المسلحين.

كل هذه الحقائق تشير إلى أنه على الرغم من المكاسب السياسية لحركة الحقوق المدنية، لا يزال السود يُعامَلون كمواطنين من الدرجة الثانية في الولايات المتحدة؛ فالأمريكيون السود اليوم يموتون على أيدي الشرطة بمعدل يكاد يكون معادلاً لعدد عمليات القتل الجماعي الموثقة قبل قرن من الزمان.

وكما كشف تقرير صدر عام 2019م، فإن عنف الشرطة هو الآن أحد الأسباب الرئيسة لوفاة السود في الولايات المتحدة، وكما يوضح تقرير «اذكر اسمها» للمنتدى السياسي الأمريكي الأفريقي، فإن النساء والفتيات السود معرضات أيضاً لعنف الشرطة ووحشيتها.

وقد أخرجت الانتفاضات الأخيرة في مينيابوليس إلى السطح استمرار عنف الشرطة في مجتمعات السود، والحاجة الملحة إلى سياسات تتبناها الولايات وسياسات فيدرالية تحمي المواطنين السود، وتضمن مقاضاة ومعاقبة ضباط الشرطة جنائياً، وكما تقول الصحفية الاستقصائية «بيرنت» عام 1909م: «لنتولَّ العمل معاً لتطبيق القانون، وجعله هو الأعلى والأكثر فعالية على كل شبر من الأراضي الأمريكية؛ درعاً للأبرياء، وعقاباً رادعاً ومؤكداً وسريعاً للمذنبين».■

المجتمع الأمريكي أبيض و أسود.. والإسلامي يضم كل الألوان

روضة علي عبدالغفار
صحفية وكاتبة

تعد مشكلة التجانس الاجتماعي إحدى أكبر المشكلات التي تواجه المجتمعات، خاصة إذا أدت إلى العنصرية والعصبية، ويقصد بالتجانس الاجتماعي التوافق والانسجام بين أفراد المجتمع بسبب وجود مصلحة واحدة تجمع الأطراف كلها، أو وجود فكرة توحد الجهود، فيعمل الجميع بيد واحدة وجهد واحد، ويمكن أن يكون المجتمع متعدد الأعراق والثقافات ولكنه متجانس، بمعنى أنهم يتوافقون ولا يتصادمون، ويتمتع كلٌ منهم بمساحة من الحرية.

يمثل عدم التجانس الاجتماعي عائقاً أمام استقرار الدولة، وإن حققت تقدماً على المستوى الاقتصادي، فسوف تظل مشكلة الحفاظ على التجانس العرقي قائمة، وإذا كانت غالبية الأعراق مستعدة لبذل تضحيات من أجل عدم إثارة التوتر، يظل في كل عرق عدد من المتطرفين الذين يريدون أن يعملوا من أجل عِرقهم فقط، ولو أدى ذلك للصدام والعنف، وتَفضي هذه المشكلات الاجتماعية بدورها إلى الصراع السياسي أو الدموي، فتَحُول بين الدولة وتحقيق الاستقرار الذي يتمثل بمدى التجانس والتآزر الذي يميز مجتمع الدولة.

نتعرض هنا لمقارنة بين المجتمع الغربي، ونأخذ أمريكا مثالاً، والمجتمع العربي والإسلامي، من خلال مدى تجانس وتضافر المجتمع ودوره في قيام وثبات الحضارة.

ثمة أسطورة إعلامية تقول: إن الولايات المتحدة تمكنت من إنهاء مشكلة العنصرية، لكن الأحداث الأخيرة في أمريكا تثبت عكس ذلك؛ حيث كشفت حادثة مقتل «جورج فلويد» عن أزمة تعانيها الولايات المتحدة منذ قرون، وأنها لم تنجح بعد في تجاوز التاريخ المرير للعبودية والتمييز العنصري في الممارسة العملية والثقافة السائدة في مؤسسات تطبيق القانون.

حادثة «فلويد» كشفت عن أزمة تعانيها أمريكا منذ قرون وأنها فشلت في تجاوز التاريخ المرير للعبودية والتمييز العنصري

مشكلات مجتمع السود تتجاوز التهميش والعنصرية إلى ظواهر أخرى أبرزها الفقر وعدم الأمان

ويصعب تحديد التقسيم العرقي الدقيق للولايات المتحدة الأمريكية؛ نظراً لأن غالبية الأمريكيين ينتمون إلى مجموعة متنوعة من الخلفيات العرقية، فهناك السكان الأصليون أو «الهنود الأمريكيون»؛ وهم الأفراد الذين كان أسلافهم السكان الأوائل للأرض، ثم جاءت الأجناس الأخرى بالهجرة إلى الولايات المتحدة -بعد اكتشافها من قبل الأوروبيين- من إنجلترا ودول أوروبية أخرى بشكل رئيس، ثم من أمريكا اللاتينية وآسيا، وكانت الدول الخمس التي ساهمت بأكبر عدد من المهاجرين إلى أمريكا، هي: المكسيك والهند والصين والفلبين وكوبا.

ونظراً لهذا التنوع من الناحية العرقية، اختلفت بطبيعة الحال أشكال البشر وألوانهم، وتنوعت المعتقدات والممارسات الدينية واللغات واللهجات، ومع عدم وجود مظلة تنصهر تحتها هذه الأعراق المتباينة حدث عدم الاستقرار الاجتماعي؛ فنجد حالة من التنافر بين أفراد المجتمع، قد تصل إلى حد ارتكاب الجرائم بسبب اختلاف العِرق.

وتحظى أمريكا بتاريخ عريض من العنصرية نتيجة عدم التجانس الاجتماعي، من خلال تعرض الأمريكيين من الأصل الأفريقي للعنصرية في مختلف مناحي الحياة، ورغم تبني القانون الذي يُجرّم التمييز العنصري، فإن السود في الولايات المتحدة ظلوا في وضع اجتماعي متدنٍّ بالنظر إلى أوضاعهم الاجتماعية في أسفل الهرم وضعف التأهيل.

ولا تقتصر مشكلات مجتمع السود الذي يشكل حوالي 13% من سكان الولايات المتحدة على التهميش والعنصرية فقط، وإنما يعاني من عدة ظواهر أيضاً، أبرزها الفقر وعدم الأمان، إذ يعيش 24.7% من السود تحت خط الفقر.

كما أن الاستهداف المنهج في تعامل الشرطة مع السود يجعلهم غير آمنين في بلدهم؛ فوفقاً لاستبيان «التمييز في أمريكا» الذي أجرته مؤسسة «الإذاعة الوطنية العامة»، خلال عام 2017م، قتلت الشرطة الأمريكية 1147 أمريكياً، من بينهم 25% من الأمريكيين من أصل أفريقي، حتى إن آباء الأطفال السود لا يثقون أن الشرطة لن تتعرض لأولادهم بالعنف، وتحاول هذه العائلات تجنب الاحتكاك بين أولادها والشرطة، مما يفضح هشاشة المجتمع في تلك البلاد، وعجز السلطة أن تسد الثغرات الراسخة في بنية مجتمعها.

هذا الوضع جعل أمريكا مهددة بالاحتجاجات وأحداث العنف الناتجة عن العنصرية، ولا تكاد حادثة تهدأ حتى تثور أخرى، وما خفي كان أعظم، ففي عام 1991م

ضجت الولايات المتحدة بالاحتجاجات وأعمال الشغب بعد تبرئة المحاكم الأمريكية لضباط شرطة لوس أنجلوس الذين أبرحوا مواطناً أسود ضرباً دون وجه حق، وفي ولاية فلوريدا، عام 1996م، قامت احتجاجات واسعة إثر مقتل شاب أسود غير مسلح على يد الشرطة الأمريكية، وفي عام 2016م أثار حادث مقتل رجل أسود على يد الشرطة الأمريكية غضباً شعبياً دفع عشرات إلى التجمهر، وما لبث أن تطور الأمر إلى أحداث شغب وعنف وإحراق للمتاجر والمحلات.

وفي حين يتصاعد هذا الخطاب العنصري ضد ذوي الأصول الأفريقية في الولايات المتحدة، يتراجع بريق هذا المجتمع الذي كان جاذباً ومصدراً لآمال وإلهام كثيرين حول العالم، ويزداد الغموض حول شكل المستقبل، وحول قدرة هذا المجتمع الذي يملك الكثير من عوامل القوة والحيوية، ولكنه لا يستطيع أن يقدم نموذج القيادة الخلاقة، بسبب عدم التجانس الاجتماعي.

البعد الجغرافي واللسان الواحد والمظلة الدينية الواحدة أنتجت مجتمعاً عربياً متكاملاً اجتماعياً وسياسياً

العرب كان ينقصهم الفكرة الخلاقة التي توحّد قلوبهم وعقولهم بعد أن وحدت اللغة ألسنتهم حتى جاءهم الإسلام

دعائم الحضارة الإسلامية

وهنا نتطرق لثبات الحضارة الإسلامية ورسوخها، النابع من التجانس الاجتماعي للعرب من جهة –وهم نواة انتشار الإسلام– ومن تعاليم الدين الإسلامي التي صهرت الأعراق تحت مظلة واحدة، من جهة أخرى.

تميز المجتمع العربي بعدة ثوابت ساهمت في جعله أمة واحدة، وهي البعد الجغرافي واللسان الواحد والمظلة الدينية الواحدة؛ وهو ما أنتج مجتمعاً عربياً متكاملاً اجتماعياً وسياسياً، فالبيئة العربية كانت –وما زالت– بها عرقيات أخرى، ولكن ذلك لم يقف حائلاً أمام التقائهم جميعاً ببعض، خاصة إذا كان الجميع سكان وطن واحد، فالمهم هو إحساس الجميع بأن لهم مصيراً واحداً في ظل ثقافة واحدة، وفي ظل التجانس والتوافق في المعايشة وتبادل المصالح والتعاون المثمر البنّاء، وهذه القناعات كانت أساساً راسخاً لبناء المجتمع القوي، والإنسان المعافى جسماً وعقلاً ونفساً بغض النظر عن عرقه.

ولا ريب أن حقيقة وحدة المنشأ الحضاري والتاريخي (اجتماعياً وسياسياً)، ووحدة المصير، من عوامل ثبات المجتمع العربي، لكن ما كان ينقص العرب هو الفكرة الخلاقة، التي توحِّد قلوبهم وعقولهم بعد أن وحَّدت اللغة ألسنتهم، وهكذا كان الإسلام؛ حيث اهتم بوحدة المجتمع كنواة لقيام الحضارة، وقد وضح ذلك في إعلان وحدة النوع الإنساني، رغم تنوع أعراقه ومنابته ومواطنه، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوباً وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾ (الحجرات: 13)، وتم ترسيخ قيم الحق والخير والعدل والمساواة بين الناس جميعاً، دون النظر إلى ألوانهم أو أجناسهم، فلا يؤمن بنظرية التفوق العنصري أو الاستعلاء الجنسي.

وبعد إعلان وحدة النوع الإنساني لتثبيت المجتمع، وحَّدت الحضارة الإسلامية مصدر الأخلاق، وهو الوحي، لتكون قيماً ثابتة تصلح لكل إنسان بصرف النظر عن جنسه وزمانه ومكانه ونوعه، وذلك بعكس مصدر الأخلاق النظرية التي هي نتاج العقل البشري التي تتغير من مجتمع لآخر، وهكذا تُقدِّم الحضارة الإسلامية نموذجاً فريداً في تثبيت قاعدة المجتمع وصهره تحت مظلة واحدة.

وبعد انصهار الأعراق والأجناس المختلفة تحت مظلة الإسلام، لم ينسَ الإسلام حقوق الأقليات غير المسلمة ليضمن استقرار المجتمع، فكفل لهم حرية الاعتقاد، وسنَّ لهم ما يحافظ على حياتهم، وحذَّر من ظلمهم أو انتقاص حقوقهم، وحرَّم أخذ أموالهم أو الاستيلاء عليها بغير وجه حق، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ألا من ظَلَمَ معاهَداً، أو انتقصَه أو كلَّفَه فوقَ طاقته أو أخذَ منهُ شيئاً بغيرِ طيبِ نفس، فأنا خَصمهُ يومَ القيامة»، وهذه أسس لم تَعرفها البشرية قبل الإسلام، واليوم تتطلع إلى تحقيقها المجتمعات الحديثة، فلا تكاد تصل إليها بسبب العصبية والعنصرية.

هذه الخصائص الاجتماعية التي تتفرد بها الحضارة الإسلامية تكتسب طابع الديمومة والاستمرار، وتضفي على الحضارة رسوخاً وثباتاً حتى في فترات الضعف، وهذا هو سر قوة المجتمعات الإسلامية بالمقارنة بالمجتمعات الغربية.

وعلى الجانبين، هنا مجتمع يدعي الحضارة وما هو بمتحضر؛ يبلغ أقصى درجات التقدم الاقتصادي، ولكنه مهدد دائماً بالانهيار بسبب الصراعات العنصرية، وهنا مجتمع راسخ قوي مترابط ذو حضارة عريقة، لا ينقصه سوى إدراك قوته، وأن التوافق والتجانس والالتقاء ضروري لبقائه، في زمن لا مكان فيه للضعفاء والمتفرقين الذين تشق صفوفهم النعرات العنصرية والعرقية، فهل يدرك المجتمع العربي الإسلامي صلابة تكوينه التي تؤهله لقيادة الأمم بجدارة؛ وينطلق ليبني حضارته من جديد؟!■

www.mugtama.com

أمريكا والمرأة السوداء..
السراب الخادع

فاطمة عبدالرؤوف
كاتبة متخصصة بقضايا المرأة والمجتمع

يبدو الحلم الأمريكي كسراب بعيد للمرأة الأمريكية ذات الأصل الأفريقي؛ فكل ما تردد على أذنيها عن أرض الأحلام حيث المساواة بغض النظر عن الجنس واللون والدين والأصل ومكان المولد.. عن الفرص المتكافئة والعدالة الاجتماعية.. عن أحلام الثراء ومجتمع الوفرة واحترام حقوق الإنسان.. ذلك الحلم الذي داعب خيال ملايين البسطاء حول العالم.. الحلم في أرض تشبه الفردوس الأرضي متجاوزة مظالم التاريخ وأخطاء الحضارات حيث تتحقق للإنسان إنسانيته لم يكن إلا وهماً كبيراً وفكرة مزيفة نالت من الدعاية أكثر مما تستحق وتكسرت على أرض الواقع.

ببساطة، كانت المرأة السوداء أكثر من اكتشف هشاشة هذا الحلم وزيفه؛ فأن يكون الإنسان امرأة في المجتمع الأمريكي يعني أن يكون مجرد ترس صغير في آلة عمل الرأسمالية المتوحشة بلا حرية مطلقاً في اتخاذ قالب آخر للحياة.

مشكلة المرأة في أمريكا تتجاوز عدم المساواة في الأجور أو التحرش في أماكن العمل؛ فالفلسفة البرجماتية أفرزت بِنىً ثقافية ومجتمعية لا تدعم المرأة وتحرمها كثيراً من الحقوق الطبيعية، وما مشكلات الأم العازبة إلا نموذج لهذه الضغوط التي تعانيها المرأة هناك.

وعلى الرغم من كل القوانين والمواثيق التي تساوي بين المرأة والرجل، فإن الواقع يشهد بغير ذلك، يكفي في هذا الصدد أن نذكر ما قاله الرئيس الأمريكي «دونالد ترمب» عن النساء ذات مرة بأنهن حيوانات مقززة وخنازير وقاذورات، وتحدث أكثر من مرة عن علاقة المرأة بدورة المياه بألفاظ عامية سوقية، وأشار بسخرية إلى موضوع العادة الشهرية، وفي أحد تصريحاته يقول: «لا يهم ما يكتبونه، المهم أن لديهن وجهاً جميلاً و... أجمل»! ويقول أيضاً: «عليك أن تعامل المرأة بحقارة»!

«ترمب» لا يمثل استثناء في المجتمع الأمريكي؛ فكثير من الرجال الذين انتخبوه يشاركونه نفس الأفكار والقيم إن لم يكن نفس الألفاظ، وهذه هي القيمة الحقيقية للمرأة عندهم لا تلك التي يتم الترويج لها في الخارج.

على أن الأمر يتجاوز القيم والأفكار والكلام المسيء؛ حيث تشير بعض الإحصاءات إلى أنه من بين كل خمس سيدات أمريكيات تتعرض أربع منهن للعنف المنزلي، وفي كل عام تتعرض ما يقرب من خمسة ملايين امرأة أمريكية للضرب والتعنيف من قبل شريك حياتها، وما لا يقل عن ثلاث سيدات يتم قتلهن على يد الزوج أو الشريك.

الفلسفة البرجماتية بأمريكا أفرزت بِنىً ثقافية ومجتمعية لا تدعم المرأة وتحرمها كثيراً من الحقوق الطبيعية

من بين كل 5 سيدات أمريكيات تتعرض 4 منهن للعنف المنزلي و5 ملايين للضرب سنوياً

عنصرية تقاطعية

إذا كنتِ امرأة، وإذا كنتِ سوداء أيضاً، فهنا يتقاطعَ التمييز والعنصرية ضدك!

أما إذا كنت امرأة وكنت سوداءَ وكنت مسلمة؛ فهنا يجتمع عليك الاضطهاد بسبب الجنس والاضطهاد بسبب الأصول ولون البشرة، والاضطهاد بسبب الدين بحيث تبدو الفرصة شحيحة في النجاة من التعصب والعنصرية خاصة في بعض الولايات، حتى عندما تصل امرأة سوداء مسلمة إلى أن تكون عضواً في الكونجرس الأمريكي -أعلى جهة تشريعية في البلاد- فإنها لا تنجو من هذه العنصرية، هذا بالضبط ما حدث مع إلهان عمر، عضو الكونجرس الأمريكي المسلمة المهاجرة ذات الأصول الصومالية، حيث هددها أحدهم بقوله: «سأضع رصاصة في جمجمتها أو أنسفها بقنبلة.. إنها إرهابية»!

وقال عنها «ترمب»: «من الغريب أن نرى الآن عضوات الكونجرس الديمقراطيات «التقدميات» اللائي جئن أصلًا من بلدان

تعتبر حكوماتها كارثة كاملة وشاملة والأسوأ والأكثر فساداً وغير الكفؤة في أي مكان في العالم، وفي الوقت نفسه يخبرن شعب الولايات المتحدة «أعظم وأقوى أمة على وجه الأرض» بشراسة كيف تتم إدارة حكومتنا»!

بل ذهب أبعد من ذلك، حيث ألمح إلى طردها وعودتها من حيث أتت؛ «لماذا لا يعودن ويساعدن في إصلاح الأماكن المنهارة تماماً والمليئة بالجريمة التي أتين منها ثم يعودن ليوضحن لنا كيف تم ذلك؟»، وأخذ مؤيدوه يهتفون بصخب: «أعيدوها من حيث أتت»!

الأسرة السوداء

على أن العنصرية التي تواجهها مثل إلهان عمر تبدو أبسط بكثير من تلك التي تعانيها المرأة السوداء العادية البسيطة هي وأسرتها، فإذا كان عدد السود 42 مليون نسمة؛ أي 13% من إجمالي عدد السكان، فإنهم يمثلون 40% من أعداد المسجونين، و26% من حالات الإصابة بفيروس «كورونا»، و23% من الوفيات.

ويعاني 25% منهم من الحياة تحت خط الفقر، وفي ظلال جائحة «كورونا» تعقدت المشكلة الاقتصادية أكثر في الأسر السوداء؛ حيث فقدت 44% من الأسر وظيفة لأحد أفرادها، أو تم تخفيض راتبه، ولم يستطع 73% منهم الحصول على أي مساعدات مادية.

وكانت نتيجة هذا كله أن هناك 12 مليون طفل أمريكي أسود يعيش تحت خط الفقر يعاني من نقص الخدمات الأساسية في التعليم والصحة.

وهناك أسر تعيش حالة من التشرد، حيث يشكل السود النسبة الأكبر من المشردين الذين يتجاوز عددهم أكثر من نصف مليون شخص (عدد الشقق الشاغرة 5 أضعاف هذا العدد)، وهناك عدد كبير منهم من النساء والأطفال، وتشير بعض التقارير إلى أن نسبة النساء المشردات تمثل 40% من المشردين، واحتمال تعرضهن للمخاطر التي قد تصل للموت أو القتل مضاعفة، خاصة إذا أضفنا لذلك القسوة الرهيبة المنهجة التي تتعامل بها الشرطة مع النساء السود، ولعل ما حدث مع مارلين بينوك المشردة المسنة السوداء التي انهال عليها أحد أفراد الشرطة بالضرب العنيف المبرح حتى أوقعها أرضاً، ثم جثا فوقها وأخذ يضرب رأسها بالأرض؛ نموذج بالغ الوضوح على الوحشية التي تنتهجها الشرطة حتى لو كانت الضحية سيدة تجاوزت الخمسين عاماً.

ومن المشكلات القاسية التي تواجهها الأسرة السوداء مشكلة الأطفال الذين يعيشون مع الأم الوحيدة التي لا تتمتع بالدعم الكافي، وما ينتج عن ذلك من مشكلات مادية ونفسية واجتماعية، فإذا كان 75% من جميع الأطفال البيض الذين تقل أعمارهم عن 18 عاماً يعيشون مع الوالدين، فإن أقل من 40% من الأطفال السود من يتمتع بأسرة طبيعية مع والديه، بينما يعيش أكثر من ثلث الأطفال السود في الولايات المتحدة تحت سن 18 عاماً مع أمهات غير متزوجات، مقارنة بـ6.5% من الأطفال البيض، والواقع يشهد أنه لا تُقدَّم لهؤلاء الأمهات صور الدعم التي تلقاها النساء البيض سواء من الناحية الاقتصادية أو الصحية أو الثقافية، بل هناك اتجاه متزايد لسحب الإعانات؛ في حالة من تكريس العنصرية في ظل توجه عام معاد لها حتى إنه كثيراً ما توصم الأم السوداء الوحيدة بالشيطنة.

السود رغم قلة أعدادهم بأمريكا يمثلون 40% من أعداد المسجونين و26% من المصابين بـ«كورونا» و23% من الوفيات

المرأة السوداء بأمريكا لن تنقذها حزمة القوانين ما دامت عقلية اليمين المتطرف هي المهيمنة على المشهد

على أنه لا يمكن أن نفهم كل صور العنصرية والاضطهاد التي تلقاها النساء السوداوات في اللحظة الراهنة دون النظر إلى ماض ليس ببعيد، ولكنه حاضر وبشدة، بل لعله لا يزال ساخناً طازجاً في الوعي الجمعي الغربي؛ فالمجتمع الأبيض ما زال منبهراً بـ «سكارلت» (بطلة رواية «ذهب مع الريح» للمؤلفة الأمريكية الشهيرة مرجريت ميتشل التي تحولت لفيلم من أهم وأشهر الأفلام الأمريكية وأعلاها إيراداً وأكثرها تأثيراً)؛ حيث تقول عن رائحة العبيد: «ولم تكد القطعة المقضومة تبلغ معدتها الفارغة المهتاجة حتى استلقت سكارلت على التراب تتقيأ بعناء، وزادت الرائحة الخفيفة المنبعثة من غرف الزنوج في اشمئزاز نفسها فاستمرت تتقيأ في صورة مزرية».

وكانت شخصية «مامي» -في الرواية نفسها- تلك السيدة السوداء السمينة التي لم نعرف اسمها أبداً هي النموذج المثالي للنساء السود -في البنية العقلية للبيض العنصريين- فهي تابعة مخلصة لسيدتها حتى بعد أن تحررت ترفض أن تتركها، وحتى عندما كرمت الممثلة السوداء التي أدت دور «مامي» بعد حصولها على جائزة «أوسكار» لأفضل ممثلة مساعدة رفضوا أن تجلس معهم في القاعة نفسها، ووضعوا لها طاولة بعيدة عن السادة البيض.. هذا الفيلم مجرد نموذج للذاكرة الجمعية الغربية التي تأصلت فيها العنصرية.

أما الذاكرة الجمعية للنساء السوداوات فهي مليئة بالجراح النازفة، وهل يمكن أن ينسين ما قام به طبيب النساء الشهير جيمس ماريون سيمز -الذي يطلق عليه «أبو علم طب النساء الحديث»- الذي قام بعمل تجارب لعمليات جراحية نسائية جديدة على نساء مستعبدات من ذوات البشرة السوداء دون أن يكلف نفسه عناء التخدير؛ لأنه كان يزعم أن النساء السوداوات لا يشعرن بالألم وكأنهن لا ينتمين للجنس البشري! وقد صورت إحدى اللوحات الفنية الطبيب وهو يقف قبالة المرأة السوداء الجاثية باستسلام وإذعان وهو يرمقها بنظرة بالغة البرود، وقد أمسك بإحدى يديه إحدى أدوات الجراحة، بينما تراقب نساء سوداوات أخريات من خلف الستار ما يحدث وما سيتعرضن له لاحقاً.

يمكننا إذن القول: إن المرأة السوداء في أمريكا لن تنقذها حزمة القوانين والمواثيق ما دامت العقلية العنصرية التي يزكيها اليمين المتطرف هي المهيمنة على المشهد، وظلت الثقافة التي لا تحترم قيمتها الإنسانية هي المسيطرة على الشارع.■

www.mugtama.com

عنصرية اللون والمال بالولايات المتحدة الأمريكية..

رؤيـــة إسـلاميـــة

د. أشرف دوابه
أستاذ التمويل والاقتصاد بجامعة إسطنبول صباح زعيم

في القرن الحادي والعشرين الذي ما زالت ترفع فيه الدول الغربية شعارات الحرية والإخاء والمساواة، يعيش العالم هذه الأيام على وقع العنصرية البغيضة التي أبرزها أمام العالم مقتل الشاب الأمريكي الأسود من أصول أفريقية «جورج فلويد» في مدينة مينيابوليس الأمريكية، بعد ضغط ضابط شرطة بركبته على رقبته، وهو يستغيث أن يتركه يتنفس، ولكنه لم يتركه إلا جثة هامدة.

ما يحدث بأمريكا يفضح عورة الذين يتغنون بالحرية ويغذون العنصرية ثم يتهمون الإسلام ليلاً ونهاراً بالإرهاب

عنصرية المال التي بدت بأزمة «فلويد» لا مكان لها في الإسلام الذي يرسخ للدرجية لا الطبقية

جاءت جريمة مقتل «فلويد» بعد 3 أشهر من مقتل شاب أسود آخر وهو «أحمد أربيري» في ولاية جورجيا، أثناء ممارسته رياضة الجري، على يد رجل وابنه من ذوي البشرة البيضاء، وقد دفع مقتل «جورج فلويد» إلى اندلاع احتجاجات كبيرة في أنحاء الولايات المتحدة، ترفع شعار «حياة السود مهمة»، وخرجت بعض تلك الاحتجاجات عن جانب السلم إلى العنف، وأصبحت تهدد عرش الرئيس الأمريكي «دونالد ترمب»، حتى وظّف الإنجيل في الوقوف ضدها، ولكن لم يزد تصرفه هذا إلا استهجاناً، كما انتشرت المظاهرات في العديد من دول العالم التي تندد بالعنصرية، ولم ينطفئ لهيب الاحتجاجات حتى اشتعلت نار التظاهرات بصورة أكبر بعد التمادي في قتل آخرين من السود.

إن هذه العنصرية البغيضة لم تكشف عن عنصرية الجنس البشري واللون فحسب، بل كشفت كذلك عن توحش النظام الرأسمالي الذي يزيد الغني غنى والفقير فقراً، ويقسم المجتمع إلى طبقتين؛ طبقة غارقة لا تجد قوت يومها، وطبقة طافية مترفة، حتى وصلت نسبة الذين يعيشون تحت خط الفقر في الولايات المتحدة نحو 12%، وارتفع معدل البطالة إلى 13.7%، في أبريل الماضي، وقد بدا واضحاً رد الفعل على الطبقية التي هي نتاج العنصرية المالية البغيضة من خلال السلب والنهب بصفة خاصة للمتاجر ذات الماركات العالمية المشهورة.

إن ما يحدث بأمريكا يكشف بوضوح عن عورة الذين يتغنون بالحرية ويغذون العنصرية، وفي مقدمتهم الرئيس الحالي «دونالد ترمب»، وفي الوقت نفسه يتهمون الإسلام ليلاً ونهاراً خفية وجهاراً بالإرهاب، هذا الدين الخالد الذي حارب العنصرية ووصفها بـ «المُنْتِنة»، وأقرَّ للبشر جميعاً التكريم والتسخير والرزق والتفضيل دون تمييز في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلاً﴾ (الإسراء: 70)، وحينما أقرَّ التمييز لم يجعله على أساس الجنس أو اللون أو اللغة أو المال، ولكن بمعيار التقوى، فقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوباً وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ (الحجرات: 13).

فالله تعالى هو من خلق الأبيض والأسود، ولا ينبغي أن يحاسَب إنسان على لونه، فهو ليس من اختياره، ومعيار التفرقة يكون بشيء مرتبط بسعي البشر وإرادتهم وهو التقوى، وفي الحديث الصحيح أنَّ النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إنَّ الله لا ينظر إلى صوركم، ولا إلى أموالكم، ولكن ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم»،

كما رُوي عن أبي ذر رضي الله عنه أنه قال: قاولت رجلاً عند النبي صلى الله عليه وسلم، فقلت له: يا ابن السوداء، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «يا أبا ذر، طف الصاع طف الصاع، ليس لابن البيضاء على ابن السوداء فضل».

وعنصرية المال التي بدت نواجذها واضحة في أزمة «فلويد» بأمريكا من خلال التفاوت الطبقي الكبير، وفقدان التراحم بين أبناء المجتمع، لا مكان فيها للإسلام الذي يرسخ للدرجية لا الطبقية، وفتح مجال التراحم ومعالجة التفاوت الطبقي من خلال إعادة التوزيع.

فالله تعالى جعل الناس درجات وليس طبقات، وسخر بعضهم لبعض وفق تخصصاتهم، فكل منهم يحتاج للآخر ولا يستغني عنه، يقول تعالى: ﴿أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَةَ رَبِّكَ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَتَّخِذَ بَعْضُهُم بَعْضاً سُخْرِيًّا وَرَحْمَتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ﴾ (الزخرف: 32).

يقول صاحب «الظلال» في هذه الآية: «ورزق المعاش في الحياة الدنيا يتبع مواهب الأفراد، وظروف الحياة، وعلاقات المجتمع، وتختلف نسب التوزيع بين الأفراد والجماعات وفق تلك العوامل كلها، تختلف من بيئة لبيئة، ومن عصر لعصر، ومن مجتمع لمجتمع، وفق نظمه وارتباطاته وظروفه العامة كلها، ولكن السمة الباقية فيه، التي لم تتخلف أبداً حتى في المجتمعات المصطنعة المحكومة بمذاهب موجهة للإنتاج وللتوزيع أنه متفاوت بين الأفراد، وتختلف أسباب التفاوت ما تختلف بين أنواع المجتمعات وألوان النظم، ولكن سمة التفاوت في مقادير الرزق لا تتخلف أبداً، ولم يقع يوماً حتى في المجتمعات المصطنعة المحكومة بمذاهب موجهة أن تساوى جميع الأفراد في هذا الرزق أبداً.

والحكمة في هذا التفاوت في جميع العصور وجميع البيئات ليسخر بعضهم بعضاً.. ودولاب الحياة حين يدور يسخر بعض الناس لبعض حتماً، وليس التسخير هو الاستعلاء.. استعلاء طبقة على طبقة، أو استعلاء فرد على فرد.. كلا! إن هذا معنى قريب ساذج، لا يرتفع إلى مستوى القول الإلهي الخالد.. كلا! إن مدلول هذا القول أبقى من كل تغير أو تطور في أوضاع الجماعة البشرية؛ وأبعد مدى من ظرف يذهب وظرف يجيء.

الإسلام شرع آلية الإرث التي تعيد توزيع الدخول والثروات المكتسبة خلال دورة الحياة على أساس درجة القرابة

النظام الرأسمالي تسبب بتأجيج نار الصراع الطبقي وإشاعة الكراهية في النفوس المعسرة والمحرومة

إن كل البشر مسخر بعضهم لبعض، ودولاب الحياة يدور بالجميع، ويسخر بعضهم لبعض في كل وضع وفي كل ظرف، لمقدر عليه في الرزق مسخر للمبسوط له في الرزق، والعكس كذلك صحيح، فهذا مسخر ليجمع المال، فيأكل منه ويرتزق ذاك، وكلاهما مسخر للآخر سواء بسواء، والتفاوت في الرزق هو الذي يسخر هذا لذاك، ويسخر ذاك لهذا في دورة الحياة.. العامل مسخر للمهندس ومسخر لصاحب العمل، والمهندس مسخر للعامل ولصاحب العمل، وصاحب العمل مسخر للمهندس وللعامل على السواء، وكلهم مسخرون للخلافة في الأرض بهذا التفاوت في المواهب والاستعدادات، والتفاوت في الأعمال والأرزاق».

العدالة في الإسلام

لقد حرص الإسلام على تحقيق العدالة والتوازن في التوزيع للدخل والثروة؛ ففتح المجال أمام الملكية الفردية من خلال توظيف ما يملكه الإنسان من مهارات، والعمل بصورة نظيفة لا غش فيها ولا احتكار ولا ربا ولا قمار ولا أكل للمال بالباطل على العموم وفتح الباب للكفايات، وتقسيم العمل بين الناس على أساس التخصص وتبادل المنافع.

وفي الوقت نفسه؛ شرع آليات تتولى إعادة توزيع الدخل والثروة، من أبرزها آلية الإرث التي تعيد توزيع الدخول والثروات المكتسبة خلال دورة الحياة على أساس درجة القرابة، والشارع الحكيم وهو يتوخى توزيع الميراث على مستحقيه توزيعاً عادلاً -لا يشوبه حيف ولا يعتريه ظلم- أخذ في الاعتبار بمعيار الحاجة كأساس للتفاضل في التوزيع وليس عنصرية النوع، فكلما كانت الحاجة إلى المال أشد كان النصيب أكبر، ولعل هذا هو السر في كون «للذكر مثل حظ الأنثيين» في بعض حالات الميراث؛ لما يتحمله من تكاليف مالية في مقدمتها المهر والنفقة؛ فالعطاء على قدر الحاجة هو العدل، والمساواة عن تفاوت مقدار الحاجة هو الظلم.

كما شرع الإسلام الزكاة على الدخول والثروات بشرائطها، وهو ما يحقق إعادة تلقائية في توزيع الدخول في المجتمع، وفي الظروف الاستثنائية يتدخل الشرع لحماية الفقراء من الحاجة وحماية الأغنياء من الطغيان، قال تعالى: ﴿كَيْ لَا يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ مِنكُمْ﴾ (الحشر: 7)، وقد حرص الرسول صلى الله عليه وسلم على إعادة توزيع الدخول بالمال الذي أفاء الله به عليه حينما ظهر على بني النضير، حيث قسمه بين المهاجرين، ولم يعط أحداً من الأنصار منه شيئاً إلا رجلين كانا فقيرين.

كما فطن الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه إلى العدالة الحالية والمستقبلية في التوزيع فيما يتعلق بأرض السواد في العراق وغيرها، حيث نظر فوجد أن الأراضي المفتوحة تبلغ ملايين الأفدنة، فإذا قام بتقسيمها بين الفاتحين فقط وهم ألوف معدودة تضخمت الملكية في أيدي أفراد قلائل، ولم يجد من بعدهم شيئاً، فأبقى الأرض في يد أهلها وأخذ منهم خراجاً للمسلمين كافة وأجيالهم القادمة، وبذلك رسخ لمفهوم «التنمية المستدامة» قبل أن تعرفها الأمم المتحدة بمئات السنين.

إن إعادة توزيع الدخل والثروة في الإسلام يتجاوز النظام الرأسمالي وعنصريته المالية الذي لا يسمح باستحقاق الثروة أو الدخل المتولد في الاقتصاد إلا لعناصر الإنتاج التي شاركت فيه؛ لأنه يؤمن بأن قوى السوق هي المعيار الوحيد للتوزيع بين الفئات المختلفة، حتى أصبحت الثمرة المرة والنكدة التي أفرزها هذا النظام هي تأجيج نار الصراع الطبقي وإشاعة الكراهية والبغضاء في النفوس المعسرة أو المحرومة من الإنفاق أو من سعة في المال التي أقعدتها ظروف البطالة أو الفقر عن المشاركة في النشاط الاقتصادي، ومن ثم لم تستطع إشباع حاجاتها الضرورية أو أن تنال شيئاً مما يوزع من خلال آلية السوق، التي لا تلبي إلا الطلب المدعوم بالقوة الشرائية الذي يفتقد في حقيقته للمنافسة الشريفة ويتحكم فيه الرأسماليون الكبار.■

www.mugtama.com

العنصرية..

قراءة نقدية في الأصول الفكرية

د. حسان عبدالله حسان
أستاذ أصول التربية- جامعة دمياط

رغم أن الصياغة الفكرية والفنية لمفهوم «العنصرية» تبدو حديثة؛ حيث ظهر الاهتمام بهذا المفهوم منذ صياغة مبادئ حقوق الإنسان في صيغتها المعاصرة، فإن واقع «العنصرية» ومبناها يبدوان قديمين قدم الإنسان على الأرض وحرفه عن منهج الله تعالى، أو منهج «النفس الواحدة».

لقد أعاد مقتل «جورج فلويد» الأمريكي من أصول أفريقية كوامن هذا المفهوم في النفس الغربية المعاصرة، والرغبة الجامحة في مواجهته من قبل جماعات وقطاعات عانت من أحد وجوهه أو من وجوهه كلها.

ونتناول في هذه المقالة المباني الفكرية التي قام عليها هذا المفهوم ومكنوناته في النفس الغربية.

الاختلافات الوراثية لا ينتج عنها تمايزات تشير إلى الرقي أو الانحطاط وإنما تنتج تمايزاً في الثقافات

بعض النظريات الغربية ترى أن الإنسان لا يستطيع خدمة المبادئ ما دامت الحاجات الطبيعية يصاحبها خلل الإشباع

يستند مفهوم «العنصرية» إلى مجموعة من المبادئ الفكرية التي قام عليها، من أهمها:

1 - الشعور بالتفوق (الجنسي، العرقي، الطبيعي..) لدى مجموعة من الناس (فئة، جماعة، مجتمع، شعب، أمة)، نحو جنس آخر أو فئة أو جماعة أو مجتمع.

2 - الاستناد إلى معتقدات خاطئة تم صياغتها في صورة علمية، مثل أن اختلاف الجوانب التشريحية والوراثية لبعض الفئات يجعل لها تميزاً، عند قطاع أو فئة من البشر، أو انحطاطاً وتخلفاً عند فئة أخرى.

3 - النظر المتدني لقطاعات من البشر لأسباب بيئية (لون البشرة)، أو أسباب اقتصادية (الفقر)، أو أسباب حضارية (التخلف الحضاري)، أو أسباب دينية (المخالفة الاعتقادية).

العنصرية في القاموس الغربي:

يعود مفهوم «العنصرية» في جذوره إلى كلمة «عرق، جنس»، وظهرت هذه الكلمة في اللغات الأوروبية في القرن السادس عشر للميلاد، للإشارة إلى وجود مجموعة من البشر يمكن إرجاع خصائصهم المتشابهة إلى أصل سلالي مشترك، وظهرت في الكتابات الأوروبية إشارات متعددة إلى الفروق بين العرق الأوروبي، وكل من الأعراق والأجناس الأفريقية أو الآسيوية وغيرهما[1].

من ناحية أخرى، استخدمت كلمة «العنصرية» في الكتابات السياسية الأوروبية ذات الاتجاه العنصري، لتأكيد وجود أنواع من البشر تتفاوت من حيث ارتقاء خصائصها العقلية والسلوكية بسبب خصائص تشريحية متمايزة، وذلك رغم تكذيب تطورات علم الوراثة والتشريح لهذا المعتقد الخاطئ؛ فالاختلافات التشريحية والوراثية لا ينتج عنها تمايزات تشير إلى الرقي أو الانحطاط، وإنما تنتج تمايزاً في الثقافات[2].

«هيجل».. والتأسيس الفلسفي:

من أبرز الفلاسفة الذين قاموا بالتنظير لمفهوم «العنصرية» في الغرب، واتخذ مواقف عنصرية مبكرة نحو الآخر، ما قدمه الفيلسوف الألماني «هيجل» (1770 - 1831م)؛ حيث كتب تحت عنوان «الأساس الجغرافي لتاريخ العالم» مستبعداً قطاعاً كبيراً من البشر رآه، حسب تصنيفه، أنه لا يمتلك مؤهلات «الإنسانية» التي تجعله مؤهلاً بالتبعية لصنع تاريخ العالم، والإسهام في حركته! ورد التاريخ وحركته وحضارته إلى أوروبا التي تمتلك من الناحية الجغرافية، بحسب وجهة نظره، كل عناصر الجغرافيا الحضارية والتاريخية.

استند «هيجل» في هذه الرؤية العنصرية إلى ما أسماه بالروح الطبيعية؛ أي العلاقة مع الطبيعة، فالعلاقة مع الطبيعة تساعد على إنتاج روح شعب ما، والمبدأ الخاص الذي

يجسده كل شعب من شعوب التاريخ يكون بمثابة خاصية طبيعية له[3].

في ضوء هذا المبدأ، فإنه بحسب التصنيف الجغرافي للعالم، يمكن تحديد خارطة للإنسان صانع التاريخ، والإنسان الذي لا تمنحه الطبيعة تلك القدرة، فيتخلف عن المشاركة، ومن ثم لا ينضم إلى الإنسانية الفاعلة في حركة التاريخ، ففي المنطقة المتجمدة والمنطقة الحارة لا يوجد الموقع المحلي المناسب لظهور شعوب التاريخ العالمي؛ وذلك لأن الوعي المستيقظ يظهر محفوفاً بالمؤثرات الطبيعية، وكل تقدم له انعكاس الروح على نفسها في مقابل الطبيعة مباشرة، فالمناطق المتطرفة (التجمد، والحرارة الشديدة) لا يستطيع الإنسان أن يكون حراً في حركته، فالبرد والحر في تلك المناطق من القوة بحيث لا يسمحان للروح أن تقيم عالماً لذاتها[4].

يعتمد «هيجل» في طرحه لهذه المبدئية على مقولة «أرسطو»: «حينما تشبع الحاجات الملحة، ينتقل الإنسان إلى طلب الأمور الرفيعة ذات الطابع العام»، والحقيقة رغم جدارة هذه المقولة وضرورتها الإنسانية، فإنها ترافق بين الإنسان وجانب من الحيوانية، حيث تشير إلى أن الإنسان لا يستطيع خدمة المبادئ ما دامت الحاجات الطبيعية يصاحبها خلل الإشباع، ولا شك أن مبادئ التضحية بالنفس، على سبيل المثال، التي شهدها التاريخ الإنساني، وما زال، من أجل المعتقد أو الوطن أو غير ذلك من المبادئ الرفيعة لدى شعوب الأرض المستعمرة، تدحض هذا المبدأ وتؤكد تهافته.

يصر «هيجل» متغافلاً عن حقيقة أن القيم الإنسانية تعلو لدى الإنسان عن الحاجات الطبيعية –وهو ما أثبته التاريخ في كثير من التجارب والشواهد– ويذكر بأن «الإلحاح والضغط الشديدين في المناطق المتطرفة لا تخف وطأته ولا يمكن تجنبه، ويضطر الإنسان أن يوجه اهتماماً مباشراً إلى الطبيعة، إلى أشعة الشمس المتقدة، أو إلى الجليد المتجمد، وعلى ذلك؛ فإن مسرح التاريخ الحقيقي هو المنطقة المعتدلة أو بالأحرى النصف الشمالي منها»[5].

«هيجل».. والرجل الأفريقي:

ينحو «هيجل» في نظرته «العنصرية»، وتأسيسه لهذا المفهوم منحى الرجل الأفريقي

«هيجل»: السمة البارزة للحياة الزنجية أن الوعي لم يبلغ بعد مرحلة التحقيق الفعلي لأي وجود موضوعي

«هيجل» يصنف الرجل الأفريقي على أنه خارج الإنسانية ولا يستحق الوصف بها ويراه كائناً ذا مخاطر على الحضارة!

الذي يراه –طبقاً لتصوراته المتهافتة عن الأساس التاريخي للعالم– بأنه لا يستطيع في ذاته الإسهام في حركة التاريخ، بل هو ممن يستهلك الحضارة، بل ويدمرها.

يقول «هيجل» عن الرجل الأفريقي: «إن السمة البارزة للحياة الزنجية هي أن الوعي لم يبلغ بعد مرحلة التحقيق الفعلي لأي وجود موضوعي جوهري مثل الله، أو القانون، اللذين يرتبط بهما مصحة الإنسان، وفيهما يحقق وجوده العيني الموحد، الذي يتسم بالبساطة والتخلف، لم يبلغ الزنجي بعد تلك المرحلة التي يميز فيها بين ذاته بوصفه فرداً، وكلية وجوده الجوهري؛ بحيث إنه يفتقر تماماً إلى معرفة أن هناك وجوداً مطلقاً أعلى من وجوده الفردي، فالرجل الزنجي يمثل الإنسان الطبيعي في حالته الهمجية غير المروضة تماماً، وإذا أردنا أن نضع جانباً كل فكرة عن التبجيل والأخلاق وكل ما نسميه شعوراً أو وجداناً؛ فلا شيء مما يتفق مع الإنسانية يمكن أن نجده في هذا النمط من الشخصية»[6].

هكذا يصنف «هيجل» الرجل الأفريقي على أنه خارج الإنسانية، ولا يستحق الوصف بها، بل هو كائن ذو مخاطر على الحضارة، إما أن يتم ترويضه، أو سيلحق الضرر بالإنسانية، ومن هنا فتح «هيجل» الطريق أمام حركة الاستعمار لترويض هذا الأفريقي واستغلاله باستعباده للإنسانية البيضاء (أوروبا)، على حد وصفه وقناعته الذاتية المنحازة والمتهافتة.

إن الأحكام التي بنى عليها «هيجل» رؤيته العنصرية لم تكن نتيجة لشواهد أو تجارب مع الرجل الأفريقي، وإنما كما يذكر أنه اعتمد في ذلك على روايات المبشرين في أفريقيا، رغم ما هو معروف من عداء بين حركة المبشرين والثقافة الأفريقية التي جعلت مهمتهم صعبة وفي حالة عدائية مع الشعوب الأفريقية، إلا أنها سكنت العقل الأوروبي وانتقلت معه إلى أمريكا الجديدة.

تهافت «هيجل» ذاتياً:

يستمر «هيجل» في تهافته، في عنصريته نحو الرجل الأفريقي، فيصفه بأنه يحتقر الحياة ولا يأبه بها؛ لذلك فهو يقاوم المستعمر بحياته التي يفقد معناها! ويذكر في ذلك قوله: «إن السمة التي يتميز بها الزنجي في احتقار الإنسانية ليست هي ازدراء الموت، بقدر ما هي الافتقار إلى احترام الحياة، وينبغي أن نعزو الشجاعة العظيمة التي نجدها عندهم إلى سمة افتقارهم لاحترام هذه الحياة، وهذه الشجاعة تظهر عند أولئك الزنوج الذين كان الآلاف منهم يتعرضون للموت برصاص الأوروبيين وهم يقاتلونهم»!

إن قول «هيجل» هذا يدحض نفسه، ففي حين يرى أن القيم العليا لا توجد عن الزنوج، فإنه يتجاهل قيمة التضحية بالنفس ضد المستعمِر، وقيمة الوطن التي تساوي الحياة أو أكثر، وقيمة الحرية التي هي أكثر رفعة من حياة العبودية، وهذه كلها تمثلت في مقاومة الأفريقي للمستعمر، بيد أن «هيجل» كان عليه أن يرى أن الأوروبيين (المستعمرين) هم الذين يحتقرون حياة الإنسان، ولا يأبهون بحريتهم، ولا بقيمة الوطن والشرف، وراحوا يقتلون الإنسان المستعمَر بكل وحشية وبلا ذنب، فمن الذي توارت عنده القيم العليا؛ القاتل أم المقتول؟! المستعمِر أم المستعمَر الذي اتخذ من قيمة المقاومة والحرية أملاً في استقلال وطنه؟■

الهوامش

(1) سامي خشبة: مصطلحات فكرية، ص 384.
(2) المرجع السابق، ص 385.
(3) هيجل: العقل في التاريخ، ترجمة وتقديم وتعليق: إمام عبدالفتاح إمام، ص 157.
(4) المرجع السابق، ص 158.
(5) المرجع السابق، ص 158.
(6) المرجع السابق، ص 179.

www.mugtama.com

كيف عامل المسلمون عبيدهم؟
شذرات من مؤلفات الرحالة الغربيين

محمد إلهامي
باحث في التاريخ والحضارة الإسلامية

إذا كنتَ تائهاً في بعض الأدغال أو الصحاري فليس من نعمة أغلى عندك وأثمن من أن تجد لافتة بائسة تدلك على الاتجاه! هذه اللافتة وحدها هي الهداية والإنقاذ من التيه والنجدة من الضلال، فإذا وجدتَ مع ذلك متطوعاً كبير الوقت يعرض عليك المساعدة فأنت الآن في ذروة النعيم، ولعلك تريد أن تبذل له بعض عمرك وأيامك نظير هذا الإنقاذ من الحيرة والضلال!

لا بد أنك مررت بمثل هذا الموقف أو بشيء شبيه منه، يمكنك أن تستعيد هذه المشاعر، فإنما هذا مَثَل الكتاب ومَثَل الرسول! إن الآية الواحدة تعصمك من التيه عقوداً وقروناً حين تكشف لك الحق، ولولاها لهلكت الأعمار والعقول والأجيال قبل أن تصل إلى الحق وربما لا تصل! وإن الرسول الذي شرح الآية وبذل حياته في محاولة الهداية وتقديم القدوة والأسوة يوفر عليك مثل هذا في الوصول للفهم الصحيح للآية وتطبيقها.

لقد ظلت أوروبا حتى وقت قريب تنظر للأعراق الأخرى نظرة دونية، ويتجادل علماؤها وفلاسفتها فيما إن كان بعض الناس بشراً أم أنهم ليسوا كذلك، وإذا وقع الاتفاق على أنهم بشر فهل هم في نفس المرتبة مع الأوروبيين، أم أنهم في مرتبة أدنى ويحتاجون بالضرورة إلى الأوروبي ليقوم بمهمة تحضيرهم واستعمالهم! وهذا نقاش قديم اشترك فيه طابور طويل من الفلاسفة والقساوسة والمنظرين والسياسيين منذ أفلاطون، وأرسطو، مروراً بجون لوك، وجوبينو، ولا يزال يتجدد في أيامنا هذه مع صعود اليمين ونظريات العرق الأبيض.

وفي عصر الاحتلال الأوروبي للعالم، الذي هو عصر النزعة العلمية (العلموية)، قدمت هذه العلوم خدماتها للساسة في تبرير وشرعنة احتلال الشعوب، بإنتاجها نظريات التفوق الطبيعي للأوروبي الأبيض ونظريات التدني والانحطاط الأصيل لبقية الشعوب، وهذا مجال واسع اشترك فيه طابور طويل من علماء الأنثروبولوجيا والاجتماع والمستشرقين، مثل صمويل مورتون، وكارل فون لينا‌س.

ولا يمكن الحديث هنا عن نظريات علمية مجردة، أو آراء موضوعية ناتجة عن مجرد التأمل والتفكير والبحث، بل إن الغرائز والشهوات والأطماع والمصالح السياسية والاقتصادية تضغط على الإنسان وتشكل أفكاره وتؤثر في نظرياته، إن الأمر يؤول في النهاية إلى «اتباع الهوى» وأخلاق الشح والأثرة والظلم والاستبداد، ولكن هذه الدوافع تتزين بالنظريات العلمية والآراء الفلسفية.

هنا تبدو القيمة العليا والنعمة العظمى بوجود نص إلهي مقدس يقول: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾ (الحجرات: 13)، وبوجود رسول يقول: «لا فضل لعربي على أعجمي ولا أحمر على أسود إلا بالتقوى والعمل الصالح»، ثم إن هذا الرسول قضى حياته لترسيخ هذه المعاني حتى صار القرشي عمر بن الخطاب يقول عن الأسود الحبشي بلال: «سيدنا»!

ولهذا فلم تتطور نظريات وبحوث المسلمين –من مؤرخين وأدباء ورحالة– نحو العنصرية التي تحطّ من إنسانية الأقوام الآخرين، غاية ما هنالك أن يوجد من حاول تفسير بعض الظواهر الاجتماعية أو التاريخية أو النفسية من خلال اللون والبيئة والمناخ والحجم، بينما لم يكن ثمة من نزع عنهم الإنسانية أو رآهم في مرتبة أقل من البشر أو في مرحلة مما قبل التاريخ، بل شهد التاريخ الإسلامي صعوداً قوياً لطبقات العبيد الذين أُسروا إلى مراتب السياسة والجيش، منذ العصر الثاني للدولة العباسية مروراً بالمماليك والانكشارية، فضلاً عن صعودهم بما حققوه في العلم والعبادة، حتى انتشر ذكرهم حتى في كتب الزهد والرقائق.

لولا وجود هداية النص وهداية القدوة لما وصلنا إلى ترسخ معنى المساواة بين الناس، إذ مهما اجتهد بعض الفلاسفة والمنظرين والمفكرين في إثبات أن البشر جميعاً متساوون في الإنسانية، فإن هذا لن يعدو أن يكون قولاً ضمن أقوال، ورأياً ضمن آراء، حتى لو سُجِّل في حقبة ما ضمن وثائق عالمية لا تساوي –عملياً– ثمن الحبر الذي كتبت به! بغير وجود النص المقدس والعقيدة الدينية التي تأمر بالمساواة وتحرص عليها لن يكون ثمة عاصم من انزلاق الفكر إلى الآراء والنظريات البغيضة التي تجيز استعباد الإنسان والحط منه!

وفي هذا المعنى يقول الرئيس المجاهد علي عزت بيجوفيتش، رحمه الله: «إن المساواة والإخاء بين الناس ممكن فقط إذا كان الإنسان مخلوقاً لله، فالمساواة الإنسانية خصوصية أخلاقية وليست حقيقة (مادية)، إن وجودها قائم باعتبارها صفة أخلاقية للإنسان، كسمو إنساني أو كقيمة مساوية للشخصية الإنسانية، وفي مقابل ذلك إذا نظرنا إلى الناس من الناحية المادية فالناس غير متساوين.. فطالما حذفنا المدخل الديني

www.mugtama.com

من حسابنا سرعان ما يمتلئ المكان بأشكال من اللامساواة؛ عرقياً وقومياً واجتماعياً وسياسياً، إن السمو الإنساني لم يكن من المستطاع اكتشافه بواسطة علم الأحياء أو علم النفس أو بأي علم آخر»[1]؛ ولهذا فقد لاحظ المستشرق الفرنسي الشهير جوستاف لوبون «أن العرب يتصفون بروح المساواة المطلقة وفقاً لنظمهم السياسية، وأن مبدأ المساواة الذي أعلن في أوروبا قولاً لا فعلاً راسخ في طبائع الشرع (الإسلامي) رسوخاً تاماً، وأنه لا عهد للمسلمين بتلك الطبقات الاجتماعية التي أدى وجودها إلى أعنف الثورات في الغرب ولا يزال يؤدي»[2].

يفتح موضوع العنصرية نقاشات طويلة، فللكاتب أن يفرد حديثه عن عظمة الإسلام في التعامل مع الأقوام المفتوحة، أو عن عظمة الفقه الإسلامي في التعامل مع حقوق العبيد والأرقاء، أو عن تاريخ العبودية وجرائم الاحتلال الغربي في أفريقيا لأربعة قرون على الأقل، أو حتى عن أوضاع السود والملونين في أمريكا حتى الآن، إلا أن ثمة باباً في هذا الموضوع لا يزال لم يُفتح بعد، وذلك هو ما تواتر وتكاثر في روايات غير المسلمين –من المستشرقين والمؤرخين والرحالة الأجانب– عن تعامل المسلمين مع عبيدهم وأرقائهم، فقد أنتج هؤلاء في القرون الثلاثة الماضية كثيراً من المؤلفات والتقارير التي مهدت لمرحلة الاحتلال

الأوروبيون ظلوا حتى وقت قريب ينظرون للأعراق الأخرى نظرة دونية ويتجادلون إن كان بعض الناس بشراً أم لا!

في عصر الاحتلال الأوروبي للعالم قدم علماؤه خدماتهم للساسة في شرعنة احتلال الشعوب

ورافقتها ولا تزال مستمرة حتى الآن، وقد سجَّل كثيرٌ من هذه المؤلفات أحوال البلاد العربية والإسلامية السياسية والاقتصادية والاجتماعية، فمنها ما كان تشويهياً، ومنها ما كان منصفاً، ومنها ما كان واقعياً، ومنها ما زادت فيه جرعة الخيال، إلا أنها في كل الأحوال مصادر تاريخية لا غنى عنها، ثم إنها تتميز في موضوعنا هذا بكونها شهادة «شاهد من أهلها»، فهي بيان وحجة على لسان أعدائنا لتاريخنا العظيم الذي هو شعبة من تفسير قول الله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ (الأنبياء: 107)، وقول الله تعالى: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ (آل عمران: 110).

سنحاول في هذه السطور القادمة التقاط شذرات بسيطة من مناطق متفرقة، على سبيل فتح الباب أو حتى فتح الشهية، لعل باحثاً يتفرغ له فيخرج منه بسفر عظيم.

تركيا:

أفرد المستشرق البريطاني الشهير توماس أرنولد فصلاً عن تحول العبيد المسيحيين إلى الإسلام في العهد العثماني، وذلك في دراسته الشهيرة الضافية «الدعوة إلى الإسلام»، وكانت مادة هذا الفصل خليطاً من الأقوال والتحليلات التي تحاول تفسير لماذا اندفع العبيد النصارى إلى اعتناق الإسلام، فالأمر المؤكد أن الذين اعتنقوا الإسلام حتى وهم في العبودية كانوا أكثر بكثير جداً ممن بقوا على المسيحية.

وقد ذهب المؤرخون النصارى مذاهب كثيرة في تفسير هذا التحول، وفي التحسر عليه كذلك، والتقط بعضهم أن السر في ذلك هو ما للعبيد من حقوق مرعية، يقول: «كان للرقيق كما كان لسائر المواطنين حقوقهم، بل قيل: إنه كان للعبد أن يقاضي سيده إذا أساء معاملته، وأنه إذا تحقق القاضي من اختلاف طباعهما اختلافاً بيّناً إلى حد تعذر الاتفاق بينهما فله أن يرغم السيد على بيعه»، وقد نقل أرنولد بعض أقوال الغربيين المتحسرين على إسلام العبيد النصارى لما يرونه من حسن معاملة المسلمين، فمن ذلك: «في الوقت الذي لم يقض على أجسامهم بما أظهره لهم من رعاية وتقوى، صمم بدهائه الشيطاني على أن يقتل أرواحهم بتجريدهم من إيمانهم، ويمكن أن يشهد على هذه الحقيقة تلك الجموع من المؤمنين الذين لا يدخلون تحت حصر؛ ذلك أنه على الرغم من أن كثيرين منهم كانوا على غاية الاستعداد بأن يموتوا في سبيل العقيدة المسيحية.. قد نفث فيهم،

بإنقاذهم من الموت الجسدي، وحملهم إلى الأسر، فأفسدهم بمرور الزمن، ودفعهم بخسة إلى أن يُنكروا إيمانهم بالمسيح»، وسجل رحالة إنجليزي في القرن السابع عشر أنه «كان قليل منهم يعود إلى وطنه؛ وأقل منهم من كان له من الشجاعة والثبات ما يمكنه من الاحتفاظ بدينه المسيحي»[3].

الكويت:

أقام ضابط الأمن السياسي البريطاني هـ.ر.ب. ديكسون حوالي ربع قرن في منطقة شمال الجزيرة العربية وشرقها، وكان له دور سياسي مهم في خضم النفوذ البريطاني المهيمن على المنطقة، وجاء كتابه «عرب الصحراء» بمثابة تقرير شامل عن حياة سكان هذه الأنحاء، ويقع هذا الكتاب -كما يرى كثيرون- ضمن الكتب التشويهية في كثير من الأمور؛ مما اضطر دار النشر إلى حذف بعض الفصول والفقرات التي اشتدت فيها جنايته على الشخصيات والموضوعات، ومع ذلك، فنراه يقول في شأن تعامل العرب مع عبيدهم: «الغالبية من الناس يعاملون عبيدهم من العاملين في خدمتهم بالأعمال المنزلية معاملة حسنة، ولا أبالغ إذا قلت: إن بعضهم يعاملهم كأطفالهم تماماً، فلهم حرية التزاوج بالطريقة المناسبة وبمساعدة أسيادهم، ولهم الحق بالتناسل بمقدار ما يشاؤون، ويعامل أطفالهم كما يعامل أطفال أسيادهم، يلعبون معاً ويعيشون معاً، ولا أبالغ إذا قلتُ: إن سيدات البيت يعاملن هؤلاء معاملة أفضل، وحتى في بعض الأحيان لا تختلف عن معاملة أخت لأختها»[4].

الحجاز:

من أشهر الرحلات الاستشراقية وأشملها رحلة تشارلز داوتي إلى الجزيرة العربية، فإنها حافلة بالتفاصيل، وقد ترجمت في أربعة مجلدات إلى اللغة العربية، قضى فيها صاحبها عامين في أنحاء الجزيرة العربية (1876 - 1878م)، ومن أعجب ما ورد فيها مما يخص حديثنا هنا أن داوتي رأى عبيداً أفارقة في الجزيرة يحمدون الله على فضله أنهم صاروا عبيداً، وذلك أن هذه العبودية كانت طريقهم لاعتناق الإسلام وسكنى أرض الحرمين.

المستشرق البريطاني توماس أرنولد

يقول داوتي: «ظروف العبيد هي دوماً أمور مقبولة في الجزيرة العربية، وغالباً ما تكون ظروفاً سعيدة؛ والعبيد هنا ينشؤون باعتبارهم إخواناً مساكين وفقراء لأبناء الأسرة، وهو نوعٌ من مكافأة الرب لرب الأسرة المسلم المتدين، وهو العم لهؤلاء العبيد أثناء عبوديتهم، وهو أيضاً الأب بالنسبة لهم.. ورب البيت هنا إذا كان من النوع الذي يخشى الله ويخافه يعتق عبيده خلال بضع سنوات قلائل؛ وهو لا يعتقهم ويرسلهم لحال سبيلهم خاويّ الوفاض؛ ولكن في الجزء المرتفع من الجزيرة العربية (حيث لا يمتلك العبيد فيه سوى الأغنياء)، يقوم ذلك الرجل الطيب بتزويج العبد المعتوق سواء أكان ذكراً أم أنثى ويعطيه شيئاً من ثروته ومقتنياته.

هؤلاء الأفارقة لا يحسون بأي قلق أو ضيق لأنهم كانوا عبيداً في يوم من الأيام -إنهم في أغلب الأحيان يكونون أسرى من الحروب- بالرغم من أن تجار العبيد كانوا يختطفونهم من والديهم، كان الرعاة الذين

المتأمل بأحوال العبيد في تاريخنا الإسلامي سيجد أنها كانت أفضل من حال السجين بالسجون المعاصرة!

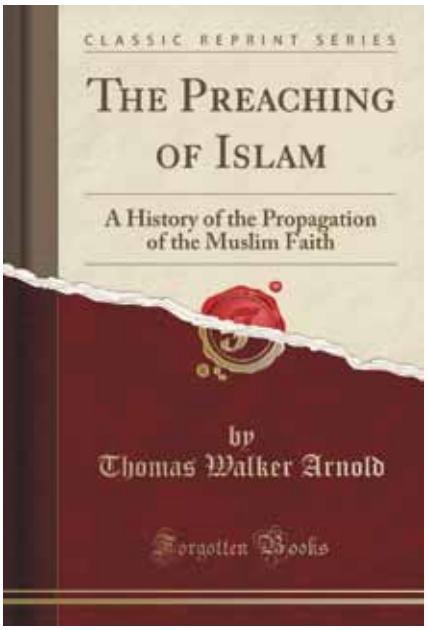

يتبنون أولئك العبيد ويشترونهم يضمونهم إلى عائلاتهم، ويقومون بتختين الذكور منهم -وكان ذلك يُقَوِّي من روح هؤلاء العبيد المعنوية، حتى فيما يتعلق بعاطفة الحنين إلى الوطن القوية- لقد نظر الله إليهم في محنتهم، وبوسعهم أن يقولوا: هذا فضل الله، لأنهم استطاعوا عن طريق ذلك الذي حدث لهم أن يدخلوا في الدين المنقذ، ومن هنا فهم يعتقدون أن هذا البلد، الجزيرة العربية، هو الأفضل حيث أعتقوا فيه، وأن الحياة المدنية في هذا البلد أفضل من بلدهم، وأن هذه هي بلاد الحرمين الشريفين، أرض محمد صلى الله عليه وسلم، ولذلك شكر هؤلاء العبيد الله على بيع أجسادهم في أسواق العبودية»[5].

ليبيا:

توقف المؤرخ الإيطالي إتّوري روسّي متعجباً، وهو يرصد وضع تجارة الرقيق في طرابلس الغرب (ليبيا) في منتصف القرن التاسع عشر، ومجهود أوروبا وبالذات الإنجليز في محاربة هذه التجارة و«إنقاذ» العبيد، وخلص بعد الاستعراض إلى القول: «الغريب أن عملية الإنقاذ هذه قد تعرضت لصعوبات جمة، من قبل هؤلاء العبيد أنفسهم، الذين عاد عدد كبير منهم إلى أسياده، بعد تحريرهم وإعتاقهم، كما تعود البهائم المعتادة على النير وحمل الأثقال، عاجزين عن أن يشقوا لأنفسهم طريقاً

خاصاً مستقلاً، وقد تخلوا في غير أسف عن تلك الحرية التي لم يرغبوا فيها، رغم ما كان يُوَفَّر لهم من حماية ومساعدة.

ومن الحق أن يقال: إن وضع هؤلاء العبيد، لم يكن سيئاً قاسياً، وأن أصحابهم كانوا يعاملونهم معاملة إنسانية في العادة، كما أن أوضاع العبيد في البيئة الإسلامية لم تكن مهينة، كما يمكن أن تبدو على ضوء الأفكار الحديثة، في المساواة بين البشر»[6].

مصر:

كان جوزيف بتس بحاراً إنجليزياً لكنه وقع في أسر الجزائريين عند السواحل الإسبانية في حروب القرن السابع عشر، فبقي أسيراً وزار مع سيده مكة، وكتب رحلته إلى الحج، وفي أثنائها مر بمصر، فوصف فيها حال العبيد والجواري على هذا النحو: «في الجزائر أعترف أن إجبار الرقيق على التحول للإسلام ليس أمراً شائعاً، رغم أنني -علم الله- قد عانيت بما فيه الكفاية منهم، لكن في مصر وتركيا -دعني أؤكد- أن الأمر يختلف؛ فالجواري والعبيد الذين هم في مرحلة الشباب يلحقون مباشرة بالمدارس لتعلم القراءة والكتابة، فهم مخلوقات جاهلة بائسة، وحقيقة فإنهم بعد تحولهم للإسلام تسير أمورهم في هذه الأنحاء على نحو أفضل، وقد يتفوقون كأبناء سادتهم إن كانوا أذكياء، ويقال: إن هؤلاء المتحولين للإسلام يلقون حظوة أكثر من الأتراك الأصلاء.. ويفخر العبيد والجواري الذين بيعوا هنا أن يوسف عليه السلام قد تم بيعه في مصر»[7].

وبعد قرنين من رحلة بتس؛ أي في منتصف القرن التاسع عشر، وصل إلى القاهرة أشهر رحالة إنجليزي في عصره وهو ريتشارد بيرتون الذي ملأت رحلاته ثلاثة وأربعين مجلداً، وكان يجيد خمساً وعشرين لغة، وكانت رحلته للحج في ثلاثة مجلدات، الأول منها هو ما كان في وصف الأحوال في مصر، وجاء فيه: «لقد عرف الإنجليز لتوِّهم أن العبيد ليسوا بالضرورة أكثر الناس بؤساً وأحطهم مرتبة، فهناك من لديه الشجاعة الكافية ليخبر الشعب الإنجليزي أن الرقيق في بلاد الشرق عامة يأكل أفضل بكثير من الخدم أو حتى أفراد الطبقات الدنيا ممن ليسوا عبيداً، وهذا أمر حقيقي.

فالشريعة الإسلامية تلزم المسلمين بمعاملة رقيقهم برقة بالغة، والمسلمون -بشكل عام- حريصون على الأخذ بتعاليم نبيهم، فالرقيق يعد فرداً من أفراد الأسرة.. وعندما لا يكون العبد راضياً بمعيشته ففي وسعه أن يجبر سيده على بيعه بالطرق المشروعة، والعبد في بلاد الشرق لا ينعى همَّ الطعام أو السكن أو اللباس أو الاستحمام، كما أنه مُعفى من دفع الضرائب، ومُعفى من الخدمة العسكرية ومن دفع أي مبالغ لسيده»[8].

إن المتأمل في الأحوال العامة للعبيد في عموم تاريخنا الإسلامي سيجد أنهم كانوا في حال أفضل من حال السجين في السجون المعاصرة، بما في ذلك السجون الغربية، وكلما أطلنا التفتيش في تاريخنا وتراثنا -بشرط أن نتخلص من ضغط الثقافة الغالبة- ازدنا إيماناً أن نبينا إنما هو «رحمة للعالمين»، وأن البشرية تنتظر صحوة هذه الأمة لتزيل ما رسخ في أقطار هذه الأرض من الجرائم والمظالم.■

بيجوفتش: السمو الإنساني لم يكن من المستطاع اكتشافه بواسطة علم الأحياء أو علم النفس أو بأي علم آخر

داوتي: العبيد بالجزيرة العربية ينشؤون باعتبارهم إخواناً فقراء لأبناء الأسرة وهو نوعٌ من مكافأة الرب لعائل الأسرة المسلم

الهوامش

(1) علي عزت بيجوفيتش، الإسلام بين الشرق والغرب، ترجمة: د. محمد يوسف عدس، ط1 (القاهرة: دار الجامعات، 1997م)، ص100.

(2) جوستاف لوبون، حضارة العرب، ترجمة: عادل زعيتر، (القاهرة: الهيئة العامة المصرية للكتاب، 2000 م)، ص391.

(3) توماس أرنولد، الدعوة إلى الإسلام: بحث في تاريخ نشر العقيدة الإسلامية، ترجمة: د. حسن إبراهيم حسن وآخران، (القاهرة: مكتبة النهضة العربية، 1971م)، ص200 وما بعدها.

(4) ديكسون، عرب الصحراء، ط2 (دمشق - بيروت: دار الفكر - دار الفكر المعاصر، 1998م)، ص456، 457.

(5) تشارلز داوتي، ترحال في صحراء الجزيرة العربية، ترجمة: صبري محمد حسن، ط2 (القاهرة: المركز القومي للترجمة، 2009)، الجزء الأول، المجلد الثاني، ص384، 385.

(6) إتوري روسي، ليبيا منذ الفتح العربي حتى 1911، ترجمة: خليفة التليسي، ط2 (طرابلس: الدار العربية للكتاب، ص1991م)، ص452.

(7) جوزيف بتس (الحاج يوسف)، رحلة جوزيف بتس إلى مصر ومكة والمدينة المنورة، ترجمة ودراسة: د. عبدالرحمن عبدالله الشيخ، (القاهرة: الهيئة العامة المصرية للكتاب، 1995 م)، ص37، 38.

(8) ريتشارد ف. بيرتون، رحلة بيرتون إلى مصر والحجاز، ترجمة وتعليق: د. عبدالرحمن عبدالله الشيخ، (القاهرة: الهيئة العامة المصرية للكتاب، 1994 م)، ص63.

www.mugtama.com

«المجتمع» - طارق الشال:

شهد الاحتياطي الأجنبي المصري مزيداً من التراجع خلال شهرين متعاقبين بقيمة 8,5 مليار دولار، بعد أن سجل تراجعاً بلغ نحو 5.4 مليار دولار خلال مارس الماضي ليزيد من حصيلة خسائره نحو 3.1 مليار دولار في أبريل الذي أعقبه؛ ليصبح إجمالي ما تملكه مصر من احتياطي أجنبي هو 37.037 مليار دولار، هبوطاً من 45.5 مليار دولار في نهاية فبراير 2020م.

سيتراجع إلى 30 مليار دولار نهاية العام المالي الحالي

الاحتياطي الأجنبي المصري إلى تراجع كبير.. الأسباب والحلول

أرجع البنك المركزي المصري، في بيان نشره على موقعه الإلكتروني، انخفاض رصيد الاحتياطي من النقد الأجنبي بنسبة 18.6%، خلال شهري مارس وأبريل الماضيين، إلى تداعيات انتشار فيروس «كورونا» على الأسواق العالمية، التي على أثرها تواصلت عمليات التخارج لاستثمارات الصناديق المالية الأجنبية من الأسواق الناشئة.

وبحسب أرقام البنك المركزي، تراجع صافي الأصول الأجنبية ببنوك البلاد 162.12 مليار جنيه (10.33 مليار دولار) في مارس.

كما أظهرت بيانات موقع البنك المركزي أن المستثمرين الأجانب باعوا في مارس ما يعادل 149.3 مليار جنيه مصري (9.5 مليار دولار) من أذون الخزانة، بما يزيد على نصف حيازتهم.

وبحسب تقرير لوكالة «موديز» للتصنيف الائتماني، فإن احتياطي مصر من النقد الأجنبي سيتراجع إلى نحو 30 مليار دولار بنهاية العام المالي الحالي، نظراً للاحتياج المتزايد للتمويل الخارجي، وضعف تدفقات رؤوس الأموال الأجنبية.

المستثمرون الأجانب باعوا ما يزيد على نصف حيازتهم من أذون الخزانة في مارس

وتوقعت الوكالة اتساع عجز الحساب الجاري بنحو 4.5% كنسبة من الناتج المحلي الإجمالي بنهاية العام المالي الحالي؛ نظراً لانخفاض إيرادات السياحة والسفر والتحويلات الأجنبية.

وأنفقت البنوك المركزية في الأسواق الناشئة الكبيرة 240 مليار دولار من احتياطيها الأجنبي خلال الشهرين الماضيين، في محاولة لدعم أسعار عملاتها واقتصاداتها في مواجهة «كورونا».

أسباب تراجع الاحتياطي

إلا أن واقع الاقتصاد المصري يصطدم بمجموعة من المتطلبات التي يعد أبرزها سداد التزاماتها الخارجية من مديونيات خارجية، في وقت بلغ فيه الدين الخارجي نحو 112.6 مليار دولار في نهاية عام 2019م، بالإضافة إلى احتياجاتها من النقد الأجنبي لتلبية متطلبات الواردات.

ويرى الخبير الاقتصادي، أحمد ذكر الله، أن مصر تعتمد على مجموعة من مصادر الدخل الأجنبي التي يمكن أن نسميها المصادر شبه الريعية؛ مثل إيرادات السياحة، وتحويلات العاملين بالخارج، وإيرادات قناة السويس، مؤكداً أن هذه الثلاثية تضررت بشدة بعد جائحة «كورونا»؛ وبالتالي الدولة المصرية كان من الطبيعي أن تلجأ إلى الاحتياطي النقدي الأجنبي لسداد ما عليها من التزامات، سواء تجاه المستثمرين الأجانب أو احتياجاتها من الواردات، خاصة أن مصر مستورد صاف للسلع الأساسية مثل القمح.

وأضاف ذكر الله، في حديثه لـ «المجتمع»، أنه وفقاً لتلك المعطيات، فمن المنطقي أن نجد تراجعاً مستمراً في الاحتياطي الأجنبي لمرتين على التوالي، مضيفاً أن البنك المركزي اعتمد على البنوك المحلية -لا سيما الحكومية منها- في سداد فاتورة المستثمرين الأجانب في أدوات الدين المحلية التي نزح ما يقارب نصفها أو أكثر من نصفها خلال الفترة الماضية إلى الخارج.

كما يتم استخدام الاحتياطي في سداد ما على مصر من أقساط وفوائد القروض الخارجية التي تبلغ نحو 18.5 مليار دولار خلال عام 2020م، بالإضافة إلى أن مصر ملتزمة بسداد دفعة أولى لـ «إسرائيل» تقارب ملياري دولار؛ نتيجة صفقة الغاز الممتدة لمدة 10 سنوات، التي تبلغ إجمالاً نحو 19.5 مليار دولار؛ وبالتالي يصبح ما على مصر إجمالاً خلال عام 2020م بخلاف الاستثمار في أدوات الديون يبلغ نحو 20.5 مليار دولار.

وأكد الخبير الاقتصادي أن النصيب الشهري للواردات المصرية يقارب 70 مليار جنيه؛ أي نحو 5 مليارات دولار شهرياً، التي نقص منها إلى حد ما مخصصات استيراد البترول نتيجة انخفاض أسعاره عالمياً، ولكن تبقى فاتورة الواردات إلى حد كبير كما هي.

من جانبه، أكد الباحث الاقتصادي، محمد عباس، في حديثه لـ «المجتمع»، أن الاحتياطي لأي دولة يتم تقييمه من خلال نسبته للواردات السلعية، فعلى سبيل المثال؛ خلال عام 2018م كان المتوسط العالمي للاحتياطي النقدي الأجنبي لكل دول العالم يكفي لنحو 10 أشهر، إلا أن مصر كان متوسط الاحتياطي الأجنبي بها يكفي لنحو 8 أشهر فقط.

وأشار عباس إلى أن متوسط الواردات السلعية 5.5 مليار دولار شهرياً؛ أي أن بلوغ الاحتياطي الأجنبي 37 مليار دولار يعني أنه يكفي لأقل من 7 أشهر؛ وبالتالي نحن نقترب من حالة الخطر بشدة إذا لم تتخذ الحكومة إجراءات عاجلة، مضيفاً أن حديث الحكومة عن توافر احتياطي لسد نحو 3 أشهر يكفي للبلاد ليس بالأمر الصحيح في ظل ما نشهده من تطور للأحداث بصورة كبيرة.

تمويل النقد الأجنبي

دفع تراجع الاحتياطي النقدي الأجنبي مصر إلى اللجوء إلى الاقتراض، وبالفعل وافق صندوق النقد الدولي من خلال آلية التمويل السريع على قرض بحوالي 2.7 مليار دولار، الذي يمثل نسبة 100 % من حصة مصر في المشاركة بالصندوق، كما أن مصر تتفاوض مع الصندوق على قرض آخر من التمويل الميسر بنحو 5.6 مليار دولار، وتتيح تلك الآلية تمويلاً بمقدار 200 % من حصة مشاركة مصر في الصندوق ليبلغ ما يتوقع أن تحصل عليه مصر من قروض من صندوق النقد فقط حوالي 8.5 مليار دولار، هذا بالإضافة إلى بعض الاعتمادات السريعة من البنك الدولي وبعض المؤسسات الدولية الأخرى والمؤسسات الإقليمية.

وتوقع الخبير أحمد ذكر الله أن يفقد الاحتياطي النقدي الأجنبي في مصر ثلثي حجمه ليصل إلى 20 مليار دولار أو أقل، مضيفاً أن الاقتراض من الخارج قد يتجاوز 15 مليار دولار خلال العام الحالي، وأن

متوسط الواردات السلعية 5,5 مليار دولار شهرياً ونقترب من حالة الخطر بشدة إذا لم تتخذ الحكومة إجراءات عاجلة

مصر ستعتمد على اللجوء لسوق السندات إن توافرت أموال يمكن الحصول عليها؛ وذلك نتيجة ندرة السيولة العالمية، وارتفاع أسعار الفوائد على القروض في ظل ما تعانيه الدول المختلفة، واللجوء إلى عمل خطط تقشفية.

وكان وزير المالية المصري قد أعلن، مؤخراً، أن هناك خطة تقشفية تعتمد على خفض مخصصات السلع التموينية ودعم الخبز في الموازنة العامة للدولة من 89 مليار جنيه إلى 79 مليار جنيه فقط؛ أي خفض بقيمة 10 مليارات جنيه، هذا بالإضافة إلى أن الخفض الذي كان مقرراً من قبل لدعم الكهرباء بدلاً من 4 مليارات جنيه أصبح صفراً؛ أي أنه تم تحرير سعر الكهرباء بالكامل، كما تم تخفيض دعم البترول بمقدار 47%.

واعتبر ذكر الله كل هذه التخفيضات في الدعم المقدم للمواطنين سيمس بصورة رئيسة الشريحة الفقيرة في المجتمع؛ فالأرقام الرسمية لدى جهاز التعبئة والإحصاء تتحدث عن أن عدد الفقراء في مصر بلغ نحو 32.5% ويقول البنك الدولي:

التخفيضات في الدعم ستمس بصورة رئيسة الشريحة الفقيرة و60% من المصريين سيكونون تحت خط الفقر

كل الدول قدمت حِزَم مساعدات لجانبي العرض والطلب بالاقتصاد لكن الحِزم التي قدمت للعمالة المصرية واهية للغاية

إن هناك 27% آخرين دون خط الفقر وقريبين منه للغاية، مؤكداً أن الـ 60% من المصريين سيكونون هم بالكامل وقعوا تحت خط الفقر وربما نسبة أكبر من ذلك خلال العام الجاري.

هروب الاستثمار الأجنبي

وأشار ذكر الله إلى أن هروب الاستثمار الأجنبي من مصر ليس بحالة مصرية، وإنما حالة تشهدها الأسواق الناشئة، فهناك خسائر كبرى في كل الشركات حول العالم؛ وبالتالي كل المستثمرين ينزحون أموالهم تجاه الموطن الأصلي لشركاتهم أو وطنهم الأم في محاولة لتعويض خسائرهم أو من أجل سداد أجور العاملين.

وتابع أن نزوح الأموال في حد ذاته ليس المشكلة الكبرى، فعلى سبيل المثال؛ نزوح 10 مليارات دولار من أدوات الدين المحلية في مقابل 150 مليار دولار احتياطي لبعض الدول لن يشكل مشكلة كبرى، وإنما في حالة مثل مصر يمثل فيها أدوات الدين المحلية أو الاستثمار في أذون الخزانة نسبة كبرى من هذا الاحتياطي الأجنبي، فهنا تكمن المشكلة.

وأوضح ذكر الله أن كل دول العالم توجهت بحِزَم مساعدات لجانبي العرض والطلب في الاقتصاد، كما أنه كان هناك مساندة كبيرة لجوانب قطاع العمالة، فعلى سبيل المثال؛ الاقتصاد الأمريكي الآن يقدم إعانات لنحو 30 مليون عاطل، وتوجد دول أخرى في العالم قدمت إعانات بطالة للعاطلين.

واعتبر ذكر الله أن الحِزم التي قدمت للعمالة المصرية كانت واهية للغاية، مضيفاً أن معظم تلك العمالة هي عمالة يومية غير منتظمة، يقدرها الجهاز المركزي للتعبئة والإحصاء بأكثر من 5 ملايين عامل، فهذه الحزمة المقدمة إليهم بقيمة 500 جنيه شهرياً للعامل لمدة 3 أشهر حزمة ضئيلة للغاية، ولا تكفي أسبوعاً لأسرة متوسطة؛ وبالتالي لا بد من العمل على رفع هذه الحزمة.

وطالب محمد عباس الحكومة بالعمل على طمأنة المستثمرين ومساعدة الطبقات الفقيرة والمتوسطة على تخطي أعباء «كورونا»، واتخاذ إجراءات جدية بشأن مكافحة المرض والتصدي له، والتخفيف من الآثار السلبية التي ستنعكس على كل قطاعات الأعمال بالبلاد. ■

www.mugtama.com

محللون سياسيون مغاربة:

ضرورة الحفاظ على التوازن بين مؤسسات الدولة وباقي الفاعلين بعد «كورونا»

الرباط - عبدالغني بلوط:

أعاد تدبير أزمة جائحة فيروس «كورونا» في المغرب إلى الواجهة السؤال حول من له أحقية القيادة والمبادرة، هل هم المنتمون إلى الأحزاب السياسية القادمون من صناديق الاقتراع، الحائزون ولو نسبياً على شرعية انتخابية وشعبية، أم رجال السلطة والتكنوقراط الموالون قلباً وقالباً للإدارة؟

هذا السؤال يفرض نفسه بقوة في كل محطة من المحطات السياسية المفصلية التي يعرفها المغرب؛ لأنه تعبير، من جهة، عن مخاوف تكريس هيمنة الدولة في كل مجالات الحياة، وهي القوة الرئيسة في كل معادلة سياسية، وتطلع، من جهة أخرى، إلى مزيد من التمكين لديمقراطية نامية.

في هذا التقرير، يوضح محللون سياسيون بالمغرب، في تصريحات لـ «المجتمع»، العلاقة بين الفعل السياسي والتحولات العالمية في واقع زمن «كورونا»، ولجوء الدول القوية إلى التكنوقراط خلال الأزمات، ويسلطون الضوء على المؤثرات الداخلية والسياق التاريخي في صياغة المشهد السياسي المغربي، وعلاقة ذلك بالتضييق على حزب معين بذاته.

كما يقدم هؤلاء توقعاتهم حول المآلات المرتقبة، ويقترحون تصوراتهم للإبقاء على ذلك التوازن الضروري بين مؤسسات الدولة وباقي الفاعلين، والسماح لكل الأصوات بالظهور رفعاً لكل سوء فهم بين جميع الأطراف، وربحاً لرهان التحديات التي تفرضها الجائحة في واقع متقلب.

مع تفشي الوباء في العالم، وتعثر عجلة الاقتصاد، وتأثر قطاعات حيوية واسعة، وتغير السلوك العام للدول ومجتمعاتها، دخل الوضع الدولي مرحلة جديدة لا يمكن إنكارها، تظهر معالمها في الصراع الظاهر بين الولايات المتحدة المهيمنة على المشهد الدولي منذ عقود حفاظاً على مصالحها، وقوى عالمية جديدة.

لكنَّ تشكُّل هذا الوضع واتجاهه إلى عالم ذي قطبين أو متعدد الأقطاب أرخى بظلاله على باقي الدول بدرجات متفاوتة، وكان تأثيره أقوى على دول نامية مثل المغرب، مع ما رافق ذلك من ملاحظة لعودة ما سمي بالدولة الراعية، وعلاقة كل ذلك بتقدم أو تراجع الالتزام بالديمقراطية، والتغير الحاصل في المشهد السياسي.

إن لجوء الدول المتواتر للتكنوقراط يظهر مع كل أزمة على الرغم من اختلاف منظوماتها الأيديولوجية والحضارية، تجلى ذلك في مراحل مفصلية مر منها العالم، منها ما بعد الحربين العالميتين الأولى والثانية قديماً، وحديثاً مع الأزمة المالية لعام 2008م، وحالياً مع أزمة «كورونا».

في هذا السياق، يرى أستاذ العلوم السياسية خالد الشيات، أن استعادة التفكير في مفاهيم التمثيلية ليست قائمة في المغرب فقط، بل إن التحول المفاهيمي العام يمس كل القوى الديمقراطية الغربية، خاصة مع ترهل البنيات المنتَخَبة في ظل الأزمة التي يعرفها العالم اليوم، وصعود القوى الفعَّالة ذات الأنظمة شبه الشمولية كالصين، أو أنظمة ديمقراطيات الواجهة كروسيا.

مع ذلك، يبقى الأكاديمي المغربي عبدالصمد بلكبير متفائلاً بالديمقراطية، وتحدث عن هزيمة ما أسماه «الليبرالية المتوحشة»، مبرزاً أن المؤشرات قد تكون في صالح تحرر الشعوب وسلامها، ونجاح الديمقراطية الجديدة، ومزيد من الحريات والرخاء، قد تستفيد منها الدول الناشئة مثل المغرب كما وقع بعد الحرب العالمية الثانية.

واقع محلي

للمؤثرات الداخلية أيضاً دور في طبيعة وحجم دينامية المشهد السياسي المغربي، إذ إن بين قوة الدولة بطبيعتها، وضعف تأثير الأحزاب السياسية بحكم إمكاناتها ومدى تأثيرها في الواقع، يبرز الفارق أكثر في زمن تدبير الأزمات.

ويؤكد بلكبير أن الشروط كلها في زمن

«كورونا» فرضت أن تقوم الدولة بدورها الضبطي بدرجة عالية، لا يمكن أن يقوم به إلا قوة قاهرة لديها وسائلها، لكن ذلك منح لها الفرصة لأن تكرس هيمنتها.

ويرى الكاتب والحقوقي خالد بكاري أن التدبير السياسي هو ترجمة واضحة لكيفية تصور الدولة المغربية للأحزاب السياسية والمؤسسات المنتخبة؛ ولذلك تم استبعاد الأحزاب في هذا الظرف حتى على مستوى التشاور الشكلي، كما تم استبعاد المؤسسات المنتخبة.

فيما يعتقد خالد الشيات أن المشهد السياسي العام والحزبي منه ليس رهيناً بمآلات أزمة «كورونا»، بل هو تعبير عن وضع قائم ومستمر يتضمن مجموعة من المقدمات أو الآليات التي ينهلها من بيئة سلطوية قائمة.

ويشير الشيات إلى أنه ليس فقط الأحزاب والحكومة وتوابعها من وجد نفسه قليل التدخل في التدبير، بل أيضاً جُل ما نتج عن المنظومة المؤسساتية المنتخبة بما فيها الجماعات الترابية، وهذا يعني إزاحة سياسية للقوى الحقيقية بالبلاد، ولكن أيضاً ضعف المكونات التي أصبحت إما ثانوية أو آليات للتنزيل في أحسن الأحوال.

بدوره، يرى المحلل السياسي عبدالحفيظ اليونسي أن تدبير حالة الطوارئ الصحية في زمن كورونا يعرف، بحكم طبيعة الحالة التي تمر منها الدول، بحضور قوي للسلطة التنفيذية، فالدولة الحديثة ارتبطت بمفهوم حالة الاستثناء، حيث قدرة الفاعل العمومي على الفعل، وبالتالي فإن الحضور اللافت في تدبير هذه المرحلة هو المُعَيّن وليس المنتخب، وهذا المُعَيّن ليس بالضرورة أن يكون تكنوقراطياً.

مستقبل سياسي

إن تحليل ما يقع على مستوى تدبير هذه المرحلة لا يمنع من طرح سؤال آخر ما بعد «كورونا»، وتصور المحللين والفاعلين السياسيين لمستقبل المشهد السياسي المغربي.

ويتوقع خالد بكاري أن يعود الوضع لسابق عهده؛ أي رجوع الأحزاب والمؤسسات المنتخبة لأدوارها الشكلية، مؤكداً أن تمدد مجال السلطوية في المغرب وهيمنته المتزايدة على فضاءات مختلفة هو اختيار كان قبل «كورونا» التي لم تكن إلا لحظة من لحظات تسريع

بكاري: التدبير السياسي ترجمة لكيفية تصور الدولة للأحزاب السياسية والمؤسسات المنتَخَبة المُبعَدة

بلكبير: ما بعد «كورونا» سيطول لتعوّد الدولة على ممارساتها السلطوية

اليونسي: صعود دور «الداخلية» أدى لتراجع المؤسسات المنتخبة بنهج مقصود

الهيمنة وتطبيع المجتمع والنخب مع هذا الوضع.

بيد أن عبدالصمد بلكبير يشير إلى أن ما بعد «كورونا» سيطول؛ لأن الدولة ستتعود أكثر على ممارساتها السلطوية، وتوسع الفارق بين سلطتها وسلطات باقي الفاعلين مع تقلص الحريات، وذلك بحكم ما ستفرضه الجائحة نفسها من سلوك في المجتمع من خلال التباعد الاجتماعي إلى حين.

في المقابل، يرى عبدالحفيظ اليونسي أن استمرارية الدولة مرتبطة أساساً بقوة السلطة العمومية وخصوصاً وزارة الداخلية، لكن الواقع لا يرتفع آجلاً أم عاجلاً، والدولة محتاجة إلى كل المؤسسات والفاعلين للخروج من خطورة القادم من الأيام، خصوصاً اقتصادياً واجتماعياً، الذي ستكون له انعكاسات أمنية على الاستقرار، حيث السياسة تؤدي دوراً مهماً في الحفاظ عليه وليس الأمن وحده.

ويؤكد أن صعود دور ممثلي وزارة الداخلية أدى تلقائياً إلى تراجع حضور طبيعي للسياسيين في المؤسسات المنتخبة وطنياً أو محلياً، يمكن أن يكون مقصوداً.

هل لكل ما سبق علاقة بالانتخابات القادمة، لا سيما أن عدداً من القوى الفاعلة أبدى تذمره من استمرار حزب العدالة والتنمية على رأس الحكومة لولايتين متتابعتين؟

يلاحظ الإعلامي والكاتب الصحفي حسن بويخف أنه خلال تطبيق الإجراءات الاحترازية، لوحظ تعامل تمييزي للسلطات بين الأحزاب، وهذا وإن لم يكن شاملاً، فهو يعبر عن اختلالات مقلقة في تدبير العلاقة بين الطرفين في الأزمات، فمثلاً؛ مقابل منع بعض أنشطة حزب المصباح في مناطق معينة دون أن يطال المنع غيره من الأحزاب، نجد أيضاً أن السلطات غضت الطرف عن أنشطة حزب الأحرار تتعلق بالقيام بتوزيع مساعدات اجتماعية مباشرة في عدة مناطق من المغرب، ورغم أنه عمل غير قانوني، فإنه لم يفتح أي تحقيق حول ما جاء حوله في وسائل الإعلام.

إن هذا التمييز، بحسب بويخف، يؤكد السعي الفاشل إلى استثمار أي مناسبة لضرب التنافس الحر والنزيه بين الأحزاب، ويعكس تصوراً تقليدياً كان يطبق بشكل ممنهج حتى في محطات الانتخابات.

ويضيف بويخف أن السلطوية تعلم جيداً أن فتح أي مجال، كيفما كان، أمام الأحزاب لا يعني سوى مزيد من تقوية حزب المصباح؛ لذلك تفضل مقاربة التضييق، ورغم ذلك فوضع المشهد الحزبي اليوم يؤكد أن حزب المصباح يتمتع بوضع جد مريح، وأن المعارضة ضعيفة جداً، وأن عمليات حشد جهات إعلامية لملء الفراغ الذي تركته المعارضة لن تنجح.

بدوره، يؤكد عبدالحفيظ اليونسي أن تجربة المغرب السياسية تؤكد خطورة جمع السلطة في جهة واحدة، وأنه لا بد من الحفاظ على شرعية ومشروعية الفعل العمومي، وأن مؤسسات الوساطة لها دور مهم في أي نظام سياسي، مضيفاً أنه سبق للدولة في خلاصاتها بخصوص حراك الريف وجرادة أن أشارت إلى أن من أسباب هذا الحراك ضعف مؤسسات الوساطة.

ويشير إلى أن هذه الأزمة سيكون لها تأثير على نسب المشاركة، محذراً من أن الطلب على الدولة وإن كان يريح البعض ممن يتوجس من الديمقراطية والأحزاب السياسية، فإن وفاء الدولة بقدرتها التوزيعية والاتفاقية ستكون جد محدودة في المرحلة المقبلة، وبالتالي المطلوب هو وجود رهانات حقيقية للرفع من جاذبية المشهد السياسي وحيوية حقله الحزبي.■

www.mugtama.com

جدل مثار حول تصريحات سعيّد بفرنسا

هيمنة فرنسا على تونس.. هل كانت احتلالاً أم حماية؟

تونس- عبدالباقي خليفة:

لا يزال الجدل متواصلاً في تونس حول مضامين الزيارة التي قام بها الرئيس التونسي قيس سعيّد إلى باريس، مؤخراً، ولا سيما التصريحات المثيرة التي أدلى بها لوسائل الإعلام الفرنسية، خاصة عندما أطلق لفظ «الحماية» على الاحتلال الفرنسي لتونس؛ أي بنفس التسمية التي فرضها الفرنسيون على تلك «المعاهدة» التي وقّعت تحت تهديد السلاح عام 1881م.

عندما رد قيس سعيّد على سؤال في المناظرة التي تمت بينه وبين المرشح الثاني للرئاسية نبيل القروي، في أكتوبر 2019م، حول التطبيع بأنه «خيانة عظمى»، نزل لمكاتب الاقتراع كثير ممن كانوا لا ينوون التصويت وصوّتوا له، لكن الأمر اختلف عند الكثيرين عندما لاحظوا، أخيراً، أن رئيسهم يعتبر الاحتلال الفرنسي لبلادهم «حماية» وليس احتلالاً، ومختلف عمّا حدث في الجزائر، كما لو كان الاحتلال الفرنسي لتونس كان يقدم للشعب السمن والعسل!

ففي حوارين أجراهما سعيّد، أحدهما لـ «فرانس 24» العربية، والآخر بالفرنسية، وقد اختلفت الأسئلة حسب الجمهور الموجَّه له الحوار، وقد علّق سعيّد على لائحة طلب الاعتذار من فرنسا بترديد مثل فرنسي يقول: «من يعتذر يتهم نفسه»، وعندما رد المذيع سريعاً: «ولِمَ لا؟»، أجاب سعيّد: «نحن ننظر نحو المستقبل، التاريخ وصفه ماكرون نفسه بكونه شهد فترات مضطربة»، هنا استوقفه من جديد المذيع: «ماكرون نفسه اعترف بجرائم ضد الإنسانية في الجزائر»، فرد سعيّد: «هذا في الجزائر نعم»، استوقفه المذيع: «أكان الأمر مختلفاً في تونس؟»، قال سعيّد: «كانت هناك جرائم في تونس وفظائع، لكن الأمر مختلف، في تونس كنا تحت حكم الحماية وليس الاستعمار المباشر كما هي الحال في الجزائر».

لم يصدق المذيع ما سمعه فجدّد السؤال: «إذن ليس لديكم الحق في اعتذار؟!»، يجيب سعيّد: «لديهم الحق، لكن صياغة الاعتذار ليس كافياً، ربما اعتذار مع مشاريع وشراكات، ربما هذا أهم من اعتذار، يمكن طلب تعويض»، المذيع لا يتوقف عن السؤال: «هل طالبت به؟»، ينفي سعيّد: «لا لم أطلب ذلك أبداً».

لم يكتف بذلك، بل ذكر بأن اللائحة التي تقدمت بها كتلة «الحرية والكرامة» لم تمر، بل واتهمها بأنها غير بريئة: «أولاً اللائحة لم تمر، ثم هي ليست بريئة»، وتساءل مثيراً استغراب ودهشة التونسيين: «لِمَ نطالب بعد 60 سنة بالاعتذار؟ أعتقد أن هناك أحداثاً تاريخية واضحة وجلية، الفرنسيون أنفسهم يعترفون بها، وأعتقد أن طلب الاعتذار يكون بطرق أخرى وليس بلائحة»!

احتلال أم حماية؟

أثارت إجابات وتصورات سعيّد التي تم اكتشافها في فرنسا ولم يكن التونسيون على علم بها السؤال مجدداً: هل هيمنة فرنسا على تونس منذ عام 1881م كان احتلالاً أم حماية؟ وقد شارك في هذا السجال أكاديميون وصحفيون ونواب في البرلمان التونسي.

واكتشف التونسيون مجدداً أن موضوع الاحتلال الفرنسي ليس عليه إجماع بين التونسيين، الذين نصت وثيقة «استقلالهم» أن اللغة الفرنسية ليست لغة أجنبية، وظل بعضهم وفياً إلى هذا النص حتى اليوم؛ فيقولون مثلاً: «اللغة العربية والفرنسية واللغات الأجنبية» (هكذا).

ومن الغرائب والطرائف أن تكون إحدى النائبات على رأي سعيّد؛ حيث انتقدت في كلمتها بالبرلمان من اعتبرتهم لا يميّزون

بين الحماية والاحتلال، وأنّهم يستهدفون رئيس الجمهوريّة، وميّزت بين تدخّل فرنسا في الجزائر الذي كان عسكرياً وتدخّلها في تونس الذي كان باتّفاق! لكنَّ الأستاذة، كما يقول الأكاديمي البارز سامي براهم، نسيت أن تقول لنا: هل هذا التدخّل الذي تمّ باتّفاق كان عسكرياً أم سلمياً؟ وهل هذه الاتفاقية حالت دون احتلال البلاد واستيطانها وافتكاك الأراضي ونهب الخيرات وارتكاب أفظع الجرائم بحقّ أهلها مثلما وقع في الجزائر ولا يقلّ عنه في شيء؟!

المعركة الدائرة في تونس استدعيت فيها الوثائق التاريخية، ومنها كتاب «المسألة التونسية والسياسة العثمانية» للدكتور عبدالرحمن تشايجي، ترجمة المؤرّخ عبدالجليل التميمي؛ وذلك لإثبات أن ما جرى في مايو 1881م كان احتلالاً وليس معاهدة بين طرفين كاملي الإرادة، ومن ذلك مراسلة باي تونس للباب العالي (تركيا) يوضح فيها ظروف إمضائه معاهدة «باردو»، وجاء فيها: «أعلم سيادتكم أنّ الجنرال قائد الجيش الفرنسي الذي يوجد كما أعلمت سيادتكم في منطقة الجديدة قد اقترب مساء اليوم الخميس من مقر إقامتي، وقد قدم على قصري تصحبه كتيبة من جنود الخيّالة، وطلب منّي إمضاء معاهدة حماية، معلناً أنّه لن يغادر القصر إلا بعد حصوله على جوابي، ولم يمهلني إلا أربع ساعات، وعندما لاحظت أنّني وقعت تحت ضغط القوّة نتيجة وجوده بالقصر؛ اضطررت لإنقاذ الشرف وإراقة الدماء إمضاء المعاهدة دون دراستها أو مناقشة أي بند منها، معلناً أني أمضيتها رغماً عني وتحت التهديد»، وهذه الرسالة بتاريخ 15 مايو 1881م.

ففي 6 أبريل 1881م، طلبت الحكومة الفرنسية من الباي الترخيص لجنودها بالدخول إلى التراب التونسي لـ «إخضاع القبائل المتمردة»، ورفض الباي الاستجابة لهذا الطلب، وفي 28 أبريل 1881م، تم دخول 28 ألف جندي من الحدود الجزائرية إلى الأراضي التونسية.

وفي 1 مايو، فرض الجنرال «جول إيمي بريار» حصاراً على مدينة بنزرت بقوة قوامها 8 آلاف جندي، وفي 3 مايو دخل الجنرال «بريار» حاضرة تونس، وفي 11 مايو حوصر قصر الباي، وفي 12 مايو أرغم الباي على إمضاء اتفاقية الحماية لتسويغ الاحتلال.

المعركة الدائرة استدعيت فيها الوثائق التاريخية لإثبات الاحتلال وليس معاهدة بين طرفين كاملي الإرادة

برلماني لسعيّد: هل تُجرِّم التطبيع مع الكيان الصهيوني وتعتبره خيانة بينما تُسمّي احتلال بلدك حماية؟

مؤلف «تونس الشهيدة» عن الاستعمار الفرنسي: إنه صراع حتى الموت وحرب صليبية ضد مجتمعنا واغتصاب منظَّم لثرواتنا

أما الأكاديمي د. محمد ضيف الله، أستاذ التاريخ المعاصر، فعنون تدوينة له على «فيسبوك» تحت عنوان «تكلم لأراك»، قائلاً: ما قاله قيس سعيّد في الندوة الصحفية مع الرئيس الفرنسي كان كافياً لمعرفة ما استمر عليه من غموض، طيلة أشهر بعد انتخابه، وها قد زادت المقابلة مع «فرانس 24» لتبين ما بقي مما خفي، وتابع: السياسة لا نتعلمها في العمر الثالث، والتاريخ كذلك، وهو على فكرة المعرفة الوحيدة التي كان يهتم بها الحكام القدامى.

وأردف: دعنا من الأحداث والانتفاضات التي تتالت والفظاعات التي ارتكبت في حق أجيال من التونسيين الذين رفضوا أن «تحميهم» فرنسا، حتى لو تمسكنا بالنصية القانونية، اتفاقية الحماية المفروضة، في 12 مايو 1881م، لم تكن إلا خطوة أولى، أعقبتها اتفاقية المرسى المفروضة أيضاً، في 8 يونيو 1883م، التي أصبحت فرنسا بموجبها تتحكم بكل شيء في تونس؛ بشراً وثروات.

وختم تدوينته قائلاً: واضح، قيس سعيد لم يقرأ تاريخ تونس، وواضح أيضاً أن التكوين في القانون والاشتغال بالسياسة كلاهما يتطلب حداً أدنى من معرفة العلوم الإنسانية والاجتماعية ومن بينها التاريخ.

تجريم التطبيع والحماية

وفي رسالة طويلة بعث بها النائب في البرلمان (صحفي سابق) الصحبي سمارة إلى الرئيس سعيّد، قال فيها: هل تريد أن تقنعنا أنك فعلاً تُجرّم التطبيع مع الكيان الصهيوني وتعتبره خيانة بينما تُسمّي احتلال بلدك لأكثر من ثمانين عاماً حماية؟! هل تريد أن تقنعنا أنه بإمكانك من الآن فصاعداً أن تحدثنا عن معاني السيادة وأنت أمين سرّ مجلس أمننا القومي؟ هل أنت أدرى بدماء شهداء معركة التحرر الوطني على مدى ثلاثة أجيال أكثر من مؤرخي العالم؟ هل أنت أعمق من نعوم تشومسكي، وهاربرت ماركيز، وقبلهما كلود ليفي ستروس، الذين وصفوا الاحتلال بالاحتلال؟ هل أنت أكثر معرفة من سمير أمين؟ هل أنت أدرى من الهادئ التيمومي، وعبدالجليل التميمي (مؤرخ مشهور بتونس)؟!

وختم قائلاً: إذا كانت هذه زيارتك الأولى التي تستجدي فيها قطار الخطوط البعيدة وبعض البنايات وصفتَ فيها الاحتلال الدموي الغاشم بـ «الحماية»؛ فماذا ستقول في الزيارة الثانية؟ هل ستصف شهداءنا بالمتمرّدين؟ هل ستعتبرهم مجرّد فوضويين رفضوا مشروع التحضّر الذي جاء به المقيم العام روستان على رؤوس الدبابات عام 1881م؟

يقول الزعيم التونسي عبدالعزيز الثعالبي الذي نفته فرنسا ومات بالمنفى في كتابه «تونس الشهيدة»: «مِنْ واجبنا أن نوضح الصفات الحقيقية للاستعمار الفرنسي بالبلاد التونسية، إنه صراع حتى الموت، وحرب صليبيّة موجهة ضد مجتمعنا، إنه الاغتصاب المنظّم لثرواتنا».

ويضيف: «إنه يهدف إلى تفقيرنا بانتزاع أراضينا الخصبة، وتجميد مؤسساتنا الزراعية وإصدار قوانين تقضي على تجارتنا وصناعتنا، وهو يرمي إلى الحطّ من مستوانا الثقافي والأخلاقي بإبقائنا في حال جهل وهوان وبانعدام المدارس، وانتهاج الحكومة لسياسة التمييز المسلّطة على تدريس اللغة الوحيدة القادرة على إحيائنا، وهو يرمي أيضاً إلى استبعادنا بإقصائنا عن إدارة شؤوننا العامة وعن السلطات الاجتماعية، وأخيراً فإن ما تهدف إليه الحكومة بتونس هو انحلال تنظيم اجتماعي عزيز علينا والنزول بنا إلى مستوى الجنس الأسفل».■

www.mugtama.com

«المخلب – النمر».. عملية تركية جديدة في العراق

د. سعيد الحاج
محلل سياسي مختص بالشأن التركي

أعلنت القوات المسلحة التركية، في 17 يونيو الماضي، عن إطلاق عملية «المخلب - النمر» ضد مسلحي حزب العمال الكردستاني في شمال العراق.

العملية البرية المدعومة من الجو بمروحيات «أتاك» والمسيّرات محلية الصنع تستهدف قوات الحزب في منطقة «حفتانين» الإستراتيجية، وتبنى على عمليات تركية سابقة كان آخرها عملية «المخلب - النسر» التي سبقتها في مارس الماضي.

يخوض حزب العمال الكردستاني، وهو منظمة إرهابية وفق التصنيف التركي والعراقي والأوروبي والأمريكي والأممي، حرباً انفصالية ضد تركيا منذ عام 1984م، تسببت في مقتل عشرات آلاف المواطنين الأتراك، إضافة لخسائر اقتصادية قدرت بمئات مليارات الدولارات.

وقد استفاد «الكردستاني» من التطورات في شمال العراق في حرب الخليج الأولى عام 1991م، ثم غزو العراق في عام 2003م؛ ليؤسس لنفسه معقلاً لإدارة المواجهة مع تركيا تدريباً وتخطيطاً وإطلاقاً للعمليات، ثم على هامش ضعف سيطرة الحكومة السورية على المناطق الشمالية بعد الثورة، أعلن فرعه السوري (حزب الاتحاد الديمقراطي) إدارات ذاتية على ثلاثة «كانتونات» في الشمال السوري مطلع العام 2014م.

وفي يونيو 2015م، وعلى إثر تراجع حزب العدالة والتنمية في الانتخابات البرلمانية وتأخر تشكيل حكومة جديدة، تراجع «الكردستاني» عن الهدنة التي كان أعلنها بناء على مسار التسوية الذي كان قد انخرط فيه منذ سنوات مع الحكومة التركية، واستأنف في يوليو 2015م عملياته العسكرية في الداخل التركي.

بالتزامن مع ذلك، أعلن عن إدارات ذاتية في مناطق الأغلبية الكردية في الشرق والجنوب الشرقي التركيين، ما عني أن مواجهة تركيا للعمال الكردستاني باتت داخلية وخارجية، في تركيا والعراق وسورية، لا سيما مع الدعم الأمريكي الكبير والعلني والمتزايد لوحدات الحماية الشعبية (الذراع المسلحة للكردستاني في سورية) رغم تحفظات الحليف التركي.

وعليه، رسمت تركيا إستراتيجية متكاملة ومتدرجة لمكافحة الكردستاني ودفع شبح التقسيم وتفجير الملف الكردي الداخلي عن نفسها، بحيث تتكامل جهود الحكومة في الداخل وفي سورية والعراق، بتكاتف عمل المؤسسات المختلفة وفي مقدمتها وزارتا الداخلية والدفاع مع جهاز الاستخبارات.

أفشلت تركيا الإدارات الذاتية في الداخل بعد أن أنهت حالة حرب المدن في مناطق الأغلبية الكردية لصالحها بشكل حاسم ونهائي، وأطلقت منذ عام 2016م -بعد الانقلاب الفاشل- أربع عمليات عسكرية في سورية، هي على التوالي: «درع الفرات»، «غصن الزيتون»، «نبع السلام»، وأخيراً «درع الربيع».

العراق

تواجه تركيا وجود العمال الكردستاني في جبال قنديل شمالي العراق منذ عشرات السنين، وكانت مكافحتها تقوم بالأساس على القصف من الجو، دون أن يمكنها ذلك من كسر شوكته بشكل ملموس، وقد أبرمت

مع الحكومة العراقية اتفاقيات وتفاهمات لمكافحة النشاط الإرهابي انطلاقاً من أراضيها، بما في ذلك حق تركيا فيما عرف بـ «الملاحقة الساخنة»؛ أي الدخول في قلب الأراضي العراقية لبضعة كيلومترات لملاحقة مسلحي المنظمة، في حال عجزت الحكومة العراقية عن فعل ذلك.

كما أبرمت أنقرة كذلك عدة تفاهمات مع حكومة إقليم كردستان العراق لاحقاً، لا سيما وأن الأخيرة ليست على وفاق فكري وأيديولوجي وسياسي مع «الكردستاني»، بل يمكن اعتبارهما متنافسَيْن شرسين على قيادة الكرد.

بَيْدَ أن أنقرة أدركت لاحقاً أن التوقف عند حد ما يتيح المجال للمنظمة الإرهابية لإعادة ترتيب صفوفها وشن عملياتها، خصوصاً أنها تحظى بدعم خارجي؛ ما يحتم الاستمرار في العمليات المتدرجة وفق الرؤية الشاملة، تشمل هذه الرؤية مواجهته في كافة معاقله: جبال قنديل معقله الأساسي، وسنجار أو شنغال معقله البديل، ولاحقاً عمق الأراضي العراقية مثل حفتانين وغيرها حيث شبكة الأنفاق والمغارات والدعم اللوجستي.

الإستراتيجية التركية المتدرجة قضت بالتعمق في العمليات شيئاً فشيئاً داخل الأراضي العراقية لإبعاد خطر «الكردستاني» عن الحدود والداخل، فكانت عمليات «المخلب 1 و2 و3» ابتداءً من مايو 2019م، التي أمَّنت خلالها منطقة هاكورك الإستراتيجية، وأنشأت منطقة آمنة فعلياً لتأمين الحدود، فضلاً عن تحييد عدد من قيادات الحزب.

في مارس الماضي، أطلقت تركيا عملية «المخلب – النسر» (عملية جوية) ضد مواقع «الكردستاني» في الشمال العراقي، وتعدُّ عملية «المخلب – النمر» (عملية برية) امتداداً واستمراراً لها بتركيزها على منطقة حفتانين.

محاذير

بعد أيام من إطلاقها، أعلنت القوات المسلحة التركية عن تدمير أكثر من 150 موقعاً للعمال الكردستاني، إضافة لتحييد عدد كبير من قياداته من خلال العمليات المتتالية؛ ذلك أن التنسيق المتزايد بين القوات المسلحة وجهاز الاستخبارات وكذلك وزارة الداخلية يشي بتشكيل وحدة خاصة تلاحق قيادات المنظمة، كما أوردت بعض الكتابات الصحفية في تركيا، وكان من نتيجة ذلك تحييد أسماء مهمة في التراتبية القيادية للمنظمة، منهم المسؤول الإعلامي، وعدد من القيادات الميدانية المسؤولة عن عمليات إرهابية، فضلاً عن مسؤولين داخل تركيا، وعدد كبير من المسلحين والأفراد.

ولعل العقبة الكبرى التي تواجهها تركيا في هذا النوع من العمليات هي رد الفعل الرسمي من العراق، الذي يعدُّ العمليات انتهاكاً للسيادة العراقية، بعد إطلاق تركيا للعملية، استدعت الخارجية العراقية السفير التركي في بغداد وسلمته مذكرة احتجاج على العملية، كما حصل سابقاً، وكان الرد التركي بأن العمليات التركية ستستمر ما دام خطر «الكردستاني» قائماً ضدها.

تركيا رسمت إستراتيجية متدرجة لمكافحة الحزب الكردستاني ودفع شبح التقسيم وتفجير الملف الكردي الداخلي

.. وترى أن عملياتها تحظى بالمسوغات السياسية والقانونية الكافية وبالتالي لا تعبأ كثيراً بالنقد الموجَّه لها

العقبة الكبرى التي تواجهها تركيا بهذه العمليات رد الفعل الرسمي العراقي الذي يعدها انتهاكاً لسيادته

أنقرة تضع ردود الفعل الرسمية العراقية ضمن المتوقَّع والمنتظر رسمياً وبروتوكولياً وكذلك للاستهلاك المحلي

تقول السردية التركية: إن أنقرة لا تستهدف أمن العراق ولا سيادته، وإنها لا مطامع لها في أراضيه، وإن هدفها الأساسي هو القضاء على خطر العمليات الإرهابية ضدها انطلاقاً منه؛ وبالتالي، فإن أنقرة ستكون أكثر من سعيدة لو كان العراق قادراً على إنجاز هذه المهمة بحيث لا تضطر هي للاضطلاع بها.

تتكئ تركيا في تسويغ عملياتها في العراق على الاتفاقات والتفاهمات سابقة الذكر مع بغداد وأربيل، وكذلك التصنيف الدولي للعمال الكردستاني كمنظمة إرهابية؛ وبالتالي مشروعية مكافحة الإرهاب، فضلاً عن حق الدفاع عن النفس المكفول في المواثيق والنصوص الدولية، ولذا فهي ترى أن عملياتها تحظى بالمسوغات السياسية والقانونية الكافية، وبالتالي تملك شبكة أمان إقليمية ودولية تجعلها لا تعبأ كثيراً بالنقد الموجَّه لها.

أكثر من ذلك، يبدو أن تركيا تعوّل على تفهم «ضمني» من الحكومة العراقية لعملياتها، بالرغم من الاحتجاجات البروتوكولية أو المبنية على حسابات سياسية داخلية، ومن شواهد ذلك موجة الاحتجاج الشديدة على معسكر «بعشيقة» قبل سنوات التي غابت لاحقاً، وإعلان أنقرة عن عملية عسكرية داخل العراق خلال زيارة رئيس الوزراء العراقي لأنقرة؛ بما يحمل إشارات واضحة على غض النظر العراقي عنها، فضلاً عن زيارة رئيس جهاز الاستخبارات التركية إلى بغداد قبل أيام من العملية الأخيرة؛ بما يعني وضع القيادة العراقية في صورتها.

يعني كل ذلك أن أنقرة تضع ردود الفعل الرسمية العراقية ضمن المتوقَّع والمنتظَر رسمياً وبروتوكولياً وكذلك للاستهلاك المحلي، بينما الموقف الحقيقي هو تفهم دوافع تركيا ومتطلبات أمنها لا سيما في ظل عجز بغداد نفسها عن كفايتها مؤونة تلك العمليات، وبالتالي فالمتوقع هو استمرار العمليات التركية الآن ومستقبلاً في سبيل تحقيق الأهداف النهائية لإستراتيجية مكافحة منظمة العمال الكردستاني في الداخل والإقليم.■

www.mugtama.com

هل يتعطل موسم الحج من أجل «كورونا»؟

براء الشعار
باحث شرعي

اجتاح فيروس «كورونا» العالم كله، وتعطلت الحياة في نواحٍ كثيرة، ومما تأثر بهذا بشكل مباشر الشعائر التعبدية، وأبرزها الصلوات اليوميّة، والجمعة خلال الأسبوع، والعُمْرة خلال العام، نتيجة للقيود واسعة النطاق التي لا تزال مفروضة على الحياة العامة، ومع اقتراب موعد موسم الحج يبرز التساؤل: هل يمكن أن يؤدّي هذا إلى تعطيل فريضة الحج في العام الحالي؟ أم يمكن أداء الفريضة في ظل هذه الظروف بصورة ما؟ وهل لهذا الأمر سابقة في التاريخ الإسلامي؟ وإذا تعطل الحج كلياً أو جزئياً، فما الحكم الفقهي في هذه المسألة؟

نحاول في هذه السطور الوقوف على أجوبة لهذه الأسئلة وغيرها.

إقامة مناسك الحج بكافة أركانه ممكن إذا تمت مراعاة الضوابط الصحية اللازمة مع تخفيض أعداد الحجاج

الحجُّ فرضٌ من فروض الله تعالى في دين الإسلام، بل هو ركنٌ من أركان هذا الدين، كما دل على ذلك القرآن، والسُّنة، والإجماع، قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ﴾ (آل عمران: 97)، وفي الصحيحين عن ابن عُمَرَ رَضِيَ اللَّه عنهما قال: سمعتُ رسولَ اللَّه صلَّى اللَّه عليه وسَلَّم يقول: «بُنِيَ الإِسْلامُ على خمس: شهادَةِ أنْ لا إلهَ إلَّا اللَّه وأنَّ محمَّدًا عبدُه ورسولُه، وإقام الصَّلاة، وإيتاء الزَّكاة، وحج البَيْت، وصوْمَ رَمَضانَ» (أخرجه البخاري: 8، ومسلم: 16)، وقد نقلَ الإجماع على ذلك الأئمة ابنُ المُنْذر، وابنُ حَزْم، والكاسانيُّ.

وإنما كان الحج بهذه المنزلة في دين الإسلام لما يحققه من أهداف سامية وحِكَم رفيعة، منها: تحقيقُ توحيد الله تعالى، وإظهارُ الافتقار إلى الله سبحانه، وتحقيق التقوى لله تعالى، وتهذيب النَّفْس البشريَّة، ولما في الحج من تذكير بالآخرة ووقوف العباد بين يَدَي الله تعالى يوم القيامَة، والحج تربية للأمَّة على معاني الوحْدَة الصَّحيحة، وكذلك في أداء فريضة الحج شكر لنعْمَة المال وسلامَة البَدَن، كما فصلت ذلك «الموسوعة الفقهية للدرر السنية» (2/ 34) باختصار.

حكم إقامة الحج كل عام

وإذا كان هذا هو حكم الحج على الأفراد، فما حكم إقامة الحج كل عام على الدول المسلمة أو المجتمع المسلم؟

إن إقامة موسم الحج في كل عام فرض كفاية على الأمة المسلمة، ولا يسقط عنها هذا الفرض عند القدرة إلا بإقامتها له، وهذا الشأن في جميع فروض الكفايات، قال السيوطي: قال الرافعي وغيره: «فروض الكفاية أمور كلية، تتعلق بها مصالح دينية أو دنيوية لا ينتظم الأمر إلا بحصولها، فطلب الشارع تحصيلها، لا تكليف واحد من جماعة المكلفين بعينه، بخلاف العين، وإذا قام به من فيه كفاية سقط الحرج عن الباقين، أو أزيد على من يسقط به فالكل فرض، أو تعطل؛ أثم كل من قدر عليه إن علم به، وكذا إن لم يعلم إذا كان قريباً منه يليق به البحث والمراقبة، ويختلف بكبر البلد، وقد ينتهي خبره إلى سائر البلاد، فيجب عليهم، وللقائم به مزية على القائم بالعين؛ لإسقاط الحرج عن المسلمين بخلافه، ومن ثم ادعى إمام الحرمين ووالده والأستاذ أبو إسحاق الإسفراييني: أنه أفضل من فرض العين، وحكاه أبو علي السنجي عن أهل التحقيق، والمتبادر إلى الأذهان: خلافه.

وبمثل قول السيوطي والرافعي، قال الإمام النووي رحمه الله تعالى في كتابه «الإيضاح في مناسك الحج والعمرة» (ص 438)، قال: «قال أصحابنا: من فروض الكفاية أن تحج الكعبة كل سنة فلا تعطل».

هذا هو حكم الحج وإقامته في حق الفرد المسلم والأمة المسلمة في الظروف

www.mugtama.com

الطبيعية؛ فهل من الممكن تعطيل هذه الفريضة لظروف طارئة؟!

هل تعطل الحج من قبل؟

إذا عدنا إلى التاريخ الإسلامي الموثوق، وجدناه يخبرنا عن تعطل فريضة الحج مرات عديدة في الأمة المسلمة، وقد ذكرت لنا هذه الكتب أسباباً متفاوتة لذلك؛ سياسية، أو اجتماعية، أو مناخية، أو بسبب الغلاء، أو الخوف من قطاع الطرق، وذكرت أيضاً من أسباب تعطل الحج انتشار الأوبئة.

فقد توقف الحج بسبب «القرامطة»، كما يذكر الذهبي في كتاب «تاريخ الإسلام»، ويذكر ابن كثير في «البداية والنهاية» أنه في عام 357هـ ظهر داء انتشر في مكة، فمات به خلق كثير، وفيها ماتت جمال الحجيج في الطريق من العطش، ولم يصل منهم إلى مكة إلا القليل، بل مات أكثر من وصل منهم بعد الحج.

وقد انقطع الحاج المصري في عهد العزيز بالله الفاطمي؛ لشدة الغلاء، وفي سنة 419هـ لم يحج أحد من أهل المشرق ولا من أهل مصر، وفي سنة 421هـ تعطل الحج أيضاً سوى عدد قليل من أهل العراق ركبوا من جمال البادية من الأعراب ففازوا بالحج، وفي سنة 430هـ لم يحج أحد من العراق وخراسان، ولا من أهل الشام ولا مصر.

ويقول ابن الأثير في أحداث عام 417هـ: «في هذه السنة، كان بالعراق برد شديد جمد فيه الماء في دجلة والأنهار الكبيرة، فأما السواقي فإنها جمدت كلها، وتأخر المطر وزيادة دجلة، فلم يزرع في السواد إلا القليل، وفيها توقف الحج من خراسان والعراق».

هذه بعض الحوادث التي وقعت في التاريخ تعطل لأجلها أداء الحج، وقد تحدث فقهاؤنا أيضاً عن هذا الأمر، ففي «البحر الرائق» (3/ 72)، وكذلك «الدر المختار» (2/ 612) مسألة: لو أمر الموصي رجلاً بالحج في هذه السنة فأخره المأمور إلى القابل فإنه يجوز عن الميت، ولا يضمن النفقة؛ لأن ذكر السنة للاستعجال لا للتقييد؛ لأن الحج لا يختلف باختلاف السنين، ففي أي سنة حصل فيها وقع عنه، ثم قالوا: «ولا يخفى أن الأولى إيقاعه في السنة المعينة خوفاً من ذهاب النفقة أو تعطل الحج»، لقد كان هذا الاحتمال قائماً إذن أمام أنظار ساداتنا الفقهاء في هذا الباب تنير لنا الطريق إلى الحكم في مثل هذه الظروف.

من أهداف الحج تحقيق توحيد الله وإظهار الافتقار إليه وتهذيب النفس البشرية

إقامة موسم الحج كل عام فرض كفاية على الأمة ولا يسقط عنها عند القدرة إلا بإقامتها له

فريضة الحج تعطلت مرات لأسباب سياسية واجتماعية ومناخية أو بسبب الغلاء ومنها انتشار الأوبئة

الحج هذا العام في ظل «كورونا»

إنَّ المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها يتمنون إتيان بيت الله الحرام في كلّ لحظة من ليل أو نهار، وليس معنى فرضية الحجّ أنهم يأتونه مكرهين! كيف؟ والفقير قبل الغني، والضعيف قبل القوي، والصغير قبل الكبير، الكلّ يودّ أن لو ثاب إلى هذا البيت كل عامٍ حاجّاً، بل وفي خلال العام معتمراً ومصليّاً، ومن استطاع منهم المجاورة الدائمة في رحابه فإنه يفعل، ومن لم يستطع يحمله قلبه إليه كل صلاة!

وإذا كان الله تعالى لم يفرض الحج إلا على المستطيع، كما في قوله تعالى: ﴿مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا﴾؛ فإننا نجد المستضعفين والعجزة والمرضى ومن لا يستطيعون بحال يتحرقون شوقاً لإتيان هذا البيت وملء عيونهم برؤيته وقلوبهم بنوره.

ليست مسألة فريضة إذن فقط، وإن كان حديثنا هنا يخص الحكم الفقهي في الأمر، فلنأت إلى السؤال المهم: هل يقدر المسلمون على إقامة الحج هذا العام، أم لا؟ وكيف تكون الحال إذا قدروا؟ وكيف يكون الحكم إذا لم يقدروا؟

قدمنا أن إقامة الحج فرض كفاية، وأنه إذا تعطَّل مع القدرة على إقامته يأثم المسلمون جميعاً، وهذا معناه أن المسلمين مطالبون بإقامة فريضة الحج هذا العام إذا استطاعوا إلى ذلك سبيلاً، وقد قدمت بحوث طبية إلى الهيئات المجتمعية المختصة حول مدى الضرر الناجم عن اختلاط البشر في ظل هذه الجائحة، وسبل تجنب انتقال العدوى بسبب ذلك، وكان من أثر هذه البحوث أن فتحت بعض المساجد كما نرى، ومنها الحرم النبوي الشريف، وذلك في حدود أعداد قليلة، مع المحافظة على التباعد البدني، واتخاذ بعض أسباب الوقاية الطبية الأخرى، وعليه فيمكن لنا أن نقول أيضاً: إن أداء فريضة الحج -على هذا النحو- ممكن، وبه يحصل فرض الكفاية؛ إذ لا يشترط في فرض الكفاية أن يفعله جميع المسلمين، بل بعضهم، وقد نص فقهاؤنا على ذلك، يقول النووي رحمه الله تعالى في «الإيضاح في مناسك الحج والعمرة» (ص 438): «ولا يشترط لعدد المحصلين لهذا الفرض قدر مخصوص، بل الغرض أن يوجد حجُّها -أي السنة- في الجملة، من المكلفين، في كل سنة مرة».

وعليه، فإن إقامة فريضة الحج فرض شرعي تأثم الأمة بتعطيله، فإن أقامته ولو بعدد محدود؛ أجزأ عنها وسقط الفرض بهم، ويمكن -عملياً- أن يختار لذلك مجموعة واعية من الأفراد، وأن يوجَّهوا توجيهاً طبياً كافياً، وتوفَّر لهم الرعاية اللازمة من النواحي المطلوبة على وفق شروط السلامة والوقاية التي بينتها الهيئات المختصة.

وإذا فعلنا ذلك، فلن نحتاج إلى القول -مثلاً- باختصار بعض أركان الحج على وفق المجمع عليه منها فحسب، أو على رأي بعض المذاهب؛ إذ إن فعل الحج بكافة أركانه على النحو المتقدم إيضاحه ممكن ميسور.■

آثار أزمة «كورونا» على العالم

بعد «كورونا»..

علينا الاستعداد لمواجهة الاكتئاب السريري

جوناثان كانتر
مديرة مركز علم الاتصال الاجتماعي بجامعة واشنطن

العزلة والتباعد الاجتماعي والتغيرات الشديدة في الحياة اليومية أصبحت صعبة جداً الآن، لكن الولايات المتحدة تحتاج أيضاً إلى الاستعداد لوباء الاكتئاب السريري الذي يمكن أن ينتج عن «كوفيد-19».

وندرس نحن علماء علم النفس السريري (الإكلينيكي) في مركز علوم الاتصال الاجتماعي بجامعة واشنطن العلاقات البشرية، وكيفية تحسينها، وكيفية مساعدة الأشخاص الذين يعانون من الاكتئاب السريري، مع التركيز على الأساليب القائمة على الأدلة لأولئك الذين يفتقرون إلى الموارد.

لا نريد أن نحمل لكم أخباراً سيئة، لكن هذه الأزمة واستجابتنا لها ستكون لها عواقب نفسية شديدة، ويحتاج الأفراد والأسر والمجتمعات إلى بذل قصارى جهدهم للاستعداد لوباء الاكتئاب، ويحتاج صانعو السياسات إلى التفكير في استجابة واسعة النطاق لهذه الأزمة القادمة.

صانعو السياسات يحتاجون إلى التفكير في استجابة واسعة النطاق للأزمة القادمة من وباء الاكتئاب

الحزن والتهيج والفراغ والإرهاق

معظمنا يعرف المكونات العاطفية للاكتئاب (الحزن والتهيج والفراغ والإرهاق)، ونظراً لظروف معينة، تستحوذ هذه التجارب العالمية على الجسم وتحوله؛ مما يقوض الدافع ويزعزع النوم والشهية والاهتمام، كما أن الاكتئاب يهدر قدرتنا على حل المشكلات وتحديد وتحقيق الأهداف والوظيفة بشكل فعال.

والجمهور يفهم الاكتئاب على أنه مرض في الدماغ؛ فجيناتنا يمكن أن تؤثر على مدى سهولة الوقوع في الاكتئاب الإكلينيكي، ولكن الاكتئاب أيضاً، بالنسبة لمعظمنا، يتأثر بشكل كبير بالضغط البيئي؛ فالضغوطات البيئية الفريدة لأزمة «كورونا» تشير إلى أن نسبة كبيرة بشكل غير عادي من السكان قد يصابون بالاكتئاب، ولسوء الحظ من المحتمل أن يتم توزيع هذا الألم بشكل غير عادل.

نتيجة لتفاقم الضغط الواسع النطاق لهذه الأزمة، يعاني الكثير منا من خسائر شخصية كبيرة وردود فعل حزينة، وهي مؤشرات قوية على الاكتئاب، ويضيف الاستمرار المستمر وغير المتوقع لهذه الضغوطات على كواهلنا

طبقة إضافية من المخاطر.

ومع تكشف هذه الأزمة، سيرتفع عدد القتلى، وبالنسبة للبعض، وخاصة أولئك الموجودين على الخطوط الأمامية، ستؤدي التجارب الحادة من الحزن والصدمة والإرهاق إلى تفاقم الإجهاد وتعريضهم لخطر أكبر.

عزلة شخصية

والعزلة الاجتماعية المطولة -إستراتيجيتنا الأساسية للحد من انتشار الفيروس- تضيف طبقة أخرى من المخاطر؛ فأجسادنا ليست مصممة للتعامل مع الحرمان الاجتماعي لفترة طويلة، والدراسات السابقة تشير إلى أن الأشخاص الذين أجبروا على «الاحتماء في مكانهم» سيعانون من المزيد من الاكتئاب، وأولئك الذين يعيشون بمفردهم ويفتقرون إلى الفرص الاجتماعية معرضون للخطر؛ فالوحدة تولد الاكتئاب.

وقد تواجه العائلات، التي يجب أن تبحر في أوقات غير عادية معاً في أماكن ضيقة، مزيداً من الصراع؛ وهو ما يزيد أيضاً من المخاطر، وقد شهدت الصين زيادة في الطلاق بعد الحجر الصحي الناتج عن «كوفيد19-»، الطلاق ينبئ بالاكتئاب، خاصة بالنسبة للنساء، ويرجع ذلك إلى حد كبير إلى زيادة الصعوبات الاقتصادية بمرور الوقت.

وأكبر الضغوط بالنسبة للكثيرين هي الضغوط المالية؛ فالبطالة والخسائر الاقتصادية ستكون شديدة، وتشير الأبحاث التي أجريت على فترات الركود السابقة إلى أن ارتفاع معدلات البطالة، وانعدام الأمن المالي يؤديان إلى زيادة معدلات الاكتئاب والانتحار، وأسفرت عمليات الرهن العقاري وفترة الركود في عام 2008م عن زيادة خطر الاكتئاب بنسبة 62% بين أولئك الذين تأثروا بالأزمة.

ولسوء الحظ، سيتم توزيع عبء الصحة النفسية من الركود الاقتصادي بشكل غير عادل؛ فعندما انهارت سوق الأوراق المالية في عام 2008م؛ عانى الأغنياء من خسائر كبيرة في الثروة، ولكن لم تزدد فيهم معدلات الاكتئاب، وفي المقابل؛ نلاحظ أن أولئك الذين يعانون من البطالة والديون والحرمان المالي خلال فترات الركود معرضون بشكل كبير لخطر الاكتئاب؛ بسبب زيادة الضغط وصعوبة ظروف الحياة، وقد تكون الشركات المملوكة للأقليات هي المعرضة بشكل خاص لخطر الالتواء تحت الضغط.

الضغوطات البيئية الفريدة لأزمة «كورونا» تشير إلى إصابة نسبة كبيرة من السكان بالاكتئاب

تدابير الإغاثة الاقتصادية يجب أن تكون استجابات حاسمة لكل من الركود الاقتصادي والاكتئاب النفسي

نوصي بإعطاء الأولوية لخيارات علاجية محددة وتدريب جيش من الممارسين وإدماجهم بالمجتمع

التعافي صعب

في الوقت الذي تزيد أزمة «كورونا» من خطر الإصابة بالاكتئاب، سيجعل الاكتئاب التعافي من الأزمة أصعب عبر مجموعة من الاحتياجات.

ونظراً لتأثير الاكتئاب على الدافعية وحل المشكلات، عندما يتعافى اقتصادنا، فإن أولئك الذين يعانون من الاكتئاب سيجدون صعوبة بالانخراط في السعي وراء أهداف جديدة والعثور على عمل، وعندما تنتهي فترة العزلة الاجتماعية الإلزامية، سيجد أولئك الذين يعانون من الاكتئاب صعوبة أكبر في إعادة الانخراط في نشاط اجتماعي هادف وممارسة الحياة.

وعندما يتراجع خطر الإصابة بالفيروس التاجي (كوفيد- 19)، سيواجه المصابون بالاكتئاب خللاً مناعياً متزايداً، مما يزيد من احتمالية إصابتهم بعدوى أخرى، والاكتئاب يزيد من أعراض المرض المزمن، وسوف يؤدي التوزيع غير العادل لعبء الأزمة إلى تفاقم التفاوتات الصحية العرقية الموجودة أصلاً، بما في ذلك التفاوتات في الحصول على علاج الاكتئاب.

اقتراحات المساعدة الذاتية هي المتاحة بسهولة، ومع ذلك؛ فإن تجربتنا تكمن في تشجيع المساعدة الذاتية للاكتئاب ليس كافياً، بل ومهيناً في بعض الأحيان، لأولئك الذين يكافحون حقاً.

ما الحل؟

نحن بحاجة إلى تحولات على مستوى أعلى في السياسة لنعرف كيف نتعامل مع المشكلة، يجب أن تكون تدابير الإغاثة الاقتصادية من الحكومة الفيدرالية هي استجابات حاسمة لكل من الركود الاقتصادي والاكتئاب النفسي، وندعو إلى حملة للصحة العامة لزيادة الوعي بخيارات الاكتئاب والعلاج، ولإدخال تحسينات على سياسات الإجازات المرضية للصحة العقلية واسترداد التأمين لتقليل العوائق التي تحول دون الوصول إلى العلاج.

الكيفية التي نتحدث بها عن الاكتئاب لا بد أن تتغير؛ فالضيق الذي نشعر به هو استجابة إنسانية طبيعية لأزمة حادة، والاعتراف بهذه المشاعر وقبولها يمنع الكرب من التحول إلى اضطراب.

إن وصف الاكتئاب فقط كمرض في الدماغ يزيد من العجز وتعاطي المخدرات بين أولئك الذين يعانون من الاكتئاب ويقلل من طلب المساعدة، وعلى النقيض من ذلك؛ فإن التأكيد على الدور السببي لسياقنا البيئي يطابق نظرة الأفراد المكتئبين عبر الأعراق المختلفة إلى أسباب معاناتهم، ويقلل من وصمة العار، ويزيد من طلب المساعدة.

أخيراً، نوصي بإعطاء الأولوية لخيارات علاجية محددة؛ حيث توجد خيارات علاج يسهل التدريب عليها، كما أنها فعالة وقابلة للتطبيق عبر الثقافات، نرجو أن يتم تدريب جيش من الممارسين وإدماجه في المجتمع وفي مراكز العلاج في جميع أنحاء البلاد، ويجب أن يمثل هذا الجيش التنوع الكبير لبلدنا.

الاكتئاب يكلف الاقتصاد الأمريكي 210 مليارات دولار أمريكي سنوياً في ظل الظروف العادية، أما وباء الاكتئاب فيتطلب استجابة متعددة الأوجه ومتعددة المستويات.■

ترجمة- جمال خطاب:

المصدر: «The Conversation»

www.mugtama.com

مقال

من هو مُحرِّر العبيد؟

لندن - د. أحمد عيسى:

هل من حرر العبيد هو «سبارتاكوس» أشهر الذين قادوا ثورة لتحرير العبيد في روما القديمة قبل الميلاد؟ أم البرلمان الإنجليزي حينما قرر حظر العبودية في عام 1833م؟ أم الرئيس الأمريكي الأسبق «أبراهام لينكولن» عام 1865م حينما وقع قانون «تحرير العبيد»؟

سؤال ظهر في أعقاب المظاهرات العارمة التي شهدتها أمريكا وبريطانيا ثم أستراليا وكندا، إثر خنق شرطي أبيض لرجل أسود بالولايات المتحدة الأمريكية، في 25 مايو الماضي، وطالت مظاهرات بريطانيا تماثيل لتجار العبيد والساسة العنصريين.

لقد خلف إرث العبودية جروحاً لم تلتئم بعد، ونزف جرح العبودية القديم، وكشف المستور في هذه المجتمعات، ليس فقط العنصرية المتجذرة ضد كل من لا ينتمي إلى العرق الأبيض، ولكن أيضاً انشطار المجتمعات رأسياً، إلى طبقات تمتلك السلطة والثروة بكل مؤسساتها؛ الشرطة والقضاء والاقتصاد، وإلى طبقات تعاني التمييز بشتى طرقه في العالم، سواء كان ذلك المسلمين، أو الملونين، أو الفقراء، أو أصحاب الإعاقة، أو المهجرين والمهاجرين واللاجئين، أو النساء، أو أصحاب الأرض الأصليين في أستراليا (الأبورجيون)، أو كندا (سكان كندا الأصليين)، أو أمريكا (الهنود الحمر)، أو كافة أشكال التمييز العنصري المتعلقة بالأقليات والشعوب القبلية.

لا تجد في نصوص القرآن والسُّنة نصاً يأمر بالاسترقاق بينما يحفلان بالنصوص الداعية إلى العتق والتحرير

إلغاء تجارة الرقيق منذ أكثر من 200 عام لم يقض على قضية الاستعباد الحديث الذي يشهده العالم اليوم

تاريخ أبيض

وللإجابة عن السؤال، فإن الإسلام كان ولا يزال هو محرر العبيد؛ فقد قرر الإسلام أنَّ الله خلق الإنسان كامل المسؤولية، وكلَّفه بالتكاليف الشرعية، ورتَّب عليها الثواب والعقاب على أساس من إرادته واختياره، ولا يملك أحد من البشر تقييد هذه الإرادة أو سلب ذلك الاختيار، ولا عجب أنَّك لا تجد في نصوص القرآن والسُّنة نصاً يأمر بالاسترقاق، بينما تحفل آيات القرآن الكريم وأحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم بمئات من النصوص الداعية إلى العتق والتحرير.

كانت مصادر الرِّق ومنابعه كثيرة عند ظهور الإسلام، بينما طرق التحرُّر ووسائله تكاد تكون معدومة، فقلَب الإسلام في تشريعاته النظرة، فأكثر من مصارف الحرية والتحرر، وسدَّ مسالك الاسترقاق، جاء في حديث قدسي: «ثلاثة أنا خصمهم يومَ القيامة، ومَن كنتُ خصمَه خصمْتُه؛ رجل أعطى بي ثم غدر، ورجل باع حُراً فأكل ثمنه، ورجل استأجر أجيراً فاستوفى منه العمل ولم يعطه أجره» (رواه البخاري).

ولقد كان الأسر في الحروب من أظهر مظاهر الاسترقاق، وكل حرب لا بد فيها من أسرى، وكان العرف السائد يومئذ أن الأسرى لا حرمة لهم ولا حق، وهم بين أمرين؛ إما القتل، وإما الرق، ولكن الإسلام حثَّ على طريق ثالث من حسن معاملة الأسرى بالعدل والرحمة وفكّ أسره؛ ولهذا نجد أن المسلمين في «بدر» قبلوا الفداء، وفي «الفتح» قيل لأهل مكة: «اذهبوا فأنتم الطلقاء»، وفي غزوة «بني المصطلق» حرر وتزوَّج الرسول أسيرة من الحي المغلوب ليرفع مكانتها، إذ كانت ابنة سيد قومها، فما كان من المسلمين إلا أن أطلقوا سراح جميع هؤلاء الأسرى وكانوا مائة، حيث قال الناس: أصهار رسول الله[1].

ونبي الإسلام عليه الصلاة والسلام في ميدان مكارم الأخلاق يقول: «عودوا المريض، وأطعموا الجائع، وفُكُّوا العاني» (رواه البخاري)، والعاني هو الأسير، ومع كل هذا؛ فإن فرصة استعادة الحرية في الإسلام كثيرة وواسعة، فمن وسائل التحرير: فرض نصيب من الزكاة لتحرير العبيد، وكفَّارات القتل الخطأ، والظهار، والأيمان، والفطر بالجماع في نهار رمضان، إضافة إلى مناشدة عامة لإثارة المشاعر من أجل العتق ابتغاء وجه الله تعالى، من هذه الآيات: ﴿وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّآئِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ﴾ (البقرة: 177)، ﴿وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ

وَفِي الرِّقَابِ﴾ (التوبة: 60)، ﴿مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعِمُونَ أَهْلِيكُمْ أَوْ كِسْوَتُهُمْ أَوْ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ﴾ (المائدة: 89)، ﴿وَمَن قَتَلَ مُؤْمِناً خَطَئًا فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ وَدِيَةٌ مُّسَلَّمَةٌ إِلَىٰ أَهْلِهِ﴾ (النساء: 92)، ﴿ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مِّن قَبْلِ أَن يَتَمَاسَّا﴾ (المجادلة: 3).

ولو سارت الأمور بمقتضى ذلك المنهج الرباني، لما كانت تلك المشكلات، وعلى رأسها استرقاق الأحرار عن طريق الخطف والغصب والاستيلاء والاتجار قديماً وحديثاً.

في حين خلَّد التاريخ قول الخليفة عمر ابن الخطاب رضي الله عنه: «متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحراراً»، في أول الإسلام، وبعد ألف ومائة عام أو يزيد أُلغي قانون تجارة الرقيق عام 1807م، وهو قانون من البرلمان البريطاني، الذي ألغيت بموجبه تجارة العبيد عبر الأطلسي، إضافة إلى الضغط على دول أوروبية لاتخاذ نفس الموقف، لكن ذلك لم يلغ العبودية نفسها، وإن صدر بعد 26 عاماً من ذلك التاريخ قرار بإلغاء العبودية في عام 1833م في بريطانيا، قبل 32 عاماً من حظرها في الولايات المتحدة، ورغم إعلان وقف تجارة الرق، وأن تجارتها عبر السفن البريطانية نحو الأمريكتين غير قانونية، فإن هؤلاء واصلوا إلى جانب غيرهم من الأوروبيين نقل المزيد من السكان الأفارقة عبر الأطلسي على مر العقود.

أكبر الهجرات القسرية للبشر

وكانت تجارة الرقيق عبر الأطلسي واحدة من أكبر الهجرات القسرية للبشر، وكان لها تأثير كبير على تاريخ أفريقيا والأمريكتين وأوروبا حتى اليوم، ويقدر عدد العبيد الأفارقة الذين أرسلوا إلى المستعمرات البريطانية في البحر الكاريبي بنحو 2.3 مليون شخص، وعلى عكس تاريخ أمريكا مع العبودية، فإن تجارة العبيد البريطانية نادراً ما يُفصح عن حجمها الحقيقي؛ وذلك لأن تجارة العبيد الأمريكية كان مسرحها داخلياً، ومن ثم لا يزال إرثها ماثلاً، في حين أن الكاريبي بعيد عن بريطانيا، ونُقل نحو 30 مليون شخص من أفريقيا وبيعوا في سوق النخاسة بالأمريكتين والكاريبي؛ 5% من هؤلاء الرقيق نُقلوا إلى أمريكا، بينما بيع 55% منهم في المستعمرات الإسبانية بأمريكا الجنوبية و35% بيعوا في جزر الهند الغربية البريطانية[2].

إن إلغاء تجارة الرقيق التي أعلنت منذ

عدد العبيد الأفارقة الذين أرسلوا إلى المستعمرات البريطانية بالبحر الكاريبي يقدر بنحو 2,3 مليون شخص

عدد ضحايا العمل القسري في العالم أكثر من 21 مليون شخص يشملون ضحايا الاستغلال الجنسي

أكثر من 200 عام لم يقضِ على قضية الاستعباد الحديث الذي يشهده العالم اليوم؛ فيوجد بالفعل ما يقدر بنحو 152 مليون طفل في سوق العمل؛ 73 مليوناً منهم يمارسون أعمالاً خطرة، وأولئك يواجهون الآن ظروفاً أكثر صعوبة، ويعملون لساعات أطول، نصف الضحايا بين 5 و11 عاماً، وقد ركزت «منظمة العمل الدولية»، في 12 يونيو الماضي، فعالية اليوم العالمي لمكافحة عمل الأطفال لعام 2020م، على تأثير الأزمة الحالية على عمالة الأطفال، فلجائحة «كوفيد- 19» وما تسببت به من صدمة اقتصادية واختلالات في سوق العمل أثر كبير، وللأسف غالباً ما يكون الأطفال هم من أوائل من يعانون، وقد تدفع الأزمة ملايين أكثر من الأطفال لسوق العمل[3]، وتحذر منظمة «يونيسف» من احتمالية أن تدفع التداعيات الاقتصادية ما يصل إلى 86 مليون طفل إضافي إلى الفقر بنهاية عام 2020م[4].

العبيد الجدد والرق الحديث

إنه الاتجار بالأشخاص، وهو جريمة استغلال للنساء والأطفال والرجال لأغراض بما فيها العمل القسري والبغاء، وتقدر «منظمة العمل الدولية» عدد ضحايا العمل القسري في العالم بأكثر من 21 مليون شخص، يشملون ضحايا الاستغلال الجنسي، وفي حين أنه من غير المعلوم عدد الذين اتُّجر بهم، فإن التقديرات تشير إلى وجود ملايين البشر في ربقة هذه الممارسات الشائنة.

ويتأثر كل بلدان العالم بظاهرة الاتجار بالبشر، سواء أكانت من بلدان المنشأ أو نقاط العبور أو المقصد، ويتم استغلال الأشخاص في شبكات الدعارة وأشكال الاستغلال الجنسي، أو العمالة المجانية والسخرة، أو العمل كخدم، أو الاسترقاق، أو الممارسات الشبيهة بالرق، أو الاستعباد بهدف الاستخدام الجسماني ونزع الأعضاء[5].

هذا غير الاختفاء القسري، والاحتجاز التعسفي، الذي استشرى في بيئات الاستبداد والغطرسة التي تعامل المواطنين كعبيد، وضربت «منظمة العفو الدولية» مثلاً لتعرض 82 ألف شخص للاختفاء القسري في سورية منذ عام 2011م، وقد اختفوا في المراكز الحكومية، وضحايا الاختفاء القسري هم أشخاص اختفوا فعلياً بعيداً عن أحبائهم ومجتمعهم، والإخفاء أداة لإرهاب المجتمع أو فئات سياسية أو دينية فيه، ويعد دائماً جريمة بموجب القانون الدولي، ولا يتم إطلاق سراحهم، ويبقى مصيرهم مجهولاً، ويتعرضون للتعذيب، أو القتل، أو يعيشون في خوف دائم، ويعلمون أن عائلاتهم لا تعلم مكانهم، ولا يمكن لأي شخص مساعدتهم، وحتى إذا نجوا من الموت وأطلق سراحهم، تبقى فيهم جراحهم البدنية والنفسية[6]. ■

الهوامش

(1) انظر: كتاب «شبهات حول الإسلام»، «تلبيس مردود في قضايا خطيرة» للشيخ د. صالح بن حميد إمام الحرم المكي.

(2) مسرحية بريطانية تسلط الضوء على جوانب «خفية» في تاريخ بريطانيا في تجارة الرقيق.
https://www.bbc.com/arabic/vert-cul-51503141

(3) جائحة "كوفيد- 19": حماية الأطفال من عمالة الأطفال الآن أكثر من أي وقت مضى.
https://www.un.org/ar/observances/World-Day-Against-Child-Labour

(4) اليوم العالمي لمكافحة الاتجار بالأشخاص 30 يوليو.
https://www.un.org/ar/events/humantrafficking

(5) "كوفيد19-": 86 مليون طفل إضافي حول العالم مهددون بالانزلاق في براثن الفقر مع نهاية العام.
https://news.un.org/ar/1055622/05/story/2020

(6) الاختفاء القسري.
https://www.amnesty.org/ar/what-we-do/disappearances/

www.mugtama.com

تنمية أسرية

خماسية النجاح بين الزوجين (ما بعد 15 سنة زواج)

د. إيمان الشوبكي
كاتبة وباحثة في علوم الأسرة

جرت العادة أن تكون معظم النصائح موجهة إلى المقبلين على الزواج، أو حديثي الزواج، إلا أنني هنا بصدد الزوجين اللذين استقلا معاً قطار الحياة الزوجية لمدة 15 عاماً أو أكثر، وفي طريقهما لاستكمال محطات الحياة الأسرية معاً قد يعتري مسيرتهما تلك كثير من الخلافات والمشكلات التي قد تؤدي أحياناً إلى إنهاء الرحلة الزوجية بقرار الطلاق المفاجئ والانفصال في مرحلة قد لا يتوقعها الأولاد والمحيطون معاً.

هناك أولويات في العلاقة الإنسانية بين الزوجين مع بعضهما بعضاً، قد تجنبهما الكثير من الخلافات التي ربما تتفاقم وتُحدث شروخاً في كيان الأسرة، وهي ليست أسراراً أو وصفات سحرية، لكنها سلوكيات عامة، استحضارها في بعض المواقف قد يُحدث فرقاً كبيراً في ردود الفعل المختلفة بين الزوجين.

هناك خمس قيم لها أولوية في أي علاقة إنسانية، لكن بين الزوجين، وخصوصاً ما بعد الأربعين مثلاً، وليس هذا تحديداً لسن، ولكن لتغليب المرحلة العمرية وتوافقها مع مرور 15 عاماً على الزواج أو أكثر، حيث إن بعض الأزواج في هذه المرحلة يتحسسون من كبر سنهم أمام زوجاتهم، وكذلك الزوجة قد تستشعر أن زوجها ليس في حاجة إليها، وتتقلص الأدوار والمشاعر بينهما إلا من المودة والعشرة والتراحم، فكيف نبقي على تلك حتى تستمر الحياة بسكينة ومودة؟ فمن مر بحياة زوجية أكثر من 15 عاماً فهو المقصود من خماسية النجاح الزوجي التالية:

1 - تذكُّر الحسنات

من المهم جداً تذكُّر حسنات كل طرف لشريك حياته، خصوصاً في هذه المرحلة بأحداثها المصيرية؛ كزواج الأولاد وغيره؛ مما قد يُحدث احتكاكات كثيرة؛ فتتحامل النفوس على بعضها حتى تصير مشحونة بشحنات مضادة قوية لا تجذب النفوس، بل تجذب المشكلات والنفور.

وقد قدم كل طرف ما لديه لإسعاد تلك الأسرة، وتحمل الكثير من أجلها، فينظر لنفسه نظرة تقييم إيجابي، ولكن حينما يكون رد فعل أحد الأطراف على غير توقع شريك حياته؛ فستكون النتيجة مؤلمة، وكأنه جريح صريع الشكوك ووسوسة الشيطان، فتوخّي الحذر من تجاهل شريك الحياة وتجاهل مشاعره أمر مهم، وإن حدث خطأ أو إساءة وقتها تذكّر حسنات وإيجابيات كل طرف؛ لقول النبي صلى الله عليه وسلم: «لا يفرك مؤمن مؤمنة، إن كره منها خلقاً رضي منها آخر» (رواه مسلم)، سيساعد ذلك في تسكين النفس عن أي رد فعل غير متوقع أو مؤلم بعد عشرة طويلة بينهما، فرصيد كل من الزوج والزوجة من المواقف النبيلة وحسن العشرة والمودة يسمح بأن يتجاوزا هذه الزلة التي حدثت بينهما، فعن جابر رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إن إبليس يضع عرشه على الماء، ثم يبعث سراياه، فأدناهم منه منزلة أعظمهم فتنة، يجيء أحدهم فيقول: فعلت كذا وكذا، فيقول: ما صنعت شيئاً، قال: ثم يجيء أحدهم فيقول: ما تركته حتى فرقت بينه وبين امرأته، قال: فيدنيه منه، ويقول: نعم أنت» (رواه مسلم).

تذكُّر حسنات شريك الحياة يساعد في تسكين النفس عن أي رد فعل غير متوقع

التقدير يعزز المعنويات لاستكمال مسيرة العطاء ويعيد التوازن النفسي للزوجين ويجنبهما المشكلات

2- التقدير

التقدير من أشد الاحتياجات النفسية عند بعض الناس، وهو الشعور بالامتنان عما يقدمه لأسرته بعد الرضا عن النفس، ومع اختلاف نمط شخصية كل منهما؛ فستختلف طريقة التعبير عن هذا التقدير لما قدمه، فكل شخص يرى التقدير بعين عطائه، فمنهم من يعتبر التخطيط للمستقبل وتوفير حياة مخطط لها بشكل جيد هو خير ما قدَّم وضحى، وآخر يرى توفير سبل الراحة والترفيه والاستمتاع هي خير ما قدَّم.. وغير ذلك

وهكذا كلٌّ ينظر من منظوره أنه قدَّم وحان وقت الشعور بالتقدير لما أفنى عمره

www.mugtama.com

فيه، فالافتقار إلى الشعور بالتقدير في هذه المرحلة العمرية في الحياة الزوجية أشد، ومهما حاول أن يكون محتسباً ما فعله لله، إلا أن نفسه تستشرف لشعور توافق ما قدم خلال هذه السنين مع احتياجات أسرته، وما يحدث مع العشرة الطويلة بين الأزواج يعتبر كل منهما أن ما قدم هو من قبيل الواجبات ولا يستحق الشكر أو التقدير، لكن الزوج بعد هذه الفترة يعيد تقييم ذاته؛ هل هو راض عن عطائه؟ وهل هو سعيد؟ وهل ما قدمه أسعَدَ من حوله؟ فالتقدير هنا يعزز معنوياته ليستكمل مسيرة العطاء برضا وسكينة، ويعيد التوازن النفسي لكليهما، ويجنبهما الكثير من المشكلات المحتملة، وقد قال النبي صلي الله عليه وسلم: «مَن أتى إليكم معروفاً فَكافئوه، فإنْ لم تَجدوا، فادْعوا له».

3 - التأكيد المستمر

التأكيد المستمر أي المتكرر على حبك لشريك حياتك والمودة التي بينكما، وهنا نقصد التعبير عنها مباشرة، ولا يعتبران ما مضى في رحلة الحياة الزوجية مع بعضهما بما تحمل من مشاعر مختلفة كفيلاً بالتعبير أو التأكيد على مشاعر الحب التي يكنها ويحملها لشريكه، وأن هذا من قبيل أعمال المراهقين، ولكن أخبر من تحب بحبك، كما في حديث أَنَس بْن مَالك رضي الله عنه: أَنَّ رَجُلاً كَانَ عِنْدَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ،

التأكيد المستمر على حبك لشريك حياتك كفيل بالتعبير عن مشاعر الحب التي يكنها

التغافل بعدم التصيُّد أو التدقيق الشديد مع شريك الحياة فيما يجري

فَمَرَّ به رَجُلٌ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّه، إِنِّي لَأُحِبُّ هَذَا، فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَعْلَمْتَهُ؟»، قَالَ: لَا، قَالَ: «أَعْلِمْهُ»، قَالَ: فَلَحِقَهُ فَقَالَ: إِنِّي أُحِبُّكَ فِي اللَّه، فَقَالَ: أَحَبَّكَ الَّذِي أَحْبَبْتَنِي لَهُ. (رواه أبو داود).

فإخبار شريك حياتك من باب أولى وإعلامه بهذا الحب، أو على أقل تقدير الامتنان لبعض المواقف والعشرة التي بينكما، وبشكل مباشر وبوسائل مختلفة، وإن لم تكن العشرة طيبة بالقدر الكافي، فتذكرك لأي صفة حسنة فيه سيساعدك على التعبير عنها.

4 - التغافل

فإن تذكَّرت وقدَّرت وأكَّدت فلا بد أن هناك زلات وسقطات، فلستم ملائكة، هنا يأتي دور التغافل الذي يساعد على استكمال خماسية النجاح في تجنب المشكلات بين الزوجين بهذه المرحلة العمرية التي قد تحمل بعض المشاعر المتراكمة أو التأنيبية عما مضى من عمرهما في تضحية لم يجدا لها أثراً تكمل نفس هذه المسيرة بنفس هؤلاء الأشخاص الذين لا يحملون حباً ولا تقديراً لبعضهم، فتأتي بعض المواقف أو السقطات فتكن كالقشة التي قصمت ظهر البعير، وتقضي على ما بقي من حياة بين الزوجين؛ فيأتي التغافل هنا ليسكّن النفس حتى ترضى، بل ليتجنب التصادم، ويقي نفسه أو نفسها من إحراج متوقع بالتغافل.

والتغافل يأتي بعدم التصيُّد أو التدقيق الشديد مع شريك الحياة فيما يجري ويحدث، وإن وقع شيء يتظاهر بعدم الانتباه أو غيره، حتى يتجنب الاحتكاك والمشكلات، فقد قال الإمام أحمد بن حنبل: «تسعة أعشار حسن الخلق في التغافل»، وهو تكلف الغفلة مع العلم والإدراك لما يتغافل عنه تكرماً وترفعاً عن سفاسف الأمور.

5 - التصبر

وهنا يختم التصبر خماسية النجاح لعلاقة أكثر حباً ومودة ولطفاً ورحمة، فبعد استدعاء المواقف النبيلة لشريك الحياة، خصوصاً عند حدوث مشكلة، وتقديم التقدير والرعاية والاهتمام والاعتراف بجميل ما قدم، والتأكيد عليه بالوسائل المختلفة، ثم التغافل عما قد يسقط من أحدهما؛ يأتي التصبر ليتوج حياة المبتلين خصوصاً بحياة ليس بها رصيد من المحبة؛ ليكملا قطار هذه الحياة الشاقة سواء من زوج أو زوجة، أو ظروف جعلت الحياة غير مستقرة، لكن المرحلة العمرية والأولاد والظروف قد تكون عامل ضغط لاستكمال هذه الحياة بكل ما فيها، لكن النفس والعقل والروح لم يكن لديها ما تقدمه أكثر مما قدمته في السابق؛ فالتراحم والتصبر يعيدان توازن الحياة؛ لأن الابتلاء أصاب عصب الأسرة في الحب والمودة، فالتصبر يُسكَب على نار المشكلات والخلافات فيجعلها برداً وسلاماً، ويزيدها لجوءاً وفراراً إلى الله، ففي الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم: «.. مَنْ يَسْتَعْفِفْ يُعِفُّهُ اللَّهُ، وَمَنْ يَسْتَغْنِ يُغْنِهِ اللَّهُ، وَمَنْ يَتَصَبَّرْ يُصَبِّرْهُ اللَّهُ، وَمَا أُعْطِيَ أَحَدٌ عَطَاءً خَيْراً وَأَوْسَعَ مِنَ الصَّبْرِ».■

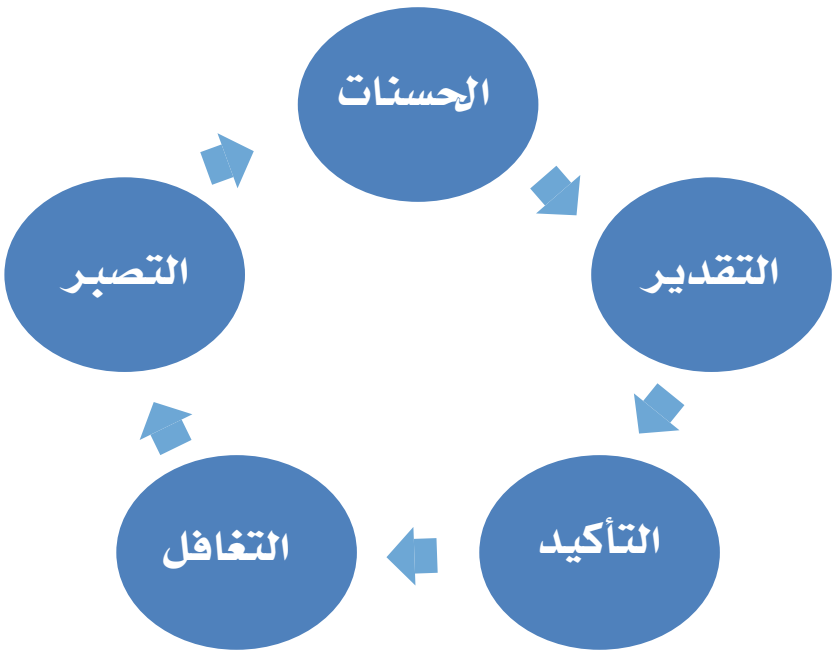

محطات إيمانية في طريق التربية

اقرأ!

إيمان مغازي الشرقاوي
ليسانس شريعة - ماجستير الدعوة
جامعة المدينة العالمية

بينما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم في غار حراء يتعبد لله تعالى، ويتفكر في عظيم قدرته، إذا بجبريل عليه السلام يتنزل عليه بأمر من الله عز وجل، يتنزل بأول كلمة من كلمات الوحي الرباني: اقرأ.. اقرأ.. اقرأ.. أنزلت عليه في مكان عبادته، وأثناء العبادة، ويتكرر الأمر بها للنبي صلى الله عليه وسلم أنْ: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ(1) خَلَقَ الْإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ (2) اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ (3) الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ (4) عَلَّمَ الْإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾ (العلق)، إنها آيات الوحي الأولى التي أرسل بها إلينا.

حين أتفكر في الآيات الأولى من سورة «العلق»، أستشعر مكانة القراءة والعلم، وفضل مَن يقرأ ويتعلم، فلم تنزل أول آية من القرآن تدعو إلى الصلاة أو الحج، أو الصوم والصدقة، كما أنها لم تكن أمراً من الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم أن يطيل مكثه في غار حراء ويكثر من عبادته لله تعالى.

أليس في هذا تشريف للقراءة ودعوة إليها وإرشاد لنا ودلالة على أهميتها كسبيل للمعرفة وأداة رئيسة من أدوات العلم، وأن ثمة علاقة وثيقة تربط بين القراءة والقلم إذا اجتمعا؟! كما أن في هذا أيضاً تعليماً لنا، وإشارة إلى أن العبادة تحتاج لعلم يبيِّنها، وأن القراءة وسيلة من وسائل هذا البَيان إذا كانت باسم الله تعالى وعلى منهجه سبحانه، وأن مما يعين عليها الإخلاص والتوكل على الله والاستعانة به والاستفادة من القلم في حفظ ما يُقرَأ.

العبادة تحتاج لعِلمٍ يبيِّنها والقراءة وسيلة من وسائل هذا البيان إذا كانت على منهجه

القراءة وسيلة لتزكية النفس وجزء مهم من حياة الناس لا غنى عنه

تزكية النفس

إن القراءة وسيلة مهمة من وسائل تزكية النفس، أليست قراءة القرآن والعلم الشرعي النافع من أعظم الأسباب لتزكية النفوس وسلامة القلوب؟ فالقراءة لا غنى عنها لمعرفة أي علم.

وقد تكون قراءة العلوم بأي لغة، لكن أشرف اللغات على الإطلاق اللغة العربية التي اختارها الله تعالى لكتابه الكريم، لذا فإننا إذا أردنا تعلم القرآن الكريم لننعم بتلاوته في خلواتنا وتصح عيوننا بالنظر في صفحات المصحف الشريف، ونفوز بالأجر المترتب على تلاوته؛ فلا بد لنا من تعلم القراءة الصحيحة له، ومعرفة اللغة العربية التي أنزل بها حتى نتدبر آيات القرآن الكريم ونفهم ما نقرأ، ومن هنا نجد أن كثيراً ممن يسلمون يسارعون في تعلم اللغة العربية ويحاولون معرفتها قراءة وكتابة.

ومما يزكي النفس قراءة قصص الأنبياء، وسِيَر الصحابة والتابعين، والقراءة في كتب تاريخ الإسلام وسيرة النبي صلى الله عليه وسلم، وما كتب العلماء في كتب التزكية والرقائق، وكل ذلك من القراءات المزكية التي نُؤجَر عليها إذا ما خلصت النية فيها، أمَّا تعلُّم علوم الشريعة كالفقه والحديث وتدارسها مع الشيوخ والعلماء فلا غنى فيه عن القراءة؛ حتى نتعلم ونتزكى بالعلم، وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم: «مَن يُرِد الله به خيراً يُفقِّهْهُ في الدِّين» (رواه مسلم).

القراءة بين الحاضر والماضي

كانت القراءة في وقت ما جزءاً مهماً من حياة الناس لا غنى عنه، وكان حبها يكبر معهم حين يكبرون، وأتذكر كيف كان البعض يدخر بعض القروش من مصروفه الزهيد ويُؤثِر بها كتاباً يشتريه أو قصة يرغب فيها، ويفضل ذلك على قطعة الحلوى التي يحبها! وكانت أمنية المرء أن تكون عنده مكتبة يجد فيها الكتاب تحت عينيه وبين يديه.

أما في عصرنا هذا، فقد سارت القراءة مساراً مختلفاً في وقت عمَّ فيه التعليم،

www.mugtama.com

وحصل الكثيرون على الشهادات الجامعية، وصرنا في عصر الإنترنت والثورة الرقمية العارمة التي وصلت معظم البيوت، فتعددت معها أشكال القراءة وتنوعت ألوانها، وأدت إلى هجر الكتاب الورقي النفيس بعد أن كان البعض ينام وهو يحتضنه، وكاد أن يُنسى شكله مع التخلص من المكتبات المنزلية التي كانت تضم ما لذَّ وطاب مما هو زاد العقول والنفوس والقلوب والأرواح، التي كان مجرد رؤيتها يذكّر بالقراءة، فتحولت المكتبات الحائطية الورقية إلى مكتبات إلكترونية مرئية عبر صفحات النت، تحوي ما نريده وما لا نريده، الطيب والخبيث، الصحيح والسقيم.

وبذلك صارت معلوماتنا «إنترنتية» تحتاج إلى تنقيح وترجيح، وأصبحت قراءاتنا «تليفونية» تحتاج إلى تنقية ومصداقية! ومع هذا فلا أحد ينكر فضل الخدمات الرائعة التي تقدم للناس عبر الإنترنت، فهناك مواقع بها آلاف الكتب الشرعية والعلمية النافعة في كل التخصصات، وهي نفسها لم تصل إلينا إلا من خلال أناس يحبون القراءة ويشجعون عليها، بل ويقرؤون، وإلا ما وصلت إلينا، وهذه ثمرة من ثمرات القراءة.

أشكال القراءة

وتبعاً لما استجد في حياتنا، فقد صار للقراءة أشكال عديدة، منها ما هو مثمر، ومنها ما ضره أكثر من نفعه، ومنها ما يضر ولا ينفع، وتتعدد أشكال القراءة من حيث مادتها وكيفيتها، ومنزلتها وأهميتها، فأشرف القراءة على الإطلاق قراءة كتاب الله عز وجل، وقراءة تفسيره لفهمه وتدبره، كما أن من العلم ما هو واجب عيني على كل مكلف، من وسائل تحصيله ودراسته ومراجعته القراءة! وهذه إن جاز لنا تسميتها فهي قراءة واجبة.

إن الكتاب هو الأصل في القراءة، سواء كان الكتاب ورقياً أم إلكترونياً، وعلى القارئ أن يكون واعياً، فيتخير لقراءته المواقع الموثوقة، وعلى منهج أهل السُّنة والجماعة، حتى لا يضيّع وقته ويتشوّه ذهنه، ومن نظر في طريقة قراءة البعض في هذه الأيام فسيجد أن القراءة في مأزق! وسيرى أشكالاً غريبة منها لا تثمر، كالقراءة السطحية التي تكون بلا هدف ولا تركيز، خلال شاشات المحمول، فتعمل فيها العين كالماسح الإلكتروني دون تركيز أو تدقيق، وهذه لا تفيد كثيراً.

ومثلها القراءة السحبية التي تسحب القارئ دون أن يشعر، فيتنقل من موضوع لآخر فضولاً منه من غير ترتيب أو هدف أو غاية، وهذه أيضاً تضيّع الوقت أكثر مما تفيد القارئ، أما القراءة الهوائية فيتلقى فيها القارئ كل ما يصله عبر الهواء، كرسائل «واتساب» و«فيسبوك»، وكثير منها لا دليل على صحته، فتكون ثمرة قراءته مُرة المذاق أو لا طعم لها، وربما كانت بلغة عامية ركيكة أو بلهجة محلية تشوّه جمال العربية الفصحى.

ومما يزيد الأمر سوءاً تلك القراءة المسمومة في المواقع المشبوهة، أو المناوئة للإسلام التي تشوّه العقيدة، وتشكك في الدين، وتدعو إلى الإلحاد، أو تسبّ الصحابة وتقدح في عدالتهم، أو تزيّف التاريخ، فثمرة هذه القراءة سامة ومهلكة وقاتلة!

ومن القراءة المطلوبة القراءة الوظيفية التي تؤدي إلى إتقان التخصص الوظيفي وتطور المستوى العلمي فيه، لكنها قد يحصل الإسراف فيها على حساب غيرها من القراءات الأخرى المطلوبة، ومنها القراءة البحثية التي يقوم بها الباحثون فينقبون في بطون الكتب للبحث وعمل البحوث العلمية ليقدموا إلينا ثمرة جهودهم العلمية في مختلف التخصصات، وعلى العكس من هذا وذاك؛ فهناك قراءة المصلحة الشخصية للاختبار والحصول على الشهادة ومن بعدها لا كتب ولا قراءة!

ومن أهم أنواع القراءة التي كادت تُفقَد القراءة التربوية لتنشئة الأطفال على القيم الجميلة والأخلاق العالية والعقيدة الصحيحة، ومن أحب صورها لهم قصة ما قبل النوم التي أصبحت الآن شبه منعدمة.

اقرأ.. نعم.. اقرأ.. وليقرأ كل منا كل يوم ولو قليلاً، من الكتاب الورقي أو الكتاب الإلكتروني.

اقرأ.. وجدّد النية على المداومة على القراءة وتقرب بها إلى الله تعالى حتى تكون عبادة.

اقرأ.. فلا يستوي مَن يقرأ مع من لا يقرأ، وقد قال صلى الله عليه وسلم: «يؤمُّ القوم أقرؤهم لكتاب الله..» (رواه مسلم).

اقرأ.. وتعرف على الكتب الطيبة، واعقد بينك وبينها معاهدة صلح وصداقة ووفاء، تبدؤها بحسن الاختيار، وترويض النفس على القراءة ولو صفحة واحدة تزيد يوماً بعد يوم.

اقرأ.. حتى تغذي عقلك، وتزكي بما تقرأ نفسك، وتدرك به مطلبك، وتزد به علمك.

اقرأ.. فالقراءة مفتاح العلوم، وقد خلف لنا العلماء ثروة علمية هائلة ظلوا بها بيننا أحياء بعد موتهم.

اقرأ.. فلولا تعليم الله لنا وهدايتنا للقراءة ما كان كتاب، ولا انتشر علم ولا تعلم متعلم، وما كانت مدرسة وما أقيمت جامعة، وما درست العلوم.

اقرأ.. فبدون القراءة لن توجد حضارة، ولن تجد معلماً ولا تلميذاً، ولا طبيباً ولا دواء، ولا مهندساً ولا بناء، فكل ذلك يحتاج إلى العلم، ومفتاح العلم القراءة.

اقرأ.. وشجّع غيرك على القراءة وشارك في التعريف بالكتب المفيدة.■

الثورة الرقمية أدت إلى هجر الكتاب الورقي وكاد أن يُنسى شكله مع التخلص من المكتبات المنزلية

من أهم أنواع القراءة التي كادت تُفقَد القراءة التربوية لتنشئة الأطفال على القيم والأخلاق والعقيدة الصحيحة

المرتكزات النظرية في السياسة الدولية

عرض - محمود المنير:

بيانات الكتاب:

عنوان الكتاب: المرتكزات النظرية في السياسة الدولية.

تأليف: علي زياد فتحي العلي.

الناشر: دار الفجر للنشر والتوزيع- القاهرة.

سنة النشر: الطبعة الأولى- 2017م.

عدد صفحات الكتاب: 269 صفحة.

هذا الكتاب:

تستمد هذه الدراسة أهميتها من أنها تشكل مدخلاً مهماً لفهم طبيعة النظام الدولي، والمرتكزات التي تشكل بنيته الأساسية، والمفاهيم التي تبنى عليها حركة دينامية السياسة الدولية، وتشكل هذه المرتكزات الواردة فيها أهمية كبرى عند دراسة أي حالة خارجية تطرأ على السياسة الدولية؛ فعلى سبيل المثال، يشكل مرتكز المستقبل أهمية إستراتيجية عند دراسة أي بُعد لحركة السياسة على الصعيد العالمي والإقليمي التي تشكل حالة من اللايقين في المشاهد المستقبلية الصفة الملازمة لها، لا سيما أن المستقبل والاستشراف بدا يشكل أهمية قصوى لدى المهتمين بدراسة السياسة الدولية واتجاهات أبعادها المحلية والعالمية، وما يمكن أن يطرأ عليها من متغيرات في ظل قراءة الواقع الحالي بعد بناء مصفوفة السيناريوهات بشكل علمي دقيق.

لذا، تساعدنا هذه الدراسة على فهم واقع النظام الدولي ومسار الاتجاهات وفق إدراك هذه المرتكزات الأساسية، التي يرى المؤلف أنها الأهم والأبرز لفهم طبيعة النظام الدولي.

محتويات الكتاب:

يضم هذا الكتاب بين دفتيه مقدمة وعشرة مباحث عن المرتكزات النظرية في السياسة الدولية، جاءت على النحو التالي: مرتكز المستقبل، والتوازن، والصراع، ومرتكز التأثير الدولي، والإستراتيجية، والنظام الدولي، والقوة والواقعية والأمن، وأخيراً مرتكز الأحلاف الدولية، بحسب المؤلف.

السياسة الدولية:

تمثل السياسة الدولية نتاج عدة تفاعلات من السياسات الخارجية للدول في النظام الدولي، فهي عملية تفاعلية سياسية ذات أبعاد اقتصادية واجتماعية تترجم أبعادها بممارسات وسياسات الدول خارجياً، فهي في جوهرها حقل علمي نابع من صميم الدراسات الدولية التي يختص بها حقل العلاقات الدولية.

مرتكز المستقبل:

يرى المؤلف أن هناك اهتماماً بدراسات المستقبل والاستشراف وصلت إلى عمل دراسات استشرافية إلى أبعد من خمسين عاماً، ويستلزم الحديث عن المستقبل توفر نظرة إلى الماضي، يكتسب بها سير التاريخ الحد الأدنى الضروري من المعقولية والتماسك اللذين يسمحان بفهم الحاضر، وأن يستوجب ذلك التطلع من جهة ثانية.

فالمستقبل نتاج الحاضر، فكل مجتمع يصنع لنفسه مستقبلاً خاضعاً لقدراته المؤسسية المنظمة، وموارده الثقافية والطبيعية، والنظرة للمستقبل هي انعكاس للقدرات المؤسسية في المجتمع.

العلاقات الدولية لا تخضع لقانون مكتوب أو نظام رسمي ينظم العلاقات بين الدول

كل مجتمع يصنع لنفسه مستقبلاً خاضعاً لقدراته المؤسسية المنظمة وموارده الثقافية والطبيعية

ويرى أن هناك منهجيات محددة وأدوات للدراسات المستقبلية وخصائص، أبرزها:

- الشمول والنظرة الكلية للأمور.
- مراعاة التعقد وتفادي الإفراط في التبسيط والتجريد للظواهر المدروسة.
- القراءة الجيدة للماضي باتجاهاته العامة السائدة، وكذلك التعرف على الاتجاهات السائدة.
- المزج بين الأساليب الكيفية والكمية في العمل المستقبلي.
- عمل الفريق والإبداع الجماعي مع التزام الحيادية والعلمية.

التوازن والتأثير الدولي:

تتكئ الدراسة على مرتكز التوازن الذي يشكل من وجهة نظر المؤلف نتاجاً فعلياً لحركة التفاعلية في السياسة الدولية، الذي يمثل جانباً مهماً لدراسة ظواهر العلاقات الدولية بين القوى الفاعلة ودراسة الدور الذي تقوم به الأحلاف الدولية في حفظ توازن القوى، والاعتبارات التي تحيط بعملية التساوم التي تجري بين أطراف الصراع، سواء في ظروف التهديد باستخدام القوة، أو الخلفية الإستراتيجية لنظام التوازن الدولي والإقليمي في مجريات البيئة الدولية.

كما يرى المؤلف أن مرتكز التأثير الدولي من بين أهم المواضيع التي يجب دراستها وقياسها في العصر الراهن؛ حيث إنه لم يأخذ اهتماماً كبيراً لدى باحثي العلوم السياسية نظراً للتأثيرات الواضحة والخطيرة التي تتركها إستراتيجيات القوى العظمى على النظام الدولي والسياسة الدولية، فهو يوصف بأنه وثيق الصلة بمفهوم القوة الناعمة، ويمكن تحليله مثل تحليل مستويات القوة بوصفها قدرة وبوصفها علاقة بين الوحدات الدولية، ثم إن علاقة السطوة مشابهة لعلاقات القوة، بمعنى أنهما يحفزان دولة ما على فعل شيء ما كانت لتفعله بخلاف ذلك، فيتم إقناع الخصم بتغيير رأيه بدلاً من إجباره على ذلك عن طريق القوة الناعمة.

www.mugtama.com

مرتكز الإستراتيجية:

يشير المؤلف إلى أن هذا المرتكز يحظى بأهمية بالغة في السياسة الدولية، بحيث لا يكاد يخلو تصريح أو مؤتمر أو ندوة في المجال السياسي أو غيره من إيراد المصطلح عن فهم دقيق أو سطحي في أغلب الأحيان، وهو بالفعل مفهوم غامض ومتشابك في أكثر من مجال وحقل معرفي، وعرض المؤلف في هذا المرتكز لبيان تعريف مفهوم الإستراتيجية، وأنواعها ومستوياتها والصيغ التي ترد فيها لا سيما في الصراعات والنزاعات الدولية، ومفهوم الإستراتيجية الشاملة التي تعني حشد وتوجيه جميع موارد الدولة لتحقيق الأهداف المطلوبة، وتشمل التخطيط والتنسيق والتطوير لجميع وإمكانيات الدولة في مرحلة السلم والحرب لتحقيق المصالح الوطنية العليا للدولة.

وفرق المؤلف بين أنواع الإستراتيجية القومية التي تقتضي تأمين متطلبات الاستقرار الداخلي وحماية المصالح الحيوية والأساسية لأي أمة مستفيدة من تاريخها وما أفرزته معطيات قوتها الجغرافية ومؤثرها التاريخي والاجتماعي.

مرتكز النظام الدولي:

يعد النظام الدولي بمثابة المحور والدائرة الرئيسة التي تصف شكل وأنماط العلاقات والتصرفات التي تسود العلاقات الدولية، التي على إثرها يتحدد شكل النظام الدولي، وأخذ النظام الدولي أشكالاً متعددة تارة يقوم على أساس توازن القوى متعدد الأقطاب، واستمر هكذا حتى الحرب العالمية الثانية.

وبعد الحرب العالمية الثانية، انتهى نظام تعدد الأقطاب وظهر نظام الثنائية القطبية، وبعد تفكك الاتحاد السوفييتي عام 1991م، بدأ نظام جديد أطلق عليه أحادي القطب بزعامة الولايات المتحدة الأمريكية، إلا أنه سرعان ما أشرفت مرحلة جديدة يعيشها النظام الدولي إذ أخذ شكل قطبية أحادية عسكرية وتعددية اقتصادية ثقافية، ولا يمكن أن نعرف موازين القوى الدولية واتجاهات القوة فيه، دون معرفة هيكلية النظام الدولي وتطورها من خلال معرفة تراتبية الوحدات التي يتألف منها الهيكل، بدلالة الأنماط العامة للقوة وطرائق توزيعها ودرجات الهيمنة والنفوذ بين الوحدات داخل الإطار الذي تنتظم فيه.

مرتكز التأثير الدولي من أهم المواضيع التي يجب دراستها وقياسها في العصر الراهن

النظام الدولي يَشرُف على مرحلة جديدة إذ أخذ شكل قطبية أحادية عسكرية وتعددية اقتصادية ثقافية

مرتكزا القوة والواقعية:

يعد مرتكز القوة من المرتكزات التي شهدت كذلك تطورات كبيرة من القوة الصلبة (العسكرية) إلى القوة الناعمة التي تعني هيمنة النموذج الجاذب ثقافياً وفكرياً واقتصادياً إلى القوة «الذكية»، ويشير المؤلف إلى أن هناك تضارباً وتشابكاً بالآراء حول إعطاء تعريف واحد للقوة، وتأتي أهميته في تحديد المدركات الإستراتيجية لقوة الدولة كنقطة انطلاق لدراسة السياسة الدولية بشكل أوسع، فهي في الفكر الإستراتيجي فاعلية الدولة ووزنها في المجال الدولي، الناتجان عن قدرتها على توظيف مصادر القوة المتاحة لديها في فرض إرادتها وتحقيق أهدافها ومصالحها القومية في محيطها الإقليمي والدولي، وقدرتها على التأثير في إرادات الدول الأخرى ومصالحها وأهدافها، وتتحدد قوة الدولة في ضوء عنصرين؛ الأول: مصادر القوة، والثاني: عملية توظيف وإدارة هذه المصادر على الصعيد الدولي.

كما يرى المؤلف أن مرتكز الواقعية بمثابة المرجع الأساسي الذي يفسر سير العلاقات الدولية، والواقعية -حسب رأيه- ليست مجموعة من الفرضيات السياسية بحسب، بل هي أعمق من ذلك بكثير، فهي رؤية خاصة للعالم، والإنسان والحياة، وتمتد جذورها وروافدها في عمق التاريخ الإنساني، فالمنهج الواقعي يعد من أهم المناهج السائدة في حقل السياسة الدولية، وأهم ما يميز أصحاب المدرسة الواقعية كحقل معرفي اشتماله على شبكة تتعلق ببعضها وتساعد في صياغة الفروض التي تعكس الشكل الحقيقي للبيئة الدولية.

مرتكز الأمن:

يعد مفهوم الأمن من أكثر الإستراتيجية إثارة للجدل؛ لارتباطه ببقاء الأفراد والشعوب والدول واستمرارها، وقد تعددت تعريفات الأمن من حيث المضمون أو مستوى التحليل أو الوسائل والأطراف المعنية به، فهو من المفاهيم الحديثة في السياسة الدولية، ويعود استخدام مفهوم الأمن إلى نهاية الحرب العالمية الثانية؛ حيث ظهر تيار من الأدبيات يبحث في كيفية تحقيق الأمن وتلافي الحروب، وكان من نتائجه بروز نظريات الردع والتوازن، ثم أنشئ مجلس الأمن القومي الأمريكي بمستوياته في حقبة سبعينيات القرن الماضي، ومنذ ذلك التاريخ انتشر استخدام مفهوم الأمن بمستوياته

المختلفة طبقاً لطبيعة الظروف المحلية والإقليمية والدولية.

وظهور مفهوم الأمن القومي -وفقاً لـ «جوزيف ناي وروبرت كيوهان»- كان بعد الحرب الباردة، والملاحظ أنه ليس هناك إجماع حول المقصود بالأمن القومي في حماية القيم المركزية كبقاء الدولة والاستقلال الوطني، والوحدة الترابية، والرفاه الاقتصادي، والهوية الثقافية، والحريات الأساسية.

وترجع أهمية هذا المرتكز إلى أن الأمن الدولي مفهوم مرتبط بأمن كل دولة عضوة في النسق الدولي، الذي هو مجموعة من الوحدات المترابطة نمطياً من خلال عملية التفاعل، فالنسق يتميز بالترابط بين وحداته، وتحقيق الأمن يتطلب آليات عمل جماعية، منها:

1 – نظام توازن القوى.

2 – نظام الأمن الجماعي.

ولعل ما نود التركيز عليه في هذا المرتكز هو أن التحديات الجديدة جعلت مفهوم الأمن شمولياً ومتعدد الأبعاد وأكثر التصاقاً بالحياة الاجتماعية، فلم يعد يقاس بمدى تقليص التهديدات، بل بمدى الاستجابة للحاجيات الأساسية للإنسان.

مرتكز الأحلاف الدولية:

يرى المؤلف أن هذا المرتكز أحد محركات التفاعل في السياسة الدولية، ويمكن النظر إليها على اعتبار أنها إحدى أدوات أساليب تحقيق التوازن، وتمثل اعتبارات توازن القوى أكثر التفسيرات شيوعاً فيما يتعلق بنشأة وانهيار التحالفات.

وتجدر الإشارة إلى أن اعتبارات توازن القوى الدولية قد تطغى على اعتبارات السياسة الوطنية، وقد يكون الهدف من قيام بعض التحالفات هو رسم وتحديد مناطق النفوذ التابعة لكل قطب من أقطاب العالم؛ وبالتالي هناك دوافع كثيرة تدفع العالم إلى إبرام تحالفات دولية من أقطاب دولية فيما بينها، ومن أهم هذه الدوافع الإبقاء على توازن القوى فيما بينها.

وفي الختام، بعد استعراض هذه المرتكزات الأساسية للنظام الدولي، نقول: إن السياسة الدولية ظاهرة مستقلة تهتم بدراسة الظواهر المعاصرة التي تعنى بالتفاعلات السياسية على الصعيد الدولي، وتختص بما هو كائن، وترتبط مع العلوم الاجتماعية في علاقة تأثر متبادل، وتتأثر بأيديولوجية صانع القرار؛ لما له من أثر كبير في رسم معادلات السياسة الدولية.

ومن هنا تأتي أهمية دراسة هذه المرتكزات، حيث تبنى التصورات الذهنية المتعلقة بالكيفية الممكنة لتقييم حركات التفاعل الدولية ورصد المعادلات الإستراتيجية الدائرة جراء تضارب السياسات الخارجية للوحدات والفواعل الدولية، سواء كانت دولة أم لاعباً دولياً يتخطى مفهوم الدولة؛ كالشركات الكبرى والأفراد المؤثرين بالساحة الدولية.

خلاصات الأفكار:

بعد ما تقدم عرضه في هذا الكتاب لمرتكزات السياسة الدولية، نقدم لأبرز خلاصات الأفكار التي حملتها هذه الدراسة للمهتمين بدراسة السياسة الدولية، وصناع القرار، ومنها:

- الاستشراف أصبح علماً يتخطى الكهانة و«اليوتوبيا»، ويعرف بأنه محاولة لاستكشاف المستقبل وفق الأهداف المخططة، باستخدام أساليب كمية تعتمد على قراءة أرقام الحاضر والماضي، أو أساليب كيفية تستنتج أدلتها من الآراء الشخصية القارئة لمجرى الأحداث.
- العلاقات الدولية بشكل عام لا تخضع لقانون مكتوب أو نظام رسمي ينظم العلاقات ما بين الدول، إنما هي تسبح في بيئة تحدد من قبل الفاعلين الدوليين، ولا يقتصر مصطلح الفاعلين الدوليين على الدول بحد ذاتها، وإنما يتخطاها ليصل إلى المنظمات الدولية والشركات المتعددة الجنسيات، بالإضافة إلى الأشخاص الذين يمارسون دوراً في الساحة الدولية، كما هي الحال بالنسبة للأشخاص الذين يمتلكون نفوذاً عالمياً بحكم طبيعة نشاطهم.
- مكانة الدولة في بنية النظام الدولي تعكس أهدافها وطموحاتها في المحيط الخارجي، والدول تحاول تحقيق أهدافها عبر السياسة الخارجية التي ستختلف بطبيعة الحال بين دولة وأخرى بسبب اختلاف مكانة وطموح الدولة.
- بقاء النظام السياسي الدولي مرتكزاً على مبدأ السيادة القومية يشكل المصدر الرئيس للصراعات الدولية، والتحلل من هذا المأزق يتطلب صهر الإدارات الفردية للدول ودمجها في إدارة عالمية ذات سيادة واحدة.
- القوة هي التي ترسم أبعاد الدور الذي تقوم به الدولة في المجتمع الدولي، وتحدد إطار علاقاتها بالقوى الخارجية في البيئة الدولية، وأنّ امتلاك عناصر القوة لا يكفي حتى تكون الدولة مؤثرة، فلا بد من تبني سياسات فعّالة لاستخدام القوة.
- توازن القوة بين القوى الدولية هو ما يحقق الاستقرار، وتوزيع تلك القوة هو ما يحدد بنية النظام الدولي التي تتميز بانعدام الثقة بين الدول.
- الإستراتيجية هي علم وفن استخدام الوسائل والقدرات المتاحة في إطار عملية متكاملة يتم إعدادها والتخطيط لها، بهدف خلق هامش من حرية العمل يعين صناع القرار على تحقيق أهداف سياستهم العليا في أوقات السلم والحرب.
- يشكل الأمن محوراً أساسياً في حياة الإنسان وتفكيره، سواءً كان ذلك على مستوى الفرد أم الجماعة أم الدولة، إذ يعتبر الأمن الأولوية الأولى في حياة الإنسان، وفي ترسيخ وتوطيد دعائم استقراره وتطوره وازدهاره، فالحاجة إلى الأمن بكافة صوره وأشكاله من أهم الحاجات الفطرية الإنسانية.■

مفهوم الأمن من أكثر الإستراتيجية إثارة للجدل لارتباطه ببقاء الأفراد والشعوب والدول واستمرارها

بقاء النظام السياسي الدولي مرتكِزاً على مبدأ السيادة القومية يشكل المصدر الرئيس للصراعات الدولية

أشرف عيد

مسلمو كينيا.. بين المد التنصيري والعوز المالي

يواجهون المدّ التنصيري الجارف والإمكانات المادية المتدفقة التي تهدف إلى تذويب هويتهم

تقع كينيا في شرق قارة أفريقيا، يحدُها شرقاً الصومال والمحيط الهندي، وجنوباً تنزانيا، وغرباً أوغندا، وشمالاً إثيوبيا وجنوب السودان، وتبلغ مساحتها 582,650 كم، وعدد سكانها 32 مليوناً تقريباً، و48% من السكان وثنيون، و16% نصارى، و2% يهود وديانات أخرى، ويقدر عدد المسلمين بـ8 ملايين بنسبة 25%، إلا أن بعض المراجع الغربية يقدرون نسبتهم بـ7% تقليلاً من شأنهم.

دخل الإسلام كينيا على يد التجار والقبائل العربية التي هاجرت إليها منذ القرن الأول الهجري، ويتوزع المسلمون في أقاليم كينيا بنسب متفاوتة، ومن أهم الأقاليم التي يتواجد فيها المسلمون بنسب كبيرة إقليم الساحل، وأهم مدنه: ممباسا وباتا ولامو ومالندي، وتسكنه عدة قبائل، ونسبة المسلمين بينهم 80% وفي الغرب تصل نسبة المسلمين إلى 20% فقط، والإقليم الشمالي الشرقي ومعظم سكانه من الصوماليين، وتبلغ نسبة المسلمين فيهم نحو 99%، ويعيش السكان فيه على تربية المواشي، ومعظمهم من البدو الرُّحَّل، وإقليم العاصمة نيروبي، وفيها أكثر من نصف مليون مسلم وحدها وأكثر من 30 مسجداً، ويتحدث المسلمون في كينيا اللغة الإنجليزية واللغة السواحلية.

ويوجد العديد من المؤسسات والجمعيات الإسلامية في كينيا التي يشرف عليها «المجلس الأعلى لمسلمي كينيا»، وهو الجهة الممثلة للمسلمين لدى الدولة، وبالرغم من أن المسلمين يمثلون ربع السكان، فإنهم ليس لهم وزن سياسي يتناسب مع عددهم، وليس بينهم رابطة توحدهم.

ومن أشهر الدعاة في كينيا الشيخ الأمين علي المازروي، الذي قام بإصدار جريدتين باللغتين العربية والسواحلية، وأنشأ مدرسة عربية في مدينة «شيلا»، والداعية عبدالله حسين، الذي كانت له جولات دعوية في قبائل «الجرياما» الوثنية بجنوب كينيا، والشيخ علي كريسا، مدير المركز الإسلامي في جنوب ساحل كينيا.

كما أن جمعية العون المباشر التي كان يرأسها الداعية الكويتي د. عبدالرحمن السميط كانت لها إسهامات كبيرة في مساعدة مسلمي كينيا.

ويتعلم الأطفال قراءة القرآن الكريم ومبادئ الإسلام في الكتاتيب التي يبلغ عددها نحو 866 كتاباً، وهي قليلة جداً، والمساجد في كينيا قليلة جداً لا تتناسب مع عدد المسلمين؛ حيث يبلغ عددها 690 مسجداً حتى عام 2016م.

أهم التحديات

يعاني مسلمو كينيا من التهميش والتمييز، وحُرمت مناطقهم من الخطط التنموية وإنشاء مدارس أو جامعات أو مستشفيات؛ فنسبة المسلمين الذين يعيشون تحت خط الفقر وصلت إلى أكثر من 55%، وتنتشر في صفوفهم البطالة بنسبة 30%، وشرق وشمال كينيا على اتِّساعه لا توجد فيهما جامعة إسلامية، والمسلمون الذين يقطنون الأرياف كثير منهم لا يفقهون شيئاً عن أمور دينهم.

وقد أدت الحرب المزعومة على الإرهاب إلى إغلاق الكثير من مكاتب الإغاثة الإسلامية، ويواجه المسلمون المدّ التنصيري الجارف والإمكانات المادية المتدفقة للتنصير التي تهدف إلى تذويب هوية المسلمين.

وقد أدخلت الحكومة الكينية مادة التربية الدينية مادة أساسية إجبارية في التعليم الابتدائي والمتوسط، فيخير الطالب بين التربية الإسلامية والمسيحية، والغريب أن بعض أبناء المسلمين يفضّلون اختيار مادة التربية المسيحية للحصول على الشهادات؛ لكونها مكتوبة باللغة الإنجليزية لغة التواصل والتدريس التي يفهمونها، ولصعوبة تعلم التربية الإسلامية باللغة العربية التي يتعلمونها كلغة دينية وليست لغة التواصل.

وهناك نوع من المدارس التي تقوم بتدريس منهج وزارة التعليم للمرحلة الابتدائية، إضافة إلى تدريس اللغة العربية والعلوم الشرعية، مثل «مدرسة أبي هريرة الإسلامية» في ممباسا التي أُنشئت عام 1995م، ثم سارت على منوالها مدارس أخرى، مثل مركز الشيخ زايد الخيري لرعاية الأطفال وغيره، ويبلغ عددها حالياً 17 مدرسة.

والمسلمون في كينيا في حاجة شديدة إلى الدعم المادي من الدول العربية والإسلامية؛ فإمكاناتهم المادية لا تفي بالمتطلبات الأساسية، ويحتاجون قناة فضائية تعليمية تُعنى بنشر اللغة العربية والثقافة الإسلامية، وتكون بعض برامجها باللغة السواحلية والإنجليزية التي يتحدثون بها. ■

مقال

د. وصفي عاشور أبو زيد
أستاذ مقاصد الشريعة الإسلامية

رتبة الفنون وجمالياتها وتكييفها الشرعي..

نظرة مقاصدية

مقاصد الشريعة الإسلامية -كما هو معلوم ومتواتر عن العلماء- ثلاث مراتب: الضروريات، والحاجيات، والتحسينيات.

والفنون ومركزها الجمال تدخل ضمن المرتبة الثالثة؛ وهي التحسينيات، وَقِسْمُ التَّحْسِينِيَّاتِ -كما قال الإمام الشاطبي- جَارٍ أَيْضاً كَجريان الحاجيات؛ فإنها راجعة إلى العمل بِمَكَارِمِ الْأَخْلَاقِ وَمَا يَحْسُنُ فِي مَجَارِي الْعَادَاتِ؛ كَالطَّهَارَاتِ بِالنِّسْبَةِ إِلَى الصَّلَوَاتِ، عَلَى رَأْيِ مَنْ رَأَى أَنَّهَا مِنْ هَذَا الْقِسْمِ، وَأَخْذِ الزِّينَةِ مِنَ اللِّبَاسِ وَمَحَاسِنِ الْهَيْئَاتِ وَالطِّيبِ وَمَا أَشْبَهَ ذَلِكَ، وَانْتِخَابِ الْأَطْيَبِ وَالْأَعْلَى فِي الزَّكَوَاتِ وَالْإِنْفَاقَاتِ، وَآدَابِ الرِّفْقِ فِي الصِّيَامِ، وَبِالنِّسْبَةِ إِلَى النُّفُوسِ كَالرِّفْقِ وَالْإِحْسَانِ، وَآدَابِ الْأَكْلِ وَالشُّرْبِ، وَنَحْوِ ذَلِكَ، وَبِالنِّسْبَةِ إِلَى النَّسْلِ؛ كَالْإِمْسَاكِ بِالْمَعْرُوفِ أَوِ التَّسْرِيحِ بِالْإِحْسَانِ، مِنْ عَدَمِ التَّضْيِيقِ عَلَى الزَّوْجَةِ، وَبَسْطِ الرِّفْقِ فِي الْمُعَاشَرَةِ، وَمَا أَشْبَهَ ذَلِكَ، وَبِالنِّسْبَةِ إِلَى الْمَالِ؛ كَأَخْذِهِ مِنْ غَيْرِ إِشْرَافِ نَفْسٍ وَالتَّوَرُّعِ فِي كَسْبِهِ وَاسْتِعْمَالِهِ، وَالْبَذْلِ مِنْهُ عَلَى الْمُحْتَاجِ، وَبِالنِّسْبَةِ إِلَى الْعَقْلِ؛ كَمُبَاعَدَةِ الْخَمْرِ وَمُجَانَبَتِهَا وَإِنْ لَمْ يَقْصِدِ اسْتِعْمَالَهَا، بِنَاءً عَلَى أَنَّ قَوْلَهُ تَعَالَى: ﴿فَاجْتَنِبُوهُ﴾ (المائدة: 90) يُرَادُ بِهِ الْمُجَانَبَةُ بِإِطْلَاقٍ، فَجَمِيعُ هَذَا لَهُ أَصْلٌ فِي الْقُرْآنِ بَيَّنَهُ الْكِتَابُ عَلَى إِجْمَالٍ أَوْ تَفْصِيلٍ أَوْ عَلَى الْوَجْهَيْنِ مَعاً، وَجَاءَتِ السُّنَّةُ قَاضِيَةً عَلَى ذَلِكَ كُلِّهِ بِمَا هُوَ أَوْضَحُ فِي الْفَهْمِ وَأَشْفَى فِي الشَّرْحِ، وَإِنَّمَا الْمَقْصُودُ هُنَا التَّنْبِيهُ، وَالْعَاقِلُ يَتَهَدَّى مِنْهُ لِمَا لَمْ يُذْكَرْ مِمَّا أُشِيرَ إِلَيْهِ، وَبِاللَّهِ التَّوْفِيقُ[1].

رتبة الفنون وجمالياتها في رتب المقاصد:

رتبة التحسينيات التي تندرج فيها الفنون هي المسؤولة عن جماليات التشريع، وعن تقريبه للنفوس وتقبلها له بقبول حسن، فإذا أضيف إلى عنصر الإيمان بالله تعالى عنصر التحسين الجمالي كان أقرب إلى الامتثال، وأدنى إلى المداومة على العبادة.

بل جعل بعض الأصوليين رتبة التحسينيات ثلاث مراتب: منفعة وزينة وفضول، وذلك بعد الضرورة والحاجة، قال الزركشي: فَائِدَةٌ: جَعَلَ بَعْضُهُمْ الْمَرَاتِبَ خَمْسَةً ضَرُورَةً، وَحَاجَةً، وَمَنْفَعَةً، وَزِينَةً، وَفُضُولٌ.

فالضرورة: بلوغه حداً إن لم يتناول الممنوع هلك أو قارب؛ كالمضطر للأكل واللبس بحيث لو بقي جائعاً أو عرياناً لمات أو تلف منه عضو، وهذا يبيح تناول المحرم، والحاجة: كالجائع الذي لو لم يجد ما يأكل لم يهلك غير أنه يكون في جهد ومشقة، وهذا لا يبيح المحرم، وأما المنفعة: فكالذي يشتهي خبز الحنطة ولحم الغنم والطعام الدسم، وأما الزينة: فكالمشتهي الحلو المتخذ من اللوز والسكر والثوب المنسوج من حرير وكتان، وأما الفضول: فهو التوسع بأكل الحرام أو الشبهة، كمن يريد استعمال أواني الذهب أو شرب الخمر[2].

وبهذا؛ يتبين لنا أهمية الفنون ومركزها الذي هو الجمال، وما تحتله من مرتبة مهمة وفاعلة في منظومة مقاصد الشريعة، وما لذلك من آثار في التعبد لله، وما له من وظيفة في الاجتماع الإنساني والاتساق مع الكون والتشريع، وعمارة الحياة.

التكييف الشرعي للفنون في ضوء المقاصد:

نعني بالتكييف الشرعي هنا فهم حكمها

رتبة التحسينيات التي تندرج فيها الفنون هي المسؤولة عن جماليات التشريع وتقريبه للنفوس

ومنزلته في ضوء المقاصد، وليس الحديث عن حل أو حرمة الفنون، فهذا أمر قد بحثه العلماء بما لا مزيد عليه، وفيه خلاف مشهور للاختلاف في اعتبار جهة النظر التي ينظر منها والمعاني التي يتحدث عنها الفقيه، والسياقات التي تصاحب الفنون.

ويمكننا أن نكيِّف الفنون في منظومة الشريعة بأنها وسائل تحقق، والقاعدة المقاصدية تقضي بأن للوسائل أحكامَ المقاصد، وقد عقد العز بن عبدالسلام فصلاً بعنوان «فصل في انقسام المصالح والمفاسد إلى الوسائل والمقاصد»، قال فيه: «الواجبات والمندوبات ضربان: أحدهما مقاصد، والثاني وسائل، وكذلك المكروهات والمحرمات ضربان: أحدهما مقاصد، والثاني وسائل، وللوسائل أحكام المقاصد؛ فالوسيلة إلى أفضل المقاصد هي أفضل الوسائل، والوسيلة إلى أرذل المقاصد هي أرذل الوسائل، ثم تترتب الوسائل بترتب المصالح والمفاسد، فمن وفقه الله للوقوف على ترتب المصالح عرف فاضلها من مفضولها، ومقدمها من مؤخرها، وقد يختلف العلماء في بعض رتب المصالح فيختلفون في تقديمها عند تعذر الجمع، وكذلك من وفقه الله لمعرفة رتب المفاسد فإنه يدرأ أعظمها بأخفها عند تزاحمها، وقد يختلف العلماء في بعض رتب المفاسد فيختلفون فيما يدرأ منها عند تعذر دفع جميعها، والشريعة طافحة بما ذكرناه»[3].

وفي فصل آخر مهم أيضاً يتحدث حديثاً مهماً ننفذ من خلاله إلى تكييف الفنون تكييفاً شرعياً صحيحاً، قال: «فصل في بيان الوسائل إلى المصالح: يختلف أجر وسائل الطاعات باختلاف فضائل المقاصد ومصالحها، فالوسيلة إلى المقاصد أفضل من سائر الوسائل، فالتوسل إلى معرفة الله تعالى ومعرفة ذاته وصفاته أفضل من التوسل إلى معرفة أحكامه، والتوسل إلى معرفة أحكامه أفضل من التوسل إلى معرفة آياته، والتوسل بالسعي إلى الجهاد أفضل من التوسل بالسعي إلى الجمعات، والتوسل بالسعي إلى الجمعات أفضل من التوسل بالسعي إلى الجماعات في الصلوات المكتوبات، والتوسل بالسعي إلى الصلوات المكتوبات أفضل من التوسل بالسعي إلى المندوبات التي شرعت فيها الجماعات كالعيدين والكسوفين، وكلما قويت الوسيلة في الأداء إلى المصلحة، كان

الفنون تحتل مرتبة مهمة في منظومة مقاصد الشريعة وهو ما له آثاره في التعبد لله وعمارة الحياة

.. ووسيلة تأخذ حكم ما تفضي إليه وتعززه سواء كان واجباً أم مندوباً أم مكروهاً أم محرماً

أجرها أعظم من أجر ما نقص عنها، فتبليغ رسالات الله من أفضل الوسائل؛ لأدائه إلى جلب كل صلاح دعت إليه الرسل، وإلى درء كل فاسد زجرت عنه الرسل، والإنذار وسيلة إلى درء مفاسد الكفر والعصيان، والتبشير وسيلة إلى جلب مصالح الطاعة والإيمان، وكذلك المدح والذم، وكذلك الأمر بالمعروف وسيلة إلى تحصيل ذلك المعروف المأمور به، رتبته في الفضل والثواب مبنية على رتبة مصلحة الفعل المأمور به في باب المصالح، فالأمر بالإيمان أفضل أنواع الأمر بالمعروف.

وكذلك تعليم ما يجب تعليمه، وتفهيم ما يجب تفهيمه، يختلف باختلاف رتبه، وهذان قسمان:

أحدهما: وسيلة إلى ما هو مقصود في نفسه، كتعريف التوحيد وصفات الإله؛ فإن معرفة ذلك من أفضل المقاصد والتوسل إليه من أفضل الوسائل.

القسم الثاني: ما هو وسيلة إلى وسيلة كتعليم أحكام الشرع، فإنه وسيلة إلى العلم بالأحكام التي هي وسيلة إلى

ما لم تأخذ الفنون بمعناها الواسع مكانها اللائق في واقعنا المعاصر فسوف تخسر الأمة الكثير

إقامة الطاعات، التي هي وسائل إلى المثوبة والرضوان، وكلاهما من أفضل المقاصد.

وكذلك الولايات تختلف رتبها باختلاف ما تجلبه من المصالح وتدرؤه من المفاسد؛ فالولاية العظمى أفضل من كل ولاية، لعموم جلبها المنافع، ودرئها المفاسد، وتليها ولاية القضاء لأنها أعم من سائر الولايات، والولاية على الجهاد أفضل من الولاية على الحج؛ لأن فضيلة الجهاد أكمل من فضيلة الحج، وتختلف رتب الولايات بخصوص منافعها وعمومها فيما وراء ذلك من جلب المصالح ودرء المفاسد[4].

هذا الكلام النفيس لسلطان العلماء يجعلنا نضع الفنون في مكانها الصحيح، وفي رتبتها اللائقة بها؛ فهي وسيلة تأخذ حكم ما تفضي إليه، وما تعمل على تعزيزه وخدمته، فإن كان موضوع عملها واجباً تأخذ حكمه، وإن كان مندوباً فهي مندوبة، وإن كان محرماً فهي حرام، وإن كان مكروهاً فهي مكروهة.

ولا شك أن أمتنا في واقعها المعاصر تحتاج أن تعيد النظر في هذا الموضوع، وتوليه اهتمامه الملائم له، لا سيما في عصرنا الذي نعيشه؛ ذلك العصر الذي يمر بتحولات اجتماعية وسياسية وفكرية كبرى، لا تمر بها الأمة إلا كل مائة عام، وما لم تأخذ الفنون بمعناها الواسع مكانها اللائق بها في خدمة هذا المشهد فسوف تخسر الأمة الكثير، وتبذل من الوقت والجهد والمال ما يغنيه عنها اهتمامها بأداة الفن بما هي وسيلة قوية ومؤثرة ومعبرة ومغيرة لواقعنا المعاصر وقضاياه الكبرى.■

الهوامش

(1) الموافقات للشاطبي: 4/351-352. تحقيق: مشهور بن حسن آل سلمان. دار ابن عفان. الطبعة الأولى. 1417هـ/ 1997م.

(2) المنثور في القواعد للزركشي: 2/ 319-320. وزارة الأوقاف الكويتية. الطبعة الثانية. 1405هـ - 1985م.

(3) قواعد الأحكام في مصالح الأنام للعز بن عبدالسلام: 1/ 53-54. راجعه وعلق عليه: طه عبد الرؤوف سعد. مكتبة الكليات الأزهرية. القاهرة. طبعة جديدة مضبوطة منقحة. 1414هـ - 1991م.

(4) قواعد الأحكام في مصالح الأنام للعز بن عبدالسلام: 1/ 124-126.

www.mugtama.com

قانون المواطنة الجديد بالهند يتنافى مع دستورها العلماني

محمود عاصم
باحث وصحفي بنيودلهي

أقر البرلمان الهندي تمرير مشروع قانون المواطنة (المعدل) لعام 2019م، الذي أصبح قانوناً بعد توقيع رئيس جمهورية الهند، في 12 ديسمبر 2019م.

قامت الحكومة الهندية بقيادة رئيس الوزراء «ناريندرا مودي» بإقرار بعض التعديلات في قانون المواطنة بالهند الذي أقر عام 1955م، وأرادت الحكومة الهندية من خلال هذا القانون منح الجنسية الهندية للأفراد متبعي الديانات الهندوسية والسيخ والبوذية والجاينية والبارسية والمسيحية دون المسلمين الذين هاجروا إلى الهند من باكستان وأفغانستان وبنجلاديش قبل 31 ديسمبر 2014م.

ترى الحكومة الهندية أن الأقليات، ولا سيما الهندوس، يعانون من اضطهاد في الدول الإسلامية الثلاث المجاورة لها (أفغانستان، باكستان، بنجلاديش)، ومن واجبات الحكومة أن تعطي لهم فرصة للعيش في الهند بسلام واطمئنان، ولكن معارضي هذا القانون يتهمون الحكومة بكونها متعصبة تجاه أقلياتها، مدللين على ذلك بأن هذا القانون يعارض فكرة الهند كدولة علمانية ودستورها العلماني، وأنها خطوة لتهميش المسلمين الهنود البالغ عددهم نحو 200 مليون نسمة، ويتخوف المتظاهرون من غير المسلمين من المنطقة الشمالية الشرقية الهندية من تدفق المهاجرين، وانخفاض فرص العمل، وتغير الهوية الثقافية لهم.

وقد وافقت المحكمة العليا الهندية على الاستماع للطلبات التي رفعت ضد هذا القانون، في 22 يناير 2020م، عن شرعية هذا القانون بموجب الدستور الهندي، وطلبت استجواب الحكومة حول هذه القضية، ولكن في الوقت نفسه رفضت المحكمة وقف تنفيذ القانون رغم اندلاع احتجاجات عنيفة وحاشدة في طول البلاد وعرضها ضد القانون.

من أهم الأدلة التي تُعرض ضد القانون معارضته دستور الهند وروحه العلمانية، وأنه يميز بين شخص وآخر على أساس الديانة، والدستور الهندي يضمن المساواة والعدل لكل مواطن دون تمييز عقيدته أو عرقه أو جنسه، الذي ينص في بند (14) بأنه «لا يجوز للدولة حرمان أي شخص من المساواة أمام القانون أو الحماية المتساوية للقوانين داخل الأراضي الهندية».

كما أن ديباجة الدستور الهندي تنص على أن «نحن، شعب الهند، قد قررنا رسمياً، وبكل رزانة ووقار، أن نشكل الهند، دولة موحدة في جمهورية ديمقراطية، علمانية، اشتراكية، ذات سيادة واستقلال، وأن نضمن لجميع مواطنيها العدالة الاجتماعية والاقتصادية والسياسية، وحرية الفكر والتعبير والاعتقاد والإيمان، والعبادة، والمساواة في الأوضاع والفرص، وأن نعزز فيما بيننا جميعاً الأخوة وضمان كرامة الفرد ووحدة وسلامة الأمة».

لا ينتهك قانون المواطنة الجديد فقط حق المساواة أمام الدستور، ولكنه يعارض القيم الدستورية للكرامة والنزاهة، وينفي قيمة المجتمع؛ لأنه ينتهك الروابط الأخوية بين المجتمعات، ويميز بين شخص وآخر.

يمنح الدستور الهندي الحقوق الأساسية لكل مواطن التي تشمل المساواة أمام القانون، والحق في الحرية وحماية الحياة والحرية الشخصية، ويحظر التمييز على أساس الدين أو العرق أو الطائفة أو الجنس أو مكان الولادة، ويضمن تكافؤ الفرص في مسائل التوظيف في القطاع العام.

أما قانون المواطنة الجديد فيرفض حق المساواة من جانب، ويسمح بالتمييز، في الوقت نفسه، بين المهاجرين الوافدين إلى الهند على أساس الديانة، ويتكلم عن منح المواطنة للمهاجرين بشرط ألا يكونوا مسلمين.

ويدافع وزير الشؤون الخارجية الهندي «أميت شاه» عن استثناء المسلمين قائلاً: إن الدول الثلاث (أفغانستان، باكستان، بنجلاديش) دول إسلامية، وليس هناك حاجة للمسلمين للهجرة منها إلى الهند.

يفشل القانون في إدراك العلاقات الأخوية بين الشعب حينما يفضل بعض الأشخاص المضطهدين على الآخرين، حتى لو تعرضوا للاضطهاد مثله، حيث يواجه مجتمع الأويجور المسلم اضطهاداً شديداً في الصين، ومجتمع التاميل الهندوسي الموجود في سريلانكا يتعرض لبعض المشكلات، ومجتمع الروهنجيا في ميانمار، ولكن هذا القانون يتكلم عن اضطهاد الأقليات من أفغانستان وباكستان وبنجلاديش فقط، والتمييز على أساس الموطن الأصلي للمضطهد ليس تعسفياً فحسب، بل يجرح كرامة الفرد، ويجرح الأخوة في عدم الاعتراف بالمعاناة الإنسانية الشائعة بالدول المجاورة الأخرى للهند، حيث يتوافد المئات من المهاجرين من الروهنجيا إلى الهند بسبب الاضطهاد الديني، ولكن الحكومة الهندية التي تستند إلى أسس إنسانية لمنح ملجأ آمن للمضطهدين، تبذل كل جهدها لطرد المهاجرين من الروهنجيا من الأراضي الهندية، ولعل هذا بسبب دينهم ومعتقداتهم.■

بقية المنشور ص 66

العبودية ما بين «كونتا كنتي» و«جورج فلويد».. والتعديل «الثالث عشر»

www.mugtama.com

خلال فترة إعمار الولايات المتحدة بين عامي 1865 و1877م، حيث قدم القانون الاتحادي حقوقاً مدنية للمعتَقين في الجنوب وللأمريكيين الأفارقة الذين كانوا عبيداً في السابق.

ولكن بعودة الديمقراطيين البيض للسلطة تدريجياً في الولايات الجنوبية بداية من عام 1870م بالانتخابات، وباستخدام عصابات ترهيب ضد السود «منظمة كو كلوكس كلان» (K.K.K)، وبنجاحهم سحبوا القوات الفيدرالية من الجنوب، وأقرت حكومة الحزب الديمقراطي قانون «جيم كرو» لعزل السكان السود عن البيض.

وفي عام 1880م، قيدوا عملية الانتخابات للسود، وفي عام 1890م أقروا قوانين رفع الضرائب لمن يريد التصويت، فلم يستطع السود والبيض الفقراء ذلك؛ وبذلك فقدوا قدرتهم عن التمثيل في هيئات المحلفين أو في المكاتب المحلية ولا التأثير في الهيئات التشريعية، فتم تجاهل كل مطالبهم، وأصبح فصل الأمريكيين السود في كل مناحي الحياة وأماكن العمل أمراً مشروعاً، وظل هذا القانون فعالاً ما بين عامي 1890 و1920م، وأصبح فصل السود ثقافة أمريكية.

ومنع السود عامة من التصويت، في حين أعفي البيض الفقراء من الضرائب والقيود.

ولكن حدثت نقلة كبيرة مع بداية القرن العشرين، وذلك بواسطة فيلم «Birth of A nation» (ولادة أمة)، وهو الحدث السينمائي والمؤثر الذي حقق مبيعات عالية؛ حيث جسَّد الفيلم النظرة التي أراد الكثير من البيض أن يروها بشأن الحرب الأهلية وتبعاتها لمحو آثار الهزيمة.

وقد قام الرئيس الأمريكي «وودرو ويلسون»، الرئيس الـ28 آنذاك من عام 1913-1921م، بعرض خاص لهذا الفيلم في البيت الأبيض وقال: إنه «تاريخ مكتوب بالرق».

حيث خلق هذا الفيلم خيالاً في المجتمع الأمريكي؛ فكل صورة تراها لشخص أسود تصوره على أنه كائن منحط وشبيه بالحيوان، وأنه تهديد للنساء البيض.

كما أن الفيلم مسؤول عن ولادة جماعة «كو كلوكس كلان» (K.K.K) من جديد التي تأسست في ولاية بولاسكي (تينيسي) عام 1865م على يد 6 ضباط في الجيش، وكان هدفهم معارضة تحرير العبيد التي حدثت بعد الحرب الأهلية الأمريكية، ودُمرت هذه المنظمة على يد الرئيس «غرانت» عام 1871م، لكنها عادت للظهور عام 1915م متأثرة من فيلم «ميلاد أمة».

لذلك فقد تحول الفن إلى واقع بكل معنى الكلمة.

وكان تأثير الفيلم يمتد أبعد بكثير من مجرد فيلم من مرحلة الأفلام السينمائية الأولى.

وجاءت موجة جديدة من الإرهاب، وجرت إعدامات من دون محاكمة بين حقبة إعادة البناء والحرب العالمية الثانية، وقتل آلاف الأمريكيين من أصل أفريقي على يد جماعات في ظل فكرة أنهم ارتكبوا جريمة ما.

في المؤتمر الوطني الديمقراطي في نيويورك عام 1924م، يقرر بأن 350 مندوباً كانوا ينتمون إلى «كلو كلوكس كلان».

لقد نمت المنظمة وبلغ عدد أعضائها عام 1924م حوالي 6 ملايين، ثم في بداية الثلاثينيات بدأت بالتفكك إلى عام 1940م، حيث تم تفكيك المنظمة وحدثت انشقاقات بين أعضائها، واتجهوا ما بين عامي 1940 و1950م لقتل أعضاء في منظمات حقوق الإنسان إلى عام 1999م، حيث تم الإعلان أنها منظمة إرهابية.

ولقد تحولت الحالة العنصرية المتأصلة في قطاعات كبيرة من المجتمع الأمريكي إلى حالة جديدة من التلاعب السياسي من أجل تحويل حالة الخوف من الجريمة إلى زيادة فيما يسمى بصناعة السجون في العقود ما بعد حركة الحقوق المدنية التي أطلقت عام 1964م.

حيث أدى امتزاج الخوف الاجتماعي بالمصلحة السياسية والمنفعة المادية للشركات الكبرى والرأسمالية في المجتمع الأمريكي، وأدى ذلك إلى حالة من التلاعب السياسي والتقنين التشريعي من أجل صناعة السجون المزدهرة التي وضعت أجيالاً من المجتمع الأمريكي الأفريقي في السجون بحجة الجريمة، ولكن في الحقيقة هي إعادة نزع الحرية والاسترقاق والعبودية.■

عصبية طفلك.. كيف تتعامل معها؟

ياسر محمود
متخصص في الشؤون التربوية والأسرية

العصبية هي ضيق وتوتر وقلق نفسي شديد يمر به الإنسان، سواء كان طفلاً أم بالغاً، تجاه مشكلة أو موقف ما، وتظهر مع الأطفال في صورة صراخ، أو ربما مشاجرات مع الأقران أو مع أقرب الناس، كالإخوة أو الوالدين، وهي من الظواهر التي كثيراً ما يشكو الآباء والأمهات من اتصاف أبنائهم بها، فكيف يتعامل الوالدان مع هذه المشكلة؟ هذا ما سنحاول الإجابة عنه في السطور التالية:

1 - متى؟ ولماذا؟

من الضروري أن تهتم بالتعرف على الأسباب والدوافع الحقيقية وراء عصبية طفلك، بدلاً من الاكتفاء بتصنيفه بأنه عصبي؛ وذلك حتى يمكنك معالجة هذه العصبية بطريقة ناجحة، ومما يساعدك على تفهم أسباب العصبية لديه أن تعتني بملاحظة تصرفاته؛ لتصل إلى الإجابة عن هذه الأسئلة: متى؟ وكيف؟ ولماذا تظهر عصبيته؟

ومن الأسباب التي ربما تكون سبباً لعصبية الطفل -ولا يلتفت لها كثير من الآباء- معاناته من أحد الأمراض العضوية، التي يؤثر وجودها على انفعالاته بطريقة سلبية، فإذا ما لاحظت ارتباط عصبية طفلك بأعراض جسدية معينة، فلا بد من اصطحابه إلى طبيب متخصص لإجراء الفحوص الطبية اللازمة، ومعالجة ما تكشف عنها، فربما يكون هذا السلوك العصبي ناتجاً عن مرض عضوي يعاني منه طفلك.

من الأسباب التي ربما تكون سبباً لعصبية الطفل معاناته من أحد الأمراض العضوية التي تؤثر على انفعالاته سلبياً

2 - نموذج عملي:

في مرحلة الطفولة يتعلم الطفل معظم سلوكياته -ومن بينها طريقة التعبير عن مشاعره واحتياجاته- من خلال تقليده ومحاكاته لسلوكيات الآباء، فإذا كان الوالدان أو أحدهما يتسم بالعصبية في تصرفاته، فإنه يكتسب ذلك ويتعلمه بطريقة تلقائية، ويعيد إنتاجه في تعامله مع الآخرين؛ فاحرص على أن تكون قدوة عملية لطفلك بالتزام الهدوء، وتجنب العصبية في تعاملك مع من حولك بشكل عام، ومعه بشكل خاص.

3 - تجنب كثرة نقده:

تجنب كثرة نقد طفلك ولومه، أو تحقيره، أو الاستهزاء به، خاصة أمام من لهم مكانة عنده، أو أمام أقرانه؛ لأن تلك الأساليب لا تحقق المرجو منها، فضلاً على أنها قد تزيد من توتر الطفل، وتجعله أكثر عصبية.

4 - عدم تكليفه بما لا يطيق:

بعض الآباء يبالغون فيما يطالبون به صغيرهم، فهم يريدون منه أن يبقى نظيفاً طوال الوقت، وألا يتحرك كثيراً، وألا يتكلم كثيراً، وأن يرعى أخاه الأصغر منه.. إلخ؛ فهم يطالبونه طوال الوقت بالتزام معايير سلوكية قد لا تتفق مع عمره، ويكلفونه بأعمال قد تفوق إمكاناته وطاقته، وكل ذلك يصيبه بالإحباط، وربما يجعل سلوكياته وردود فعله تتسم بالعصبية.

فاحرص على أن تكون الأوامر والمطالب التي تطلبها من طفلك مناسبة لقدراته، ويستطيع القيام بها دون عناء شديد؛ لأن ذلك يشعره بالنجاح والقدرة على أن يقوم بما تتوقعه منه؛ وبالتالي يقل توتره وقلقه، ويكون أقل عصبية، وأكثر هدوءاً.

5 - إبعاده عن النزاعات الزوجية:

كثرة الخلافات والنزاعات بين الزوجين أمام الطفل تفقده الأمان النفسي، وتثير قلقه، وهذا الشعور بالقلق ربما يؤدي إلى ظهور بعض المشكلات السلوكية لديه، وقد يكون من بينها العصبية، فاحرص على ألا يكون طفلك طرفاً في خلافاتك مع زوجك، ولا أن يكون شاهداً لها أو عليها.

6 - الاعتدال في تلبية طلباته:

من الأمور التي تتسبب في عصبية الطفل أن يعتاد على تلبية كل متطلباته بمجرد إشارة صغيرة منه، وهذا بدوره يدعم تمركزه حول ذاته، ويجعله غير قادر على قبول فكرة تأجيل إشباع رغباته أو رفضها، وإذا ما حدث ذلك؛ فإنه يغضب ويثور على هذا الوضع؛ لأنه اعتاد على ألا يُرفض له طلب مهما كبر أو صغر، فتجنب المسارعة في تلبية رغبات طفلك بمجرد طلبه لها، واعمل على تعويده على أن بعض الرغبات قد تُلبى، وبعضها قد يؤجل إلى وقت لاحق.. وهكذا.

7 - سحب الانتباه:

ربما تكون عصبية طفلك ناتجة عن نجاحه في استخدامها كوسيلة لجذب انتباهك، أو للضغط عليك لتلبية احتياجاته، وفي هذه الحالة سيكون عليك أن تمارس معه ما يُسمى بسحب الانتباه، وذلك بأن تتركه يفعل ما يريد دون الالتفات إليه مهما حدث، بشرط ألا يكون في ذلك إيذاء أو خطر عليه، ثم بعد أن يتوقف عن ضغطه هذا تتعامل معه بشكل طبيعي دون التعليق على ما فعل، حتى يدرك أن هذه الطريقة لا تجدي نفعاً في تحقيق ما يصبو إليه.

8 - الحوار بدل الصراخ:

عوّد طفلك على لغة الحوار بدلاً من لغة الصراخ، وذلك من خلال تدريبه على الحديث معك والحكي عما فعله أثناء يومه، ويمكنك تشجيعه على ذلك من خلال كلامك أنت أولاً عما فعلته في يومك وما مر بك

www.mugtama.com

من مواقف بطريقة تناسبه، وبحسن الإنصات له عند حديثه، وبالإجابة عن أسئلته بصدر رحب.. إلى غير ذلك مما يدربه على الحوار وحسن التعبير عن مشاعره واحتياجاته.

9 - تجنب العصبية المضادة:

احذر من مقابلة عصبية طفلك بعصبية مضادة، أو أن تفقد سيطرتك على مشاعرك كما فعل هو، وإنما عليك الاحتفاظ بضبط النفس في التعامل مع عصبيته؛ لأن مجاراته في عصبيته ستزيد من حدة المقاومة لديه، وستشعره بمزيد من الغضب، كما أن احتفاظك بالهدوء في التعامل مع غضبه يعلمه ضبط الذات.

ومن الأمور التي يمكن أن تساعدك على استعادة توازنك الانفعالي وضبط غضبك تجاه عصبيته:

أ- الاستعاذة بالله من الشيطان الرجيم.

ب- الإكثار من ذكر الله تعالى.

جـ- أخذ نفس عميق وبطيء لعدة مرات.

د- العد تنازلياً من 10 إلى 1.

هـ- تُغيِّر الوضع الذي أنت عليه عند الشعور بالغضب، من الوقوف إلى الجلوس، ومن الجلوس إلى الاتكاء، أو بالخروج من المكان حتى يذهب هذا الشعور.

و- المسارعة إلى الوضوء.

ز- تذكر أن تغيير سلوك الطفل والتخلص من صفاته السلبية لا يتم دفعة واحدة، ولكن بشكل تدريجي.

حـ- خصّص بعض الوقت لممارسة هواياتك المفضلة، فهذا يمنحك قدرة أفضل على احتمال ضغوط الحياة بشكل عام، ويجعلك أكثر هدوءاً ومرونة في التعامل مع مشكلات طفلك -ومنها عصبيته- بشكل خاص.

احرص على أن تكون الأوامر التي تطلبها من طفلك مناسبة لقدراته ويستطيع القيام بها دون عناء

تجنب المسارعة في تلبية رغبات طفلك وعوّده على أن بعض الرغبات قد تُلبى وبعضها قد يؤجل

10 - إشباع حاجاته النفسية:

احرص على إشباع حاجات طفلك النفسية والعاطفية، بتوفير أجواء الاستقرار والمحبة والحنان والأمان والدفء؛ لأن طبيعة العلاقة بين الطفل وأسرته ترسم صورته عن ذاته، فحين يجد الاهتمام والحب والدفء العاطفي يرتفع منسوب تقديره لذاته، وحين يفقد هذه الأجواء ينشأ غير واثق بنفسه وغير مقدر لذاته، فيغلب على حالته النفسية التوترات والصراعات التي يصحبها مشاعر الضيق والعصبية.

11 - الترويح والاهتمام بهواياته:

من المهم أن تعتني بتوفير فرص لطفلك للترويح عن نفسه، وتفريغ ما لديه من طاقة بطريقة إيجابية، من خلال التنزه، أو السفر، أو بزيارة من يحب من الأقارب، أو بممارسة هواياته المفضلة مثل: لعب رياضة ما، أو الرسم والتلوين، أو الأشغال اليدوية، أو التمثيل أو غير ذلك من الأمور المحببة إلى نفسه.

12 - الأنشطة الجماعية:

احرص على أن تتيح لطفلك فرصة المشاركة في الأنشطة الجماعية مع أقرانه، وتجنب الإفراط في الخوف عليه؛ حيث إن تفاعله ولعبه مع غيره من أقرانه يعلمه التنازل عن بعض رغباته كي يستمر اللعب، ويعلمه احترام ملكيات الآخرين، ويعلمه كثيراً من المفاهيم الاجتماعية التي تسهم بدورها في الحد من عصبيته.

13 - مساحة من الحرية:

من الضروري أن تمنح طفلك مساحة من الحرية، خاصة فيما يتعلق بشراء ألعابه أو ملابسه وغيرها من أموره الخاصة، وتجنب التدخل في كل صغيرة وكبيرة من شؤونه؛ لأن هذا يخلق مناخاً يسوده القلق والتوتر بينك وبينه.

14 - «البروفات» السلوكية:

تعد «البروفات» السلوكية إحدى الوسائل التي يمكن استخدامها في الحد من عصبية طفلك، فمثلاً إذا كان معتاداً على الصراخ إذا لم تستجب لطلبه، فمن الممكن أن تقوم باللعب معه من خلال تنفيذ موقف تمثيلي، فمثلاً يمكن تنفيذ موقف «طلب إحضار لعبة»، وذلك بأن يطلب هو منك أن تحضر له لعبة معينة بطريقة غاضبة، وأنت بدورك لا تستجيب لطلبه؛ لأنه طلبه بطريقة غاضبة، ثم تعيد الموقف مرة أخرى، بحيث يطلب اللعبة بطريقة هادئة، فتستجيب له وتحضرها؛ لأنه طلبها بهدوء ودون صراخ أو غضب، ففي ذلك تدريب له على التزام الهدوء عند طلبه لشيء ما، على أن تتم تلك «البروفات» السلوكية في غير وقت غضبه، وأن يسودها أجواء المرح والبهجة والمتعة وتبادل الأدوار.

15 - المدح والثناء:

عندما يعبر طفلك عن رفضه لشيء ما بطريقة مقبولة لا بد أن تمتدح هذا السلوك لديه؛ لأن في ذلك تعزيزاً وتشجيعاً له على الاستمرار والمداومة على السلوك الإيجابي.■

تنمية ذاتية

نجلاء محفوظ
كاتبة ونائبة رئيس تحرير «الأهرام»

خطوات عملية للسيطرة على المزاج السيئ

تنسحب الحيوية وتضطرب المشاعر ويمتلئ العقل بالانزعاج الممتزج بالغضب أو بالخوف وأحياناً الضيق، وتتراجع السيطرة على ردود الفعل؛ فنثور لأتفه الأسباب، ونبدو كسلك كهرباء غير مغطى يتسبب بالأذى لمن يقترب منه ويلمسه ولو دون تعمد.

هذا بعض ما يفعله المزاج السيئ ونخسر بالاستسلام له؛ فتتأثر بالسلب تعاملاتنا الاجتماعية، فلن نحسن التصرف، وسنكون أكثر تحفزاً ورغبة لتضخيم أي مشكلة، وأقل تسامحاً، وأبعد عن المرونة، وستتراجع طاقاتنا بالعمل، وقد يصل الأذى -لا قدر الله- لصحتنا النفسية والجسدية؛ والأولى يؤدي السماح له بالإقامة باعتياد العصبية ونفاد الصبر والقلق لنمنحهم إقامة بحياتنا بدلاً من طردهم.

أما الصحة الجسدية؛ فالرضوخ لها يرشح للإصابة بالأمراض النفسية والعضوية، بالإضافة لارتفاع ضغط الدم وقرح المعدة وغيرها.

مواجهة واحتضان

يشبه المزاج السيئ الرمال الناعمة المتحركة؛ كلما تأخرنا بالقفز بعيداً عنه؛ سارع بالتهامنا وإلقائنا بجوفه، إذا لم نواجهه لنعرف أسبابه للانتصار عليه ولتعزيز قدرتنا على الوقاية منه والتنبه لجولاته القادمة فلن نمنع زياراته البغيضة، ولكننا نستطيع تقليل أضرارها والاستفادة منها باكتشاف عيوبنا ونقاط ضعفنا، ثم نتعامل معها بوعي وبرحمة، فلا نبررها ولا نجلد أنفسنا، بل نحتضن أنفسنا بحب واحترام، ونمنح أنفسنا التعاطف الذكي بلا رثاء للذات، ثم نهمس لأنفسنا بأن كل شيء في طريقه للتحسن بمشيئة الله اللطيف بعباده.

ينشأ المزاج السيئ لعدة أسباب، ربما لسماعنا كلمات لم نتوقعها من المقربين أو زملاء، فتعكر الصدمة المزاج، وهذا طبيعي، ولا يجوز لوم النفس عليه مع ضرورة المسارعة باستعمال «الفرامل»؛ أي المكابح لمنع سيطرته، ولنتذكر أن هذه الكلمات كما تؤلمنا فإنها نعمة ومفيدة؛ لأنها تنبهنا إما لخطأ فعلناه وتسبب بها، أو تفضح سوء نوايا البعض وهذا مكسب وإن بدا كخسارة مؤقتة، فلنركز على المكاسب ونقلل التفكير بالخسارة لنساعد أنفسنا على التعافي السريع.

وقد يأتي بعد نوم مضطرب؛ لأننا قبل التوجه للفراش استغرقنا بالتفكير بمشكلاتنا واصطحبناها معنا طوال الليل؛ فاستيقظنا بمزاج سيئ وجسد مرهق وعقل منهك، والحل عندئذ بالمسارعة بكتابة ما يؤلمنا ويضايقنا ثم قراءته بصوت لإفراغ المزيد من الشحنات، ثم ننصح أنفسنا كما سننصح الصديق المقرب لتحسين الأمور، مع الاسترخاء والاستحمام بماء دافئ والوقوف باعتدال وترك الماء يغمر الرقبة والكتفين لأنهما من مناطق الاحتفاظ بالتوتر، ثم تناول كوب من الليمون المحلى بالعسل، وتدليك لطيف للوجه بالتربيت عليه بهدوء وإغماض العينين وتدليك المنطقة بين الحاجبين والجبهة بلطف لجلب الاسترخاء.

قد يتعكر المزاج للإحباط أو لطول انتظار أمر يهمنا؛ ولا تُنكر على نفسك الضيق، واسترح قليلاً وشاهد شيئاً تحبه، أو تناول طعاماً مفضلاً ببطء، وضع عطرك الخاص، وارتد ملابس أنيقة، واكسر الدائرة اللعينة؛ أي الاسترسال بالضيق، وقم بتمثيل السعادة وستأتيك راغمة، وتفاءل بالخير وستجده بمشيئة الله.

من أسباب سوء المزاج بعض الأشخاص وكلامهم السلبي وتعبيراتهم المحبطة وجلساتهم السخيفة

النوم لساعات كافية يساعدك على الاحتفاظ بمزاج جيد وصحة طيبة

ومن مسببات سوء المزاج بعض الأشخاص وكلامهم السلبي وتعبيراتهم المحبطة وجلساتهم السخيفة، وهؤلاء يجب الفرار منهم -ما استطعنا- أو وضع مسافات نفسية تمنع امتصاصنا لسمومهم، وبعدم التركيز مع كلامهم، وتجنب النظر لوجوههم التي تنقل طاقات ضارة تسلب المزاج الجيد، وعندما نغادرهم نشكر الله ونحتفل بخلاصنا منهم، ولا نهدر ثانية بالتفكير عنهم.

من النصائح الخاطئة الاتصال أو البحث عن صديق لطيف وسعيد وإيجابي لنلجأ إليه عند تعكر المزاج، والمؤكد أنه لن يتحملنا دوماً، هذا إن وجدناه ولم يفاجئنا بقائمة طويلة من الأمور التي تضايقه؛ وهو ما يفعله البعض عندما يشكو إليه أحد.

من النصائح الخاطئة البحث عن صديق لطيف وإيجابي لنلجأ إليه عند تعكر المزاج

الرياضة تساعد على إفراز هرمون «الأندروفين» الذي يحسن المزاج

وقد تتلقى إجابة تضاعف سوء المزاج كالسخرية والتذكير بألم ومعاناة قاسية تستحق الضيق، وكأن من أصيب بنزلة برد يجب أن يخجل لأنه يتألم؛ لأن هناك مرضى بالسرطان يتألمون!

ويجب احترام الألم الإنساني لدينا ولدى الجميع، مع تجنب المبالغة والتنبه للمسارعة بفعل أي شيء حتى لا يلون حياتنا بالكآبة والضجر والوجع.

حتى تكون سيداً على مزاجك تذكر دائماً:

- أنت المسؤول الوحيد عن تحسين مزاجك بعد كل إزعاج تتعرض له أو لاستغراقك بالتفكير السلبي.
- المزاج الإيجابي يقلل «الأدرينالين» و«الكورتيزول»؛ وهي هرمونات القلق والتوتر التي تؤثر على ارتفاع ضغط الدم وعلى أمراض القلب والأوعية الدموية والنوبات القلبية.
- لا تسترسل بالتفكير فيما يزعجك؛ فسيعكر صفو حياتك ويؤلمك، ولا تتكلم عنه فتجدد الانزعاج؛ وإذا تمكنت من القضاء عليه فلا تتردد وواجهه بثبات بعد الاستعانة بالله عز وجل.
- من يترك نفسه تحت سيطرة مزاجه فلن ينجح؛ فمن يجتهد إذا كان مزاجه جيداً ويتكاسل عندما يكون مزاجه سيئاً سيخسر كثيراً.
- ينجح من يقاوم سوء المزاج، ويتذكر أن الإنجاز مهما كان بسيطاً يحسن المزاج ويضاعف طاقاته.
- الحرص على النوم الجيد ولساعات كافية يساعدك على الاحتفاظ بمزاج جيد وبمعنويات مرتفعة وصحة طيبة.
- اهتم بممارسة الرياضة ولو بالمشي أو بتمرينات الاستطالة؛ فالرياضة تساعد على إفراز هرمون «الأندروفين» الذي يحسّن المزاج، ويمنحك الشعور اللطيف بأنك تعتني بنفسك.
- تناول الفواكه والخضراوات لتفيدك صحياً وتمدك بمصادر طاقة حقيقية وتحسن المزاج، بينما الأطعمة السريعة ذات الدهون والمواد الحافظة تجعلك تشعر بالثقل وتجلب سوء المزاج.
- احرص على ممارسة هواياتك والتجديد بتفاصيل يومك لتوسع حياتك ولتحافظ على مزاجك جميلاً.
- لا تركز بالتفكير في مشكلاتك، فهذا وحده كفيل بسرقة أي فرص لك بالتمتع بحياة طيبة؛ بل خصص لها وقتاً محدداً ليس للتألم منها، ولكن للتفكير بحلول واقعية لها، ولو بعد حين، وبادر بالتنفيذ.
- تذكر مشكلات سابقة بالغت في التألم منها وأفسدت مزاجك بيديك وصنعت عذاباً وأوجاعاً ثم انتهت، ولا لتكرر ما فعلته بنفسك أبداً.
- ابتسم وتذكر دوماً النعم التي تحيط بك بدءاً من أنك ما زلت على قيد الحياة، ومروراً بأنك تستطيع بفضل الله أداء الأمور البسيطة بحياتك؛ كتناول طعامك وحدك دون الاحتياج لأحد وانتهاء بنجاحاتك بالحياة.
- كن شاكراً، وستتمكن من طرد سوء المزاج أولاً بأول.
- قلّل من متابعتك للإنترنت وللفضائيات؛ فهي تسرق السكينة وتستنزف الطاقات وتشعرك بالتعب، وكثرة التحديق بها تؤلم الرقبة والكتفين وتسبب التوتر الذي يضعف مقاومتك لسوء المزاج.
- اهتم بالحديث اللطيف مع نفسك حتى لو كنت مخطئاً، ولا تواصل الخطأ، وتعلم منه وامنع تكراره وامضِ قُدماً باحترام للنفس؛ وهو أفضل صانع للمزاج الجيد.
- افعل شيئاً تحبه قبل النوم.
- تعلم شيئاً جديداً، واجعل عقلك يحب التعلم، وستتسع حياتك وتسعد نفسك، ولا تجعل مجالاً ليتسلل إليك المزاج السيئ، وستشعر أنك تتطور وسيتحسن مزاجك.
- لا تقل أبداً: أنا سريع التقلب المزاجي، أتأثر بأقل شيء، لا فائدة سأظل هكذا دوماً؛ فهذا الكلام يضعف مقاومة سوء المزاج؛ فالعقل يأخذه على أنه حقيقة ويتقاعس عن بذل الجهد لتحسين الحالة النفسية.
- لا تسارع بتناول المهدئات، وتجنب الحلوى والتدخين.
- تذكر أن ما أزعجك سينتهي، ولا تسمح له بإيذائك.
- اكتب قائمة بالأمور التي تعكر مزاجك، وبالأشخاص الذين يتسببون بذلك، وتنبه لها، واخصم وأضف إليها من وقت لآخر.
- لا تأخذ الحياة بجدية زائدة، واهتم بصحتك الجسدية، ولا تتأخر بالذهاب للطبيب عند المرض -لا قدر الله- فالمرض من أسباب المزاج السيئ عند البعض.
- احرص على تنظيم حجرتك ومكتبك؛ فالمكان النظيف والمرتب يساعد على المزاج اللطيف.
- احرص على التنزه من وقت لآخر.
- اقطع الطريق على المزاج السيئ بفعل أي شيء يسعدك وكأنك تسير بطريق به دخان؛ فترفض مواصلة السير وتبتعد، فمجرد اتخاذ قرار عدم الاسترسال سيمنع التمادي ويشجعك على استرداد حياتك الطيبة.
- لا تفكر في ذكرياتك السيئة، أغلق صفحاتها واحتفظ بالخبرات ولا تعكر صفو مزاجك بها، وافتح صفحات جديدة مليئة بالخير.■

www.mugtama.com

بقلم:
محمد سالم الراشد

العبودية ما بين «كونتا كنتي» و«جورج فلويد».. والتعديل «الثالث عشر»

ذكَّرتني صرخة «جورج فلويد» (George Floyd) -الأمريكي من أصل أفريقي- «لا أستطيع التنفس» التي مات على إثرها، يوم 25 مايو 2020م، خنقاً بضغط على رقبته من قِبَل شرطي أمريكي، ذلك ذكَّرني بالمشهد التلفزيوني في مسلسل «الجذور» بصرخة الأفريقي المسلم «كونتا كنتي»: «إني أختنق»، عندما خنقه سيده الأبيض بحبل من أجل أن يرغمه على تغيير اسمه إلى «توبي».

و«كونتا كنتي» الذي ولد عام 1750م في غامبيا من مدينة «جوفور»، اعتقل وعمره 17 عاماً، في 5 يوليو 1767م، وتم ترحيله إلى أمريكا (أنابوليس) مع 140 شخصاً تم القبض عليهم في الأدغال من قبل تجار العبيد مات منهم 60 في الطريق بالبحر، ووصل إلى أنابوليس ماريلاند في 29 سبتمبر 1767م، ثم تم بيعه إلى عائلة بورجوازية بقيمة 750 دولاراً، يوم 7 أكتوبر.

وقد حاول الهرب مراراً من سيده الأبيض؛ حيث قام مالكه بقطع رجله، وعالجته امرأة سوداء اسمها «بيل»، وهي طباخة المالك واسمه «ويليام»، وتزوج منها وأنجب طفلة اسمها «كيزي» التي انحدر منها نسله لأجيال إلى الحفيد «أليكس هيلي» الذي تتبع جذور أجداده في قصة سطرت كملحمة في الأدب الأمريكي، وتم عرضها في مسلسل تلفزيوني عام 1976م، توفي «كونتا كنتي» عام 1810م في مقاطعة سبوتسلفانيا.

هذه القصة رسخت في ذهني منذ أن شاهدتها في حلقات «الجذور» التي عرضت منتصف السبعينيات، ثم تابعت قراءة هذه القصة بعد إصدارها، حيث ألفها رواية أحد أحفاده وهو «أليكس هيلي» (1921-1992م)، مؤلف كتاب الجذور: ملحمة عائلة أمريكية» (Roots: The Saga of an American Family)، نشرت عام 1976، وحاز مؤلفها على جائزة «بوليتزر» عن فئة الجوائز الخاصة، حيث تتبع «أليكس هيلي» تاريخ عائلته إلى جده «كونتا كنتي».

وعندما تزور مدينة «أنابوليس» التاريخية، ستجد في وسطها النصب التذكاري لـ Kunta Konte – Alex Haly Memorial يصور ماريلاند بالكلمة والرمز وانتصار الروح البشرية.

إنه النصب التذكاري الوحيد من نوعه في الولايات المتحدة الذي يحتفل بالاسم الفعلي ومكان وصول الأفارقة المستعبَدين.

إن هذين الحدثين ما بين عام 1767 ومايو 2020م يطوفان بالمرء حول قرون من الاسترقاق والاستعباد لملايين من الأمريكيين من أصل أفريقي، ولتضعنا اليوم إلى فهم جذور ما حدث يوم 25 مايو 2020م، وحجم رد الفعل من المظاهرات والعنف التي ما زالت مستمرة في أغلب الولايات المتحدة الأمريكية.

وإذا أردت أن تفهم القصة بشكل تحليلي فيمكنك مشاهدة فيلم مختصر من إنتاج «أنجس وول» (Angus Wall)، و«جيسون ستيرمان» (Jason Sterman) الذي يعرض حالياً على موقع «نتفلكس» (Net flex) بعنوان «13th».

الذي يسرد تاريخياً وتحليلياً من خلال مقابلات لمجموعة من الخبراء والأكاديميين ومناهضي العنصرية وساسة ومحامين جذور مشكلة نهاية عصور الرق والعبودية التي بدأت مع استقدام العبيد في أول مستعمرة وهي «فرجينيا» عام 1619م في سفينة تحمل 20 عبداً أفريقياً.

فقد قام هؤلاء الخبراء بتوثيق وتحليل مشهد العنصرية المتأصل في المجتمع الأمريكي الذي كان بسبب التعديل الثالث عشر الذي أجري على الدستور الأمريكي الذي أقر كنتيجة للحرب الأهلية (1861 – 1865م)، وانتصار الشمال على الجنوب، ومن أجل إعادة إعمار الجنوب، وتم إقراره؛ حيث ألغى التعديل الثالث عشر في دستور الولايات المتحدة الأمريكية العبودية والاسترقاق الجبري إلا ما يطبق منها كعقوبة على الجرائم، وفي الكونجرس الأمريكي أقر مجلس الشيوخ هذا التعديل في الثامن من أبريل 1864م، وأقره مجلس النواب في 31 يناير 1865م، وكان أحد التعديلات الثلاثة ضمن تعديلات إعادة الإعمار المدخلة بعد الحرب الأهلية الأمريكية على الدستور، وكان انتصاراً لإعلان تحرير العبيد عام 1863م، حيث وصل عدد الولايات المؤيدة 27 ولاية فتم إقرار التعديل.

ولمواجهة القوانين التي أعطت حقوقاً لتصويت السود، فقد سُنت قوانين الفصل العنصري التي سميت بقوانين «جيم كرو»، وهو «الوصف التحقيري لزنوج أمريكا»

البقية ص (61)

www.mugtama.com

جمعية المنابر القرآنية
ALMANABR ALQURANIYA SOCIETY

وقف لخدمة القرآن الكريم

قال رسول الله ﷺ : «خيركم من تعلم القرآن وعلمه»

صدقة جارية
وأجر لا ينقطع

سهمك الوقفي يصنع الكثير

• دعم أنشطة تعليم وحفظ وتلاوة القرآن الكريم • رعاية ودعم الحفاظ اليتامى والفقراء • توفير مصاحف التعليم للطلبة والحفاظ المكفوفين • كفالة ورعاية محفظ القرآن وإعانته على أداء رسالته • إعمار المساجد بالحلقات القرآنية • تدريب معلمي ومعلمات القرآن الكريم على أيدي كبار علماء القراءات.

شاركنا .. في الخير 11 666 971

almanabr.org | @almanabr

أو عن طريق الاستقطاع البنكي - بيت التمويل الكويتي

رقم حساب: 391010004473

رقم الآيبان: KW47KFHO0000000000391010004473

جمعية تكافل
الصدقة
أجر يبقى
التبرع .. عن طريق الاستقطاع أو عن طريق كي-نت
بيت التمويل الكويتي
01140010577
بنك الكويت الوطني
100031457 7
94 06 40 61 (24 83 44 14